إيران والحرب العالمية الأولى

دراسة تاريخية تشمل الفترة

من ١٩١٤ حتى ١٩٢١

تأليف

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمي

أستاذ الدراسات الإيرانية

بكلية البنات - جامعة عين شمس

القاهرة

١٩٩٨

إيران والحرب العالمية الأولى

دراسة تاريخية تشمل الفترة

من ١٩١٤ حتى ١٩٢١

تأليف

دكتور عبد السلام عبد العزيز فهمى

أستاذ الدراسات الإيرانية

بكلية البنات - جامعة عين شمس

القاهرة

١٩٩٨

مقدمة :

بدأت الحرب العالميـــة الأولى (١٩١٤-١٩١٨) فى القارة الأوربية كصراع بين دولها، لكنه سرعان ماانتشر هذا الصراع وأخذ شكلا عالميا، وأسهمت فيه أغلب الدول ؛ أوربية وغير أوربية، ولكن كانت هنـاك دول لـم تتدخـل فى الحرب بطريقة مباشرة، وفجأةً وجدت نفسها مكرهــة على خوضها لنصرة فريق على آخر ؛ فنالها الدمار والخراب، ومن بين تلك الدول **إيران** التى أصبحت ميدان قتال للأطراف المتنازعة رغم اعتراضها وإعـــلان حيادهـــا ، وكان الضغط عليها قويا حتى كادت تختنــق من تعدى أولئك وهؤلاء .

وشملت العمليات الحربية القارات الثلاث : أوروبا وآسيا وأفريقيا، كما كانت كافة البحار تقريبا مسرحًا للعمليات البحرية، واشترك فيها قرابة سبعين مليون شخص ؛ قُتِل منهم حوالــى عشــرة ملايين، وجُرِح ما يقرب من خمسة وعشرين إلى ثلاثين مليون شخص . ثم كان تأثيرها عميقـا مثــل طوفـــان مدمّر أتـــى على الأخضر واليابس انعكس على التشكيلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية القائمة آنئذ .

وأعلنت إيران الحياد على يد ملكها الشاب صغير السن قليل الخبرة السلطان أحمد شاه القاجارى، ظنًا منه أن الدول المتنازعة ستحترم حياد إيران، لكن ضعف دولته وقلة حيلته شجّعا على انتقال ميدان القتال إلى أراضى دولته لكلتى القوتين المتحاربتين، وأوذي الشعب الإيرانى كثيرا بسبب التدخل السافر للبريطانيين والروس واحتلالهما إيران بحيث لم يكن للحكومة المركزية الإيرانية أدنى سلطة .

وكان المستقبل مظلمًا ، ثم حدث انفراج عندما قيّض الله لإيران أن تتحـــرر من تلك القيـــود ، بدءًا من انهيار الإمبراطورية الروسـية وقيام ثورة أكتـوبر

الاشتراكية التي أعلنت سحب قواتها من إيران ورغبتها في التعامل مع جاراتها على قدم المساواة . أما بريطانيا فإنها انتهزت الفرصة، واحتلت ما كان في يد الروس من قبل متذرعة بمساندتها الروس البيض ومحاربة الثورة السوفييتية .

وأخيرا أكرهت بريطانيا على جلاء قواتها من إيران، وتحررت من كافة القيود التي كانت عبئا ثقيلا عليها، ثم تبع ذلك قيام ثورة رضا پهلوى الذى قَلَبَ الأوضاع السياسية والاجتماعية في إيران رأسًا على عقب، وأنشأ إيران الحديثة .

وسيكون الحديث عن الفترة من عام ١٩١٤ حتى ١٩٢١م، وهي فترة الحرب وتوابعها حتى قيام رضا پهلوى بحركته العسكرية ودخوله طهران .

وستتناول الدراسة تطور أحداث الحرب العالمية الأولى فيما يتعلق بالجبهة الإيرانية وجبهتي الدولة العثمانية وروسيا القيصرية ثم روسيا السوفيتية المؤثرتين على إيران بحكم الجوار . وأمل أن أكون قد قدّمت عرضا للموضوع الذى جعلت عنوانه " إيران والحرب العالمية الأولى : دراسة تاريخية تشمل الفترة من ١٩١٤ حتى ١٩٢١م ".

وبالله التوفيق .

دكتور / **عبد السلام عبد العزيز فهمى**

القاهرة فى ١٩٩٨/٥/٦

الباب الأول

إيران قبل الحرب العالمية الأولى

إيران فى نهايـــة القـرن التاسـع عشر وبداية العشريـن :

تعتبر الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع عشر وحتى بداية الحرب العالمية الأولى بالنسبة لإيران فترة مثيرة للاهتمام ومعقدة للغاية ؛ يشهد على ذلك وضعها الداخلى وسياسات القوى الكبرى تجاهها خاصة بريطانيا وروسيا القيصرية .

لقد استطاعت كل من بريطانيا وروسيا أن تثبتا نفوذهما فى إيران إثر الحروب المستمرة التى فرضتاها عليها، وابتليت بها، وما نتج عن ذلك من فقر وتعاسة ودمار أصاب الشعب الإيرانى، وما لصق به من عار الهزيمة وشعوره بالنقص تجاه المستعمر الأوربى الشرس . فنتج عن ذلك أن وقعت فريسة استعمار روسية القيصرية وبريطانيا، وانتهزتا وضع إيران السيئ وحصلتا على مجموعة من الامتيازات من الحكومة الإيرانية على شكل رقابة مالية واستغلال للثروات المعدنية وإحكام السيطرة على إدارات الدولة والحصول على مشاريع اقتصادية وإنشاء خطوط مواصلات تشمل سككًا حديدية وخطوط ملاحة بحرية (بحر قزوين) ونهرية (نهر كارون) وتعبيد الطرق وغير ذلك .

الامتيازات التى حصلت عليها بريطانيا :

وإذا بدأنا ببريطانيا يلزم أن نشير إلى أن الامتيازات التى حصلت عليها بريطانيا من إيران لم تتم عن طريق الحكومة البريطانية نفسها، بل كان يحصل عليها الأفراد والشركات والبنوك البريطانية بدعم وضغط من المفوضية البريطانية فى طهران، ولا شك أنهم جميعا كانوا يعملون تحت إشراف وتشجيع وتأييد الحكومة البريطانية . واستطاعوا عن هذه الطرق الملتوية الحصول على الامتيازات

بطرق عديدة : منها تقديم الرشاوى العينية لكبار رجال الدولة الإيرانية وموظفيها . وفى أغلب الأحيان كانوا يحصلون عليها بالتهديد واستعمال القوة وإشهار السلاح، والالتجاء إلى استبدال الأشخاص القائمين على الحكم بغيرهم حتى يُوَقعوا على ما تمليه بريطانيا عليهم دون مناقشة . ووصل الأمر أننا نجد كثيراً من الساسة الإيرانيين فى تلك الفترة كانوا يتباهون بذلك ويتفانون فى خدمة المستغل البريطانى، ويعلنون ذلك جهراً دون حياء . وكان الإيرانيون يُعبِّرون عن هذه الشخصيات باسم " انجلوفيل "، أى المحب لبريطانيا والبريطانيين . وعادةً كانت توقَّع هذه الامتيازات فى مبنى المفوضية البريطانية فى طهران بحضور الشاه القاجارى ورئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال الدولة والبلاط وصاحب الامتياز البريطانى، وفى حضور الوزير المفوض البريطانى وبتنسيق منه الذى كان يسارع بدوره ويختم العقد بخاتم المفوضية البريطانية أمام الحاضرين ليوهمهم بسريانها والتزام الأطراف الموقعة عليها باحترامها والعمل على تنفيذها .

ومن المثير للغرابة حقًا أن الجانب الإيرانى كان يسرع إلى مبنى المفوضية البريطانية، غير مهتم بدراسة العقد وتوقيعه بقدر اهتمامه بما كان يحدث بعد ذلك من حفلات صاخبة وماجنة يتناولون فيها المشروبات الكحولية ويستعرضون بعض التمثيليات العبثية، وتقدم فيها أيضا بعض الرقصات الشرقية الخليعة والموائد المشتملة على أطيب الأطعمة، مع تملّق الوزير المفوض البريطانى وإبراز بريطانيا على أنها صاحبة الفضل . والأكثر من ذلك كان المسئولون الإيرانيون يكادون تقبيل قدمي الوزير المفوض البريطانى من كثرة الثناء، وتنتهى هذه الحفلات الصاخبة عادة عند شروق الشمس .

ونورد فيما يلى مجموعة من الشركات البريطانية وأصحاب رؤوس الأموال البريطانيين الذين حصلوا على امتيــازات من إيــران، على النحو التالى :

١) المؤسسة الأنجلو - فارسية الامبراطورية

Anglo . Persian Imperial Society

٢) مؤسسة الاستثمار الفارسية Persian Investment Corporatio

٣) مؤسسة اليانصيب State Lotteries

٤) البنك الامبراطورى الفارسى Imperial Bank Of Persia .

٥) بنك التعدين الفارسى Persian Bank of Persia.

٦) مؤسسة الدخان الامبراطورية بفارس

The Imperial Tobaco Company Of Persia

٧) الشركة المتحدة لاستخراج المواد الأولية

First Exploration Company Limited

٨) شركة بترول بختيارى Bakhtiari Oil Company

٩) شركة البترول الأنجلو - فارسية

Anglo - Persion Oil Company

١٠) ما حصل عليــه البــارون جوليــوس دى رويتــر فى سنــة ١٨٧٢ م من امتيازات أهمها امتياز استخراج المعادن وإنشاء مجموعة من الطرق البرية فى إيران .

١١) حصول الحكومة البريطانية ذاتها فى سنة ١٨٨٨ م على حق الملاحة للبواخــر البريطانيــة فى نهر كارون .

١٢) حصول الحكومة البريطانية على امتياز تركيب خط تلغرافى بين بريطانيا والهند عن طريق الأراضى الإيرانية .

ومن الغريب حقا أن السلطان ناصر الدين شاه القاجاري سارع ووافق على تركيب الخط التلغرافي نظير مبلغ زهيد دفعته له الحكومة البريطانية رغبة منه في الحصول على أية مبالغ من أي جهة ومن أي مصدر وطريق. ووصل الأمر بناصر الدين شاه أنه أوْلى مشروع الخط التلغرافي البريطاني المار بإيران رعايته واهتمامه الشخصي، وكأنه مقاول أنفار .

ونستعرض نموذجا آخر من نماذج الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا من إيران، وهو امتياز استخراج البترول الإيراني الذي أبرمته الحكومة الإيرانية مع وليم نوكس دارسي في شهر يناير ١٩٠١م . وقد شمل الامتياز البلاد الإيرانية كلها نظير مبلغ مائتي ألف فرنك ذهب، ودفع ١٦٪ من صافي ربح البترول الناتج لمدة ستين عامًا . وقد تصوّر الشاه القاجاري أنه بعمله هذا مع المواطن البريطاني وليم نوكس دارسي قد حصل على أفضل صفقة رابحة في حياته بقبضه المائتي ألف فرنك ذهب نظير توقيع هذا الامتياز ، وتناسى أنه منح احتكارًا كاملاً لشركة أجنبية لمدة طويلة ؛ فشلّ بذلك يد الدولة في المستقبل عن استغلال مثل هذا المورد الضخم ، وحال دون تنافس الشركات العالمية الكبيرة المتخصصة في مجال التنقيب عن البترول .

الامتيازات التي حصلت عليها روسيا :

وإذا كانت بريطانيا قد حصلت على امتيازاتها من الحكومة الإيرانية بطرق عديدة : منها الدهاء والخداع والمكر في أغلب الأحيان، وإظهار القوة والتهديد العسكري في بعض الأحيان كما سبق أن ذكرنا، فإن روسيا القيصرية كانت تحصل على أغراضها بالتهديد والوعيد وأحيانا بشنّ الحرب مما كبّد الحكومة

الإيرانية خسائر مالية فادحة واستشهاد أبنائها في ميادين القتال ، وفقدان أقاليم إيرانية عديدة ؛ ففي حربها الأولى التي هُزِمت فيها إيران انتهت بعقد معاهدة گلستان في سنة ١٨١٣ م ، فقدت إيران الأقاليم التالية : داغستان - قُوبا - شيروان - شماخي - باكو - ساليان - طوالش - قره باغ - شوشه - گنجه - گرجستان (جورجيا) ، وحُرِمت من إدارة أقاليم كانت تتبعها ، وهي : ايمرسي - غوري وسينكري لي (وهما تقعان على سواحل البحر الأسود) - أبخاز - شوراكلي وكاخلي . علاوة على حرمانها من تواجد أسطول بحري لها في بحر قزوين وهذا ما حصلت عليه روسيا القيصرية من إيران في حربها الأولى التي انتهت بعقد معاهدة گلستان في سنة ١٨١٣م.

ثم نشبت حرب ثانية نتيجة الأزمات العديدة التي كانت تثيرها روسيا ، وانتصرت القوات الروسية ذات التدريب الجيد على الجيش الإيراني العشائري بقسوة في معركة " شامكار " (Shamkar)، ثم في گنجة في ٢٦ سبتمبر ١٨٢٦ م ، وتقدّم الجيش الروسي حتى تبريز واستولى عليها، وعلى أريڤان، وأملت الحكومة الروسية الإمپريالية شروطها على الشاه القاجاري في معاهدة "تركمان چاي" في سنة ١٨٢٨ م ، تنازلت فيها إيران عن أريڤان ونخجوان وبقية الأراضي الخصبة الواقعة خلف نهر أرس . ودفعت إيران مبلغ خمسة ملايين تومان (تعادل في حينها مبلغ ثلاثة ملايين جنيه استرليني) كغرامة حربية لروسيا ، وأيضًا حصلت روسيا على حق تعيين القناصل وتحديد الضرائب على الواردات والصادرات بـ ٥٪ . وعندما تباطأ الشاه في توقيع الاتفاقية هدّد الروس بالزحف لاحتلال طهران ؛ فحثّه الوزير المفوض البريطاني في طهران على توقيع الاتفاقية فوقّعها .

وكانت معاهدة " تركمان چاى " قيدا حديديا استمر قرابة قرن من الزمان، علاوة على ما دفعته الحكومة الإيرانية من غرامة حربية باهظة وحرمانها من تواجد سفنها الحربية في بحر قزوين، وأصبح للمواطنين الروس امتيازات في إيران، وأحقية بعثتها الدبلوماسية في طهران وقناصلها المنتشرين في كافة المدن الإيرانية حق محاكمة الرعايا الروس، أو النظر في أي مشكلة أو قضية يكون أحد طرفيها روسيًا والآخر إيرانيا . وبذلك فقدت إيران استقلالها تقريبا وأصبحت حكومتها خاضعة للنفوذ الروسي خضوعًا تامًا، وكأنها دويلة أشبه ما تكون تحت حماية القيصر الروسي . واستمر ذلك الوضع السئ قائما حتى ثورة أكتوبر الاشتراكية في سنة ١٩١٧م ، التي أطاحت بالنظام القيصري والحكم الامبريالي في روسيا .

ونورد فيما يلي مجموعة من الامتيازات التي حصلت عليها روسيا من إيران :

١) امتياز استغلال الغابات في الولايات الشمالية من إيران .
٢) إنشاء بنك للرهونات والمعاملات المالية .
٣) امتياز استخدام الطرق ووسائل المواصلات في الولايات الشمالية من إيران.
٤) امتياز استخراج معادن قراچه باغ .
٥) امتيازات تعريفة جمركية خاصة للمنتجات الروسية وتصريفها في شمال إيران حتى تكون أسعارها أقل من مثيلتها ولا تجد منافسًا لها
٦) تشكيل وحدة عسكرية يشرف عليها ضباط روس أطلق عليها " لواء القوزاق " على شاكلة فرقة عسكرية خاصة روسية .

تشكيل لواء القوزاق الإيرانى :

يعتبر امتياز تشكيل لواء القوزاق الإيرانى أخطر امتياز وقّعه السلطان ناصر الدين شاه (١٨٤٨ - ١٨٩٦م)، والذى يعتبر أحد أخطائه الكبرى فى حق وطنه، يشاركه فى ذلك الصدر الأعظم ميرزاحسين خان سپهسالار . وقد راودت ناصر الدين شاه فكرة إنشاء هذه الوحدة العسكرية عندما توجه إلى أوربا لزيارتها عن طريق روسيا، واستعرض فى عاصمتها سانت بطرسبرج فرقة روسية من فرسان القوزاق يشكلون الحرس الامبراطورى الخاص ؛ فبهره زيهم الشركسى الذى كان يفيض مهابة وحيوية ونشاطًا، ولها تدريبات معينة، وهو التدريب الذى تتدرّب عليه حاليا الفرق الخاصة . وقد أعجب الشاه القاجارى أيما إعجاب بها، وطلب من القيصر الروسى ألكساندر الثالث مساعدته فى تشكيل فرقة مماثلة من الإيرانيين فى بلده إيران . ولم يبرح الشاه القاجارى العاصمة الروسية إلاّ وقد وقّع عقداً مع عدد من الضباط الروس قدّمتهم الحكومة الروسية لتأسيس الفرقة الإيرانية .

وقد ثبت أن هذا الموضوع كان قد سبقه دعاية روسية قوية ومكثفة لدى الحكومة الإيرانية ، حتى أن رجال البلاط القاجارى والأشخاص المقربين للشاه كانوا يميلون إلى تنفيذه ، ويتحدثون كثيراً عنه فى اجتماعاتهم مع الشاه . واكتملت المسرحية باستعراض السلطان ناصر الدين شاه لفرقة قوقازية فى العاصمة الروسية، كما سبق أن ذكرنا . وفعلاً تم التعاقد مع مجموعة من الضباط الروس تولى رئاستهم الضابط الروسى" دمانتوفتش" Damanto-vitch ، وكان بدرجة "پالكونيك " (رتبة العقيد). وشرعت البعثة العسكرية الروسية فى عملها فور وصولها طهران، وبنفس النظام الروسى

من تدريب وتعليم وملبس وخلافه. وكانت رواتب الضباط الروس في لواء القوزاق الإيراني سخية، وتُعطى لهم من حصيلة جمرك شمال إيران الخاضع للسيطرة الروسية، ويصرفونها شهريا من بنك الرهونات والمعاملات المالية ، وهو بنك روسي.

وكان لواء القوزاق الإيراني في بداية أمره يتكون من ثلاث كتائب مشاه وكتيبة فرسان ووحدة مدفعية، وكان عدد أفراد الكتيبة الواحدة ستمائة ضابط وجندي، وأقاموا في طهران في مكان فسيح أعد خصيصا لهم يشتمل على ثكناتهم وأرض التدريب، الذي أُطلق عليه " ميدان مَشْق " أي ميدان التدريب، ومكانه حاليا مباني وزارة الخارجية الإيرانية ومبنى البلدية ومتحف الاثار الإيراني ومبنى البريد والمنطقة المجاورة حتى ميدان سپه (ويعني ميدان الجيش) ، وأسسوا بداخله مدرسة أطلق عليها " مدرسة القوزاق "، كانت تضم ست فصول يُقبل فيها أبناء ضباط القوزاق الإيرانيين، ومن يرغب في تعليم ابنه ليلتحق بلواء القوزاق فيما بعد . وكان التدريب فيها وتدريس المواد المختلفة باللغة الروسية لكافة العلوم حتى يتمكن التلاميذ من إجادة اللغة الروسية نطقا وكتابة وتعبيرا، ثم ولاءً بعد ذلك لروسيا والقيصر الروسي .

وكان الضباط الروس العاملون في لواء القوزاق يقدّمون برنامجا تعليميا وتدريبيا عمليا سطحيا للضباط والجنود الإيرانيين، ليس فيه جدّية ولا خشونة، التي تتميز بها الحياة العسكرية . بل كان التعليم والتدريب لا يتعدى القيام بحركات عسكرية لاستخدامها في التشريفات، مع بعض التدريبات العسكرية المحدودة، وأسقطوا من التدريب التربية العسكرية وتنمية الشعور بحب الوطن والولاء له ومثل هذه الصفات اللازمة لتعليم العسكريين . لذلك كان أغلب الضباط والجنود الإيرانيين الذين التحقوا بلواء القوزاق فاقدي المعلومات العسكرية التي

تؤهلهم حتى لقيادة سرية في الجيش، وبعيدين عن حب الوطن والولاء له . ثم اتضح فيما بعد أن أغلب من التحق من الإيرانيين بلواء القوزاق كان يهدف التعدى على الآخرين وانتهازها فرصة للنهب والسلب، أو بهدف حفظ أراضيهم وإظهار سطوتهم وجبروتهم على غيرهم من الإيرانيين .

ولم يمض طويل وقت إلاّ وأصبح للواء القوزاق معسكرات فرعية في كل من تبريز ورشت وهمدان وأصفهان ومشهد . وكان قائد القوزاق على رأس قائمة الشخصيات البارزة في العاصمة طهران، ويحرز أهمية كبيرة ومقرّبا من الشاه القاجارى الذى كان يهدف من وراء تشكيل هذه الفرقة العسكرية حمايته أولاً وأخيراً من الإطاحة به ضد مخالفيه. ثم اكتسب قائد لواء القوزاق نفوذاً في شمال إيران، وهي المنطقة المجاورة للحدود الروسية. كما كان الواسطة المباشرة بين الشاه الإيراني والقيصر الروسي، ويعتمد عليه الموظفون السياسيون الروس سواء أعضاء المفوضية الروسية في طهران، أو القنصليات الروسية المنتشرة في المدن الإيرانية في جلب الأخبار الهامة والسرية لتنفيذ أعمالهم ، أو الضغط على الحكومة الإيرانية لتحقيق رغباتهم . أما الواجب الأساسي الذى كان على عاتق القوزاق هو الحفاظ على حياة الشاه القاجارى وأعضاء البعثة الدبلوماسية الروسية وموظفى القنصليات والعاملين في الشركات الروسية والرعايا الروس في إيران .

لقد تبدّدت آمال الشاه القاجارى وخاب ظن جموع الشعب الإيراني في لواء القوزاق الذى بدأ منذ تأسيسه يظهر وجهه القبيح وأصبح سيفاً مسلّطاً على الشعب الإيراني بحجة تكليفه بوأد الانتفاضات التحررية والاضطرابات المحلية التي يثيرها باستمرار رجال العشائر والقبائل الإيرانية، ووصل به الأمر

أنه كان يتعقب الناس، ويتعامل مع المتمردين على الحكومة والعشائر والقبائل الثائرة بقسوة . كما كان لواء القوزاق قوة رادعة لأى صوت حر يدعو إلى تحرر إيران من السيطرة والاستبداد والجشع وسوء تصرّف الشاه بخاصة والأسرة القاجارية بعامة، أو أى شخص يكون مناوئا للسياسة الروسية فى إيران ، وأخيراً العمل على تأكيد السيطرة الروسية على إيران . فكان فى واقع الأمر قوة تنفيذية للمفوضية الروسية وقناصلها وسنداً لرجال الأعمال الروس فى إيران.

وعلى هذا النحو ازداد النفوذ الروسى فى إيران، وتشعبت مهام لواء القوزاق، حتى أن الجنرال "مايْدل" Maidel قائد قوات القوزاق الإيرانية فى عهد السلطان أحمد شاه القاجارى أمر بزيادة عدد أفراد القوزاق الإيرانيين، وشكّل لوائين، وأوصل عددهم إلى ستة عشر ألفا سيطروا تماما على شمال إيران، وتمركزت وحدات منهم كانوا يطلقون عليها " أترياد "، وهى كلمة روسية تعنى قوة مختلطة من مشاة وفرسان وأطقم مدفعية. ونجح الجنرال مايْدل فى الحصول على هدفه، واستمر عمل هذه القوة العسكرية إسماً الروسية فعلا تعمل فى إيران حتى ثورة أكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ م . بعدها كُلِّف الضباط والصف ضباط الروس بالعودة إلى بلدهم بعد نشوب الاضطرابات نتيجة سقوط الملكية ومحاولة أنصارها العودة إلى الحكم، فتركوا وحداتهم لقيادات إيرانية؛ فما كان من بريطانيا إلاّ أن أسرعت وأشرفت عليها وأدخلتها تحت مظلتها .

وفيما يلى ثبت بأسماء القادة الروس للواء القوزاق الإيرانى :

١- العقيد (پالكونيك) دامانتوفتش Damantovitch وهو الذى أسس لواء القوزاق فى عهد السلطان ناصر الدين شاه .

٢- العقيد (پالكونيك) كوزمين كاراڤاييف Kouzmin Karavaief

٣- العقيد (پالكونيك) تشاركوڤسكى Tcharkovsky .

٤- العقيد (پالكونيك) شناڤر Chnaver .

٥- العقيد (پالكونيك) كاساكوڤسكى Kasakofsky وكان فى أواخر عهد ناصر الدين شاه وأوائل عهد ابنه مظفر الدين شاه .

٦- العقيد (پالكونيك) تشيرنازوبوف Tchernazoubof وكان فى عهد مظفر الدين شاه.

٧- العقيد (پالكونيك) لياخوف Liakhof وكان فى عهد محمد على شاه .

٨- الجنرال الأمير ڤادبولسكى Vadbolsky.

وكان فى عهد أحمد شاه .

٩- العقيد(پالكونيك) پروزور كيڤيتش Prazor Kevitch

١٠- الجنرال مايْدل Maidel .

١١- العقيد (پالكونيك) كليرج Klerge .

١٢- العقيد (پالكونيك) ستاراسلسكى Staraselsky .

وهو آخر من كانوا فى عهد أحمد شاه . (١)

---

(١) مقال " قزاقخانة ايران " بقلم الجنرال (سپهبد) أمان الله جهانبانى، مجلة دنيا السنوية، السنة الثامنة عشر، طهران، ١٣٤١ هـ . ش، ص ١٨١ ١٨٢ .

العلاقات الإيرانية الألمانية قبل الحرب العالمية الأولى:

كانت ألمانيا تنظر إلى إيران على أنها تؤلف جسراً لا يقل أهمية عن تركيا، وتتمثل رؤيتها في أنه كانت المضايق (البوسفور والدردنيل) وهضبة الأناضول تصل آسيا بأوروبا، فإن الهضبة الإيرانية تصل الشرق الأوسط بالهند والشرق الأقصى مما يحتم عليها خوض المعركة السياسية والاقتصادية الدائرة بين الدول العظمى للحصول على مكاسب لها . وأصبحت ألمانيا منافسا خطيرا لبريطانيا في السنوات الأولى من القرن العشرين بعد وصولها إلى الأناضول، الذى ظهر على شكل مشاريع اقتصادية وامتيازات حصلت عليها من الباب العالى ؛ كان أهمها على الاطلاق بناء خط حديدى عبر الأناضول إلى الخليج الفارسي ليتسنى للسياسة الألمانية التوسع في الشرق واستغلال مرافقه الاقتصادية وثرواته المعدنية وتصريف منتجاتها. وقد أصبحت هذه الأمور أشد خطراً على بريطانيا من الخطر الروسى فى إيران، حيث كانت تناصف روسيا النفوذ والسيطرة على إيران . ولم تتنبه بريطانيا إلى ذلك إلاّ بعد استفحال الخطر الألمانى فى الشرق .

ومع بداية القرن العشرين حاولت ألمانيا جاهدة وضع قدم لها في إيران، فلاقى ذلك قبولاً من الإيرانيين، ووصل الأمر أن أصبح نفوذ ألمانيا عاملاً مهما فى الحياة السياسية والاقتصادية الإيرانية، رغم أن عدد الألمان العاملين فى إيران كان ضئيلا للغاية، إلا أنه كان لهم تأثير ملموس فى تحريك بعض القوى الوطنية ضد السياسة البريطانية، سواء أكانت فئات مثقفة تعيش فى المدن أم عشائر إيرانية تضمر كراهية شديدة للبريطانيين، مثل عشائر بختيارى . وكان أسلوب الألمان فى تعاملهم السياسى والاقتصادى مع الايرانيين يختلف تماما مع أسلوب وطريقة كل من بريطانيا وروسيا، والذى كان ينحصر

أساساً فى الحصول على نفوذ سياسى أو اقتصادى بالقوة فى أغلب الأحيان وبالحيلة والدهاء فى بعض الآحايين .

وقد حاول الألمان الحصول على امتياز انشاء خط سكة حديدية فى إيران، لكنهم لم يتمكنوا من الحصول عليه لمعارضة بريطانيا، ولكن بعد توقيع اتفاقية بين روسيا وألمانيا فى بوتسدام عام ١٩١١م ، وافقت روسيا بمقتضاها على قيام ألمانيا بمد خط سكة حديدية بين بغداد وخانقين ليتسنى لألمانيا تحقيق أهدافها.

وكانت إيران آنئذ واقعة تحت تأثير الدعايات الألمانية المؤيدة لهم والمناهضة لبريطانيا وروسيا حتى تجد لها مكانا على الساحة الإيرانية. وقد لاقت الدعايات الألمانية قبولاً حسناً لدى الإيرانيين، لا حبا فى ألمانيا كدولة والشعب الألمانى كأمة ، بل كرها للروس والبريطانيين الذين أذلوا إيران وشعبها . وكان الألمان يمدون أعضاء مجلس النواب الإيرانى ومسئولى إدارات الولايات ورؤساء الخانيات والعشائر سراً وعلناً بالأسلحة والذخائر والمهمات العسكرية المختلفة، كذلك انتشر الخبراء الألمان فى كافة إدارات الدولة ومؤسساتها للعمل كمتخصصين فنيين ومعلمين وأطباء ومندوبى شركات تجارية وصناعية ومبشرين دينيين . وأيضا كان يوجد ضباط ألمان لتعليم ضباط الجيش الإيرانى ، واتصلوا عن هذا الطريق بالمعلمين السويديين الذين كانوا مختصين بتدريب رجال الدرك، وتعاونوا معهم، واستقطبوهم أخر الأمر حتى أصبحت قوة الدرك الإيرانية إحدى القوى التى كان لها وزن آنئذ تحت سيطرة الألمان أيضاً .

أما عن التجارة، فقد نمى حجم التبادل التجارى بين ألمانيا وإيران بسرعة

كبيرة لحاجة الألمان إلى فتح أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ولتنشيط عجلة الصناعة، حتى أنه زاد أربع مرات فى الفترة من ١٩٠٣ حتى ١٩١٢ م . لكن هذا الرقم يشير أيضًا إلى سرعة نمو رأس المال الألمانى المستخدم فى إيران، وليس تفضيل ألمانيا على غيرها ؛ لأن مقدار الصادرات الألمانية إلى إيران كان من ناحية القيمة أقل من صادرات روسيا باثنتى عشرة مرة ، وست مرات أقل من صادرات بريطانيا إلى إيران فى نفس الفترة .

وإذا كان الألمان قد تساووا مع البريطانيين والروس فى الاشتراك الفعلى فى الإغارة على إيران ونهبها، فإن النفوذ السياسى والاقتصادى كان هزيلاً جدا بالنسبة لما أحرزته روسيا وبريطانيا من مزايا واستغلال .

العلاقات الإيرانية الأمريكية قبل الحرب العالمية الأولى :

أقامت إيران أول اتصال لها مع الولايات المتحدة الأمريكيـــة فى عام ١٨٢٩م، عنـدمـا بـدأ المبشرون البروتستانت نشاطهـم فى آذربيجان، أى فى شمال غرب إيران، وأسسوا مدرسة للسريان الأرثوذكس ، وفيها قام الأمريكيون بتدريس اللغة الإنجليزية ونشر تعاليمهم الدينيـة، ثم انتشر المبشـــرون فى المدن الكبرى بما فيـهـا طهـران وتبـريز مـحـاولين اسـتـقطــاب المسلمـين أيضـا . وقد أحـب الإيرانيـــون هؤلاء الأمريكيين لتقديم المساعدات المالية والعينية وعطفهم؛ فقد بنـوا المـــدارس وجـهـــزوا المسـتـشـفـيات وأوجـدوا نوعًـا من التـضـامـــن مع الشعـب الإيرانـــى فى مجالات عديدة.(١)

ورغم وجود علاقات دبلوماسية بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران، إلاّ أنه لم تظهر بوادر تقارب أمريكى إيرانى ، حيث كان همّ الولايات المتحدة الأمريكية التعاون مع بريطانيا لإحباط الجهود الروسيـة فى تحقيق السيطرة على إيران . ولكن العـلاقـات الجـيـدة بين الولايـات المتـحـدة الأمـريكيـة وبريطـانيـا لم تكن هـى السائدة باستمرار؛ ففى منتصف القرن التـاسع عشر وقفت بريطانيا فى طريق إقامـة عـلاقات بين الولايات المتحدة الأمـريكية وإيران، التى كانت تحاول جاهدة تنمية العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية لإيجاد توازن مع بريطانـا وروسيا . وورد تقرير للسفير الأمريكى لدى البـاب العـالى فى استانبول أن الإيرانيين ليسوا مـهـتمين فقط بعمل معـاهدة صداقة، بل أيضـا التدخل البحرى الأمريكى لإبطال النفوذ الأوروبى، وأبلغ القائم بأعمال السفارة الإيرانية فى استانبول بالمبدأ الثابت لسياسة عدم التدخل الأمريكية . وأخيرا وقّعت الولايات المتحدة الأمريكية معاهدة

(١) بهمان نيرومند : إيران : الامبريالية الجديدة فى العمل، ترجمة عدنان النول، مراجعة الدكتور عبد القادر ياسين ، نشر دار الكتب، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ٢٨.

صداقة وتبادل تجارى مع إيران فى ١٣ ديسمبر ١٨٥٦ م . ولكن الرئيس الأمريكى " جيمس بوكانان " أعلن أن بلاده ستستمر فى انتهاج سياسة عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى، بينما تتبع من ناحية أخرى سياسة التوسع التجارى . ولتحقيق ذلك أبلغ الرئيس بوكانان الكونجرس الأمريكى أن تخصيص الأموال لافتتاح مفوضية فى طهران سيكون هو الحل الأكثر ملائمة . ولكن تعثر الموضوع بعض الوقت لم تفتح المفوضية الأمريكية فى طهران إلاّ فى عام ١٨٨٣م . وقد تم ذلك نتيجة رغبة الولايات المتحدة الأمريكية فى حماية المبشرين الأمريكيين. وفى ١٤ فبراير ١٨٨٣م عينت الحكومة الأمريكية "صامويل بنيامين" قنصلا عاماً لها فى طهران برتبة وزير مفوض .

وشرع بنيامين فى ممارسة أعماله القنصلية، لكنه لم يكن يعلم أن السبب الرئيسى لإيفاده إلى طهران هو حماية المبشرين . فبدأ فور وصوله إلى إيــران فى العمل على توسيع التجارة الأمريكية والاستثمار . وأرسل تقريرا لحكومته قال فيه أن الإيرانيين يحبذون توقيع معاهدة سياسية مقابل امتيازات تجارية واسعة تشمل استغلال الثروات المعدنية من فحم وحديد ونحاس وبترول وخلافه ، ولكن الحكومـــة الأمريكيـــة لم تهتم بطلب توسيع العمليات التجارية، وقابل بنيامين الشاه القاجارى السلطان ناصر الدين شاه، الذى أفصح له بأن تقديم مزايا اقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية سوف يحد من التدخل السياسى للدول الأوربية فى إيران . ورغم كل العروض المقدمة من إيران وإلحاحهاعلى خوض الولايات المتحدة الأمريكية ميدان التعامل التجارى والاقتصادى معها، إلا أن الحكومة الأمريكية لم تستجب إلى توسلات إيران وإلحاحها . ورغم استمرار بنيامين فى الضغط على المسئولين الأمريكيين لتوسيع المصالح التجارية

والاقتصادية فى إيران، إلا أنها باءت بالفشل . وأخيرا استدعت الحكومة الأمريكية بنيامين عقابا له بسبب دخوله فى مشادة كلامية أشبه بمشاجرة مع الوزير المفوض الألمانى فى طهران .

وفى شهر مارس ١٨٨٥ م أكد الرئيس الأمريكى " كليفلاند " فى رسالته السنوية إلى الكونجرس أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تتورط فى المكائد السياسية للدول الامبريالية فى إيران . واستمر الوضع على ذلك حتى ١٨٩٩ م، عندما عُيّن «هربرت بوين » وزيرا مفوضا فى طهران، الذى لم يقبل سياسة اللامبالاة الأمريكية تجاه تصاعد القوة الروسية فى إيران، فعزم على احتواء انتشار النفوذ الروسى فى إيران باستخدام سياسة الباب المفتوح، لكن وصله خطاب لوْمٍ من الإدارة الأمريكية على تصرفاته وتصريحاته ولم يجد الوكلاء الدبلوماسيون الأمريكيون فى طهران سوى متابعة مهمتهم الأولى، وهى تقديم الحماية للمبشرين .

وأولت الولايات المتحدة الأمريكية إيران اهتماما كبيرا مع مطلع القرن العشرين، وكان أول عمل أقدمت عليه مساعدة إيران فى الكشف عن منابع البترول الغنية الفيّاضة فى جنوب إيران . ومع تأخر ظهور هذه العلاقة فإن الصلة بين البلدين زادت بالتدريج مع تدفق التجارة الأمريكية، ولم يزد حجم التبادل التجارى آنئذ بين البلدين على حجم التجارة الألمانية . أما من الناحية السياسية فقد أغمضت الولايات المتحدة الأمريكية عينيها على تعدّى روسيا وبريطانيا على إيران، والذى انتهى بانتهاكٍ كامل لحقوق إيران وإهدار كرامتها فى عقر دارها، حفاظًا من الولايات المتحدة الأمريكية على مبدأ سياسة عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى ، مع اتباع سياسة التوسع التجارى . وقد ظهر

ذلك واضحا فيما حدث مع الخبير المالى الأمريكى مورجان شوستر، وطرده من إيران بناءً على طلب الحكومة الروسية وموافقة شريكتها بريطانيا على ذلك، رغم أن البريطانيين كانوا معجبين بعمل شوستر، إلاّ أنهم كانوا مجبرين على مساعدة الروس وفقًا لبنود اتفاقية ١٩٠٧ السرية (١). كما كان الأمريكيون يؤيدون سياسة بريطانيا سرًا فى إيران .

كذلك كان لبعض الدول الأوربية بعض النفوذ فى إيران كفرنسا وبلجيكيا والسويد، لكن نفوذ هؤلاء كان لايقارن بأى حال من الأحوال بنفوذ كل من روسيا وبريطانيا وألمانيا .

إيران فى عهد محمد على شاه (١٩٠٦-١٩٠٩) :

تولى محمد على ميرزا حكم إيران خلفا لوالده مظفر الدين شاه فى سنة ١٩٠٧/١٣٢٤ هجرية باسم **محمد على شاه**، وأعلن صراحة فور توليه العرش القاجارى معارضته للدستور الذى حصل عليه الشعب الإيرانى فى عهد والده، وعمل على تشتيت أنصار الحركة الدستورية، وحلَّ مجلس النواب الإيرانى فى سنة ١٩٠٨ م . وسار على خطة والده فى عقد القروض، لكن مجلس النواب أبى عليه تحقيق رغبته فى الاستدانة التى كان سيملأ بها خزائنه الفارغة. فما كان منه إلاَّ أن عيَّن فى سنة ١٩٠٨ م رئيسا للوزراء على شاكلته هو " الأتابك الأعظم على أصغر خان "، حتى ينفّذ رغبته فى الاستدانة على الرغم من اعتراض مجلس النواب على تعيينه، وتعامل مع الدستوريين بخشونة زائدة، واعتقل بعض

---

(١) ترماس، أ. بريستون " العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط ، من ١٧٨٤ إلى ١٩٥٧م، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٥م ، ص ١٠١ - ١٠٦ و ١٣٢ - ١٣٨ .

رجال الدين، وكان منهم الشيخ فضل الله نوري، رجل الدين السياسي الشهير، وأخيرا اغتال أحد المتعصبين رئيس الوزراء، عندما كان يهم بالخروج من البرلمان في شهر يونيو ١٩٠٩ م .

أما أخطر حادثة وقعت في عهد ذلك الشاه المستبد، هو عقد روسيا القيصرية وبريطانيا اتفاقية سرية في سنة ١٩٠٧ م ، تعرف باتفاقية بطرسبرج والمشهورة بـ " اتفاقية ١٩٠٧ السرية "، قُسِّمت إيران بموجبها إلى منطقتي نفوذ .

اتفاقية ١٩٠٧ Anglo-Russian Convention

رأت بريطانيا أن تحقق شيئا ما ليخفف عن كاهلها كثيرا من الأعباء المالية والسياسية والعسكرية على حكومة الهند البريطانية التي كانت تنفق جزءاً كبيراً من ميزانيتها على شئون الدفاع والصراع الدائر بينها وبين روسيا على إيران ومناطق آسيوية أخرى . ومن ناحية ثانية أدت هزيمة روسيا في الحرب اليابانية إلى نتائج بعيدة المدى، كان أهمها انحياز الحكومة الإيرانية إلى بريطانيا في محاولة لإنهاء مكانة روسيا في إيران ، ثم جنوح روسيا إلى التفاهم مع بريطانيا التي كانت تحبذ الوصول إلى تفاهم مع روسيا بعد استفحال الخطر الألماني في الشرق . وقامت فرنسا بدور الوسيط بين حليفتها روسيا القيصرية وصديقتها بريطانيا حتى تم توقيع الاتفاق البريطاني الروسي في ٣١ أغسطس ١٩٠٧، متناولاً **التبت وأفغانستان وإيران** . ففي صدد التبت، اعترفت الدولتان المتعاقدتان على سلامة أراضي التبت تحت سيادة الصين ، واتفقتا على عدم التدخل في شئونه الداخلية والامتناع عن السعي وراء الحصول على امتيازات خاصة فيها . وعلى هذا النحو تقرر أن تبقى بلاد اللاما حاجزا بين الروس والبريطانيين . أما أفغانستان، فقد صرحت روسيا بأنها خارج منطقة نفوذها

السياسي، مقابل وعد بريطاني بألاّ تحتل البلاد، ولا تضمها إلى أملاكها طالما يوفي أميرها بتعهداته . وبناء على ذلك سحبت روسيا معتمديها السياسيين في هراة ، ووافقت على ألاّ تخاطب أمير أفغانستان في أي شأن إلاّ عن طريق البريطانيين . وبذا لم تعد أفغانستان مسرحاً لدسائس الروس ضد الهند، وزال عن بريطانيا ذلك الكابوس المخيف الذي أقلقها أكثر من قرن من الزمان .

أما **إيران** ، فقد كانت بلا ريب أهم مسألة تناولها هذا الاتفاق السرى .ومع أن ديباجة الاتفاقية تحتوى على تعهد الدولتين باحترام استقلال إيران وسلامة أراضيه؛ فقد قسّم الاتفاق إيران إلى مناطق ثلاثة على النحو التالي :

١) **القسم الشمالي** : وهو أغنى الأقسام الثلاثة وأكبرها وأكثرها سكانا منطقة النفوذ الروسية، وتشمل الأجزاء الشمالية والشمالية الغربية من إيران ابتداءً من قصر شيرين على الحدود العراقية (العثمانية آنئذ) ويمتد حتى اصفهان ومنها بخط مستقيم حتى يصل يزد، ثم ينحرف بخط مستقيم حتى يتلاقى مع حدود روسية وإيران وأفغانستان، وتقع فيه مدن أصفهان ويزد وكاخ . ولا تسعى فيه بريطانيا الحصول على امتيازات سياسية أو تجارية لنفسها أو لدولة أخرى، وإطلاق يد الروس فيها . بل وتعهدت بريطانيا بمساعدة روسيا عند تعرض المنطقة لأية أخطار أو تهديدات خارجية .

٢) **القسم الجنوبي** : وهى منطقة النفوذ البريطانية، وهى عبارة عن صحراء جرداء؛ لكن فيها الطرق المؤدية إلى الهند . وتبدأ من الحدود الإيرانية الأفغانية حتى بيرجند ، ومنها إلى كرمان ، وينتهى الخط عند بندر عباس على مدخل الخليج الفارسي . وتعهدت روسيا بنفس الشروط التى تعهدت بها بريطانيا لها من عدم اعتدائها على منطقة النفوذ البريطانية وإطلاق يد بريطانيا فيها .

٣) القسم الأوسط : وهى المنطقة المحايدة، وتقع بين المنطقتين . وتعهدت الدولتان المتعاقدتان على ألا تسعيان إلى الحصول على امتيازات خاصة فيها إلا باتفاقهما . كما اتفقتا على تركها لأى نفوذ أو مجال سياسى من كليهما أو أية قوة أجنبية أخرى .

والغريب فى الأمر أن الحكومة الإيرانية لم تُحِط علْما بهذه الاتفاقية السرية المشبوهة ، ولم يكن لدى المسئولين الإيرانيين أية معلومات عنها . وعندما اعترضت الحكومة الإيرانية على الاتفاقية بعد اكتشافها بمدة، لم تلق جوابا من الدولتين الموقعتين على الاتفاقية، وكانت النتيجة الحتمية لهذه الاتفاقية أن قيّدت الحكومة الإيرانية وشلّت يدها، وبدأ التدخل السافر من كلتي الدولتين الإمبرياليتين ؛ بريطانيا وروسيا فى المسائل الداخلية الإيرانية حتى تلك المتعلقة بمصير ومستقبل الشعب الإيرانى . ثم إن تصرّف بريطانيا وروسيا فى منطقتي نفوذهما كان وكأن المنطقتين ولايتان من بلديهما .

وعلى هذا النحو سوّت الامبراطوريتان الإمبرياليتان المتنافستان ؛ بريطانيا وروسيا القيصرية خلافاتهما الخاصة بمناطق نفوذهما . وقد سبق اتفاق بريطانيا وروسيا على المسائل الآسيوية اتفاق مشابه بريطانى فرنسى على المسائل الاستعمارية لكل من مصر ومراكش، فى أبريل ١٩٠٤ وتمكنتا آخر الأمر وبنفس الأسلوب من إزالة أسباب الاحتكاك والنزاع بينهما . ومع أن الاتفاق البريطانى الروسى كان موضع نقدٍ لدول عديدة بصفته اتفاقًا جائرًا على إيران ، إلاّ أنه قوبل باستحسان فى بريطانيا بصفة عامة، على أنه خطوة هامة أخرى بعد تنظيم العالم بطرق سلمية . أما ألمانيا فإنها نظرت إلى الاتفاقية على أنها تطويق لها بحلقة من الأعداء .[١]

---

(١) فيشر، هـ.أ.ل : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، تعريف أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ، ص ٤٣٦ – ٤٣٧ .

وعندما حاول محمد على شاه، صاحب الروح الاستبدادية معارضة البرلمان لمناقشته قضايا الخزانة الخاصة ضمن دراسته قضايا البلاد الاقتصادية والسياسية المعقّدة، ومحاولة المجلس النيابى تفهُّم طرق الإصلاح، تسربت أنباء الاتفاق السرى البريطانى الروسى إلى العاصمة طهران [1] . وقد أحدثت تلك الأنباء استياءً عاماً فى صفوف القوميين الإيرانيين والدستوريين الذين كانوا يظنون خيرا بموقف الدولتين الإمبرياليتين حيال الحركة الإصطلاحية . فما كان من الوزير المفوض الروسى وزميله الوزير المفوض البريطانى فى طهران إلا أن قدما مذكرة مشتركة فى ١١ سبتمبر ١٩٠٧ م إلى الحكومة الإيرانية، وسُلِّمت نسخة منها إلى رئيس مجلس النواب الإيرانى يبرّران فيها موقف حكومتيهما من الاتفاقية، وأنها فى صالح الشعب الإيرانى وحافظة على وحدته . وتبع ذلك إرسال الوزير المفوض البريطاني رسالة شخصية إلى وزير الخارجية الإيرانية بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩٠٧م حول نفس الموضوع، وتصر على أن الاتفاقية لرفاهية الشعب الإيرانى وأمنه . [2]

والواقع أن بريطانيا هى التى بدأت الاتصال بروسيا لأجل الوصول إلى هذه الاتفاقية التى سدّت على روسيا منفذ الهند، واعترفت بمنطقة الخليج الفارسى ضمن دائرة الحماية البريطانية دون منازع، كما اعترفت بأفضلية بريطانيا فى جنوب إيران .

رد الفعل الإيرانى على اتفاقية ١٩٠٧ :

اشتعل الوعى القومي الإيرانى بين الطبقات المثقفة بعد معرفتهم بالاتفاقية

1 Brown, E.G .' The Persian Revolution, 1905-1908 London, 1910, P. 89 .
2- Ibd; PP 90 - 92 .

وبنودها، وبات من المستحيل على الجمعيات الدستورية الوقوف مكتوفة الأيدى، خاصة وقد أصبحت آنئذ قوية ومتماسكة إلى درجة كبيرة . وارتبكت الأحوال فى طهران، وصمم المثقفون على الوقوف فى وجه الشاه الطاغية ؛ وكان رد محمد على شاه على طلب البرلمان بوجوب طرد مستشاريه أن أمر بالقبض على وزرائه ، وهدد بقتلهم جميعا . فما كان من ناصر الملك رئيس الوزراء إلا أن أرسل أحد مرؤسيه إلى المفوضية البريطانية ليخبر المسئولين فيها عن الحادث المنتظر . فهرع المستر تشرشل السكرتير الشرقى بالمفوضية إلى قصر الشاه، وتمكن بعد جهد من اقتناع الشاه بعدم إعدامهم، وهرب ناصر الملك إلى أوربا . (١)

وفى تلك الفترة كانت لجنة خاصة بمجلس النواب الإيرانى قد أتمت اللائحة المتممة للقانون الأساسى ، وذلك فى شهر ما يو سنة ١٩٠٧ م (ربيع الأول ١٣٢٥هـ) وكان هذا القانون يشتمل على ١٠٧ مادة، تتعرض بالشرح والتفصيل لحقوق الشعب الإيرانى وطريقة انتخاب مجلس الوزراء، والاستفادة من الموارد الحكومية فى المنفعة العامة، ورواتب ومزايا أعضاء مجلس الشورى الوطنى ومجلس الشيوخ - والذى لم يكن قد تشكل حتى ذلك الحين ، وتفويض التاج والعرش الإيرانى إلى محمد على شاه وخلفائه من بعده من أفراد الأسرة القاجارية، ورواتب ومخصصات الشاه والوزراء، وإطلاق حرية عمل القضاة لإصدار أحكام عادلة، وأخيرا التعريف وتوصيف الولايات الإيرانية وإدارتها وغير ذلك من الأمور التنظيمية .

وخالف محمد على شاه هذا القانون، وإن كان قد وافق عليه أول الأمر وفى نفس الوقت عمل على إعاقة توقيعه ؛ لكنه تحت الضغط الشعبى اضطر

---

(١) محمد على الداود، دكتور ؛ الخليج العربى والعلاقات الدولية، الجزء الأول(١٨٩٠-١٩١٤م)، نشر دار المعرفة، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٧٨-١٧٩ .

إلى الموافقة عليه وتوقيعه في شهـر نوفمبـر ١٩٠٧ (٢٩ شعبان ١٣٢٥ هـ) . وفي الشهر التالي اجتمع مجلس النواب (الشورى الوطني) في أول جلسة له للنظر في ميزانية الدولة ؛ فحذف المصروفات الزائدة وتلك التي تنفق في غير موضعها، وإلغاء الاقطاع، وشطب النفقات الشخصية الزائدة لمحمد على شاه وسائر الوزراء والولاة والأمراء . وقرر مجلس النواب التقشف في النفقات لسد العجز في الميزانية وإضافتها إلى الإيرادات .

وكان محمد على شاه غير راض تمامـا ومستاء من المبلغ المخصص له . ومع توجهه إلى مجلس النواب في ١٢ نوفمبر ١٩٠٧ م (شوال ١٣٢٥) أقسم للمرة الثانية أنه مؤيد للقانون، لكنه بعد شهر واحد عمل على محو المجلس منتهزا فرصة قيـام أحداث داميـة في ميدان " توپ خانه " (ميدان المدفعية) تزعمتها الطبقات المثقفة واشترك فيها العامة بعد اشتداد الوعى القومى عندهم . وقامت قطيعة حادة بين الشاه وكافة طبقات الشعب الإيراني .

وفي شهر مايو ١٩٠٨ م (ربيع الثاني ١٣٢٦ هـ) تمت محاولات لتحسين العلاقة بين محمد على شاه ومجلس النواب، وقَبِل المجلس شكوى الشـاه المريرة من الحملات الصحفية وخطب الوعاظ ضده في مساجدهم . وفي مقابل ذلك طلب منه أعضاء مجلس النواب الوطني طرد معلمه السابق سئ السمعة شاپشال خان الروسي، الذي كان ألدّ أعداء الدستور وبعض الشخصيات التي على شاكلته، ومع تهدئة الصحف والوعاظ من هجومهم فإن محمد على شاه لم ينحي شاپشال خان وبقية مؤيـدى الاستبـداد، ولم يفعل حيالهم شيئا .

وفي شهر يونيو ١٩٠٨ م (جمادى الأولى ١٣٢٦ هـ) ساءت العلاقة للمرة الثانية بين الشاه ومجلس النواب، فما كان من محمد على شاه إلا أن طرد وزراءه،

وشكل حكومة عسكرية، وعين ضابطا روسيا هو العقيد (پالكونيك) لياخوف Col.Liakhov قائداً لقوات القوزاق الإيرانية .

الپالكونيك لياخوف يقصف البرلمان بمدافعه:

وفـــى الثالث والعشرين من نفـس الشهــر (يونيو ١٩٠٨)، ورغم موافقة محمد علـى شاه فى اليوم السابق (أى يوم ٢٢ يونيو) على مقترحات أعضاء مجلس النواب، إلاّ أنه فاجـأهم بمحاصرة القوزاق لمنزل وحديقة حاجي ميرزا حسين خان سپهسالار ، الذى كان مقر المجلس النيابى . وشرع المتطوعون الوطنيون يصلون تباعا للاشتراك فى الدفاع عن مجلس النواب، الذى كان يمثل الحرية والأمل للشعب الإيرانى . وأمر لياخوف بقصف مجلس النواب بالمدفعية ودكّه على مَنْ فيه . ورغم الدفاع البطولى للأحرار والوطنيين عن المجلس، إلاّ أنهم هُزموا ، وفرض الشاه على العاصمة الأحكام العرفية؛ فقتل من قـتل، وقبـض على بعضـهم ، وكانوا أعضاء مجلس النواب والوعاظ ؛ ومن الزعمـاء البارزين سيد جمال الدين الأصفهانى، وميرزا نصر الله ملك المتكلمين وميرزا جهانگير خان الشيرازى، وفر كثيرون مثل سيد حسن تقى زاده عضو المجلس عن مدينة تبريز، وتوجه الكثير إلى مقر المفوضية البريطانية وتحصنوا فيها ، وقبلت المفوضية حمايتهم .

تلي ذلك إعلان محمد على شاه تشكيل حكومة مستبدة فى ظل الأحكام العرفية . وهذه الفتـــرة المظلمة القاسيــــة من تاريـــخ إيـران تعـــرف بـاسم « الاستبداد الصغير » وفى بدايتها استمر الأحرار يكافحون ضد تسلط ونفوذ محمد على شاه . ولأول مـــرة قامـــت فى تبريز، العاصـمة الثانـيـة لإيــران فى العصر القاجارى ومقرولى العهد، ثورة شعبية فى تلك الفترة، وحاصرت جنود

الشــاه بقيــادة عين الدولة المدنيـة، وانتـهى الحـصـار فى شـهـر أبريل ١٩٠٩ م (ربيع الأول ١٣٢٧ هـ) بعد أن دخل الجنود الروس المدينة بدعوى حماية الأجانب .

وقوف الأحرار فى وجه محمد على شاه :

ومع كل هذه الضغوط وعمليات القهر والقمع ظهر المطالبون بالدستور، وتجمعوا مرة أخرى وأصبحوا قوة لا يستهان بها؛ خاصة فى أصفهان حيث كان نفوذ خانات البختيارية كبيرا، فانضموا إليهم. كما استولى محمد ولى خان تنكابنى (سپهدار) على مدينة رشت . وفي شهر يونيو ١٩٠٩م (جمادى الأولى ١٣٢٧هـ) تحركت قوات حاج قلي خان (سردار أسعد) البختيارى إلى طهران، وهرعت قوات الثوارفى رشت إلى العاصمة طهران بعد سماعها بتحرك البختياريين . ولم يكن مع محمد على شاه من قوة عسكرية سوي خمسة آلاف جندى يأتمرون بأمره، وأعلنت الحكومة الروسية حمايتها لمحمد علي شاه، وأرسلت له دعمًا عسكريا قوامه ثلاثة الاف جندى نزلوا فى ميناء أنزلى الواقع علي الساحل الجنوبى لبحر قزوين.

وسرعان ما التحمت قوات الشمال (رشت) بقــوات الجنـوب (أصفهان) وانضمت إليهم جماعات مسلحة من طالبى الدستــور، واشتبكــوا مع قوات الشاد القاجارى وهزموها بعد مقاومة ضعيفة يائسة، ودخلوا العاصمة طهران .

وتجمعت قوات محمد على شاه مرة أخرى ووحدت صفوفها، وقاموا بهجوم مضاد على العاصمة واستولوا عليها ؛ لكنهم هزموا بعد دخولهم طهران هزيمة منكرة، وفرّوا جميعا لا يلوون علــى شئ . فما كان من محمـد على شـاد إلاّ أن التجـأ فى ١٦ يونيو ١٩٠٩م (جمادى الثانية ١٣٢٧ هـ) إلى المفوضية الروسية فى زرگنده إحدى ضواحى طهران . وفى تلك الليلة اجتمع القادة الوطنيون وكبار رجال الدين وبقايا نواب البرلمان فى دورته الأولى، وأصدروا بيانا خلعوا فيه محمد

على شاه وانتخبوا فى نفس الجلسة إبنه الأكبر " سلطان أحمد ميرزا "، والذى لم يكن قد جاوز الحادية عشرة من عمره ملكا على البلاد . ونظراً لصغر سنّه عين المجتمعون الأمير على رضا خان " عضد الملك " أكبر أعضاء الأسرة القاجارية سنّاً نائبا للملك، أى وصيا على العرش ، وكان رجلا طاعنا فى السن ذا مهابة ووقار يجلّه الجميع . أما محمد على شاه فقد خرج من إيران بمساعدة مفوضيتي روسيا وبريطانيا وتحت حراستهما بعد أن عيّنت له الحكومة الإيرانية راتبا مناسبا .

والتجأ الشاه المخلوع محمد على إلى روسية على أمل شنّ حرب لاستعادة التاج والعرش الإيراني بالقوة . وانتهز فرصة حدوث شقاق وخلاف بين الثوار والمعتدلين وتدهور الأحوال فى العاصمة طهران حتى تقدّم على رأس قواته إلى إيران مستقلا سفينة قدمت به إلى الساحل الإيرانى لبحر قزوين، ونزل الشاه المخلوع وجنوده فى " گوموشْتَر تپه " فى جرجان، ولحقه أتباعه والرجعيون والمستفيدون من حكمه لدعمه وتأييده . ومع أن هذا الموضوع قد أثار اضطرابا وفوضى فى العاصمة الإيرانية طهران ، لكن الوطنيين جمعوا صفوفهم بسرعة، وتحركوا لمواجهة قوات الشاه المخلوع المتقدمة نحو طهران . واشتبك الطرفان فى معركة غير متكافئة، إنهزم فيها جنود الشاه المخلوع محمد على ، وتشتت أنصاره وفر الشاه المخلوع بنفسه من أرض المعركة لا يلوى على شئ حتى تمكن من الوصول إلى الحدود الروسية فى حالة يرثى لها.

ولاشك أن أطماع روسيا القيصرية اللامحدودة وتدخلها السافر ودعمها الشاه محمد على المستبد كان يؤلف عاملاً أساسيا لما وقع من فتن داخلية ومآسى إنسانية وفقر مما أضعف مركز الحكومة الإيرانية وشل حركتها نحو النهوض بالشعب الإيرانى المغلوب على أمره .

إيران فى عهد أحمد شاه (١٩٠٩ - ١٩٢٥) :

تولى سلطان أحمد ميرزا بن محمد على شاه العرش القاجارى بعد خلع والده والتجائه إلى روسيا، وكان فى الثانية عشرة من عمره ؛ فعُيِّن عضد الملك أحد زعماء الأسرة القاجارية وصيًا عليه . وفى تلك الفترة التى صاحبت الاضطرابات وخلع الشاه محمد على ، والاشتباكات الدموية بين الأطراف المتصارعة، ساء الوضع المالى فى إيران، وخويت خزائن الدولة، واضطرب العمل بوزارة المالية . ومما زاد الأمر سوءًا وفاة عضد الملك فحل محله ناصر الملك فى سنة ١٩١٠م (١٣٢٨ هـ) .

الاقتصادى الأمريكى مورجان شوستر :

أراد المجلس النيابى الإيرانى النهوض بإيران، فاستقر رأيه على استقدام خبراء فى الشئون المالية من الولايات المتحدة الأمريكية للإشراف على الإدارة المالية وتنظيم الاقتصاد الإيرانى. ومع اعتراض روسيا على تلك الخطوة ، إلاّ أن الحكومة الإيرانية استدعت الأمريكى" مورجان شوستر" W.MORGAN SHUSTER، للعمل بها أمينا عاما للخزانة الإيرانية بعقد مدته ثلاث سنوات، وكان يعمل موظفا ببنك " يونيون ترست " Union Trust Bank الأمريكى فى واشنطن، وأحضر معه أربعة مساعدين من مواطنيه الأمريكيين، واستقبلت طهران بحفاوة بالغة شوستر ورفاقه فى شهر مايو ١٩١١ م . وفى ١٣ يونيو من نفس العام أصدر مجلس النواب الإيرانى قانونا فوض فيه شوستر إدارة مالية إيران بحرية كاملة .

ومع أن شوستر ورفاقه كانوا مؤيدين من الحكومة الإيرانية، ومن أكثر أعضاء مجلس النواب الإيرانى، وتطلُّع العامة إليه فى إصلاح اقتصاد بلدهم، لكن وقفت

دولتا بريطانيا وروسيا فى وجه إصلاح مالية إيران لعدم رغبتهما فى أى تقدم تحرزه إيران على يديه، وانضم إليهما موظفو الجمارك البلجيكيين، ووضعوا العراقيل قبل أن يبدأ شوستر فى مهمته، وحرّضوا أكثر أصحاب الأراضى وكبار الاقطاعيين على التمسك بالنظام القديم .

وبدأ شوستر عمله بعد أن درس الاقتصاد الإيرانى دراسة عميقة، ووصل إلى جذور الفساد، وعمل على تلافى العيوب الموجودة وإصلاح الخلل وطرق تنمية موارد الدولة الإيرانية، ورأى أن فقدان الأمن الداخلى من الأسباب التى تزيد الوضع الاقتصادى سوءًا ولاقت حلوله ومقترحاته قبولا واستجابة من الحكومة الإيرانية، وشكّل شوستر جاندرمة (قوة أمن داخلية) خاصة بالإدارة العامة للإيرادات بغرض تسهيل مهمتها، وأسند قيادة تنظيم وتدريب قوى الأمن الداخلى هذه إلى " الميجور ستوكس" major Stokes الملحق العسكرى البريطانى، والذى كانت انتهت خدمته فى المفوضية البريطانية . وكان ستوكس خبيرا فى الشئون الإيرانية لطول إقامته فى إيران، ويعى تماما وضع الحكومة الإيرانية، ويتحدث اللغة الفارسية بطلاقة؛ فكان جديرا بهذا المنصب، ولكن كان يؤخذ عليه مجاهرته العداء للروس . وعندما اعترضت روسيا على تعيينه وقفت بجانبه الحكومة الإيرانية ؛ فقدّم الوزير المفوض الروسى فى طهران مذكرة شديدة اللهجة إلى وزارة الخارجية الإيرانية على تعيين ستوكس فى هذا المنصب . وأخيرا خاب ظن شوستر فى تشكيل قوة عسكرية جديدة فى إيران بعيدة كل البعد عن نفوذ الدولتين الروسية والبريطانية لتكون باعثا على تقوية الحكومة المركزية فى طهران.

وفى شهر نوفمبر ١٩١١ (ذى القعدة ١٣٢٩ هـ) صممت الحكومة الروسية على تنحية شوستر وزملائه عن العمل بعد أن درس وضع إيران المالى والإدارى ،

وعَرَف علّة الفساد الذى أودى بالحكومة الإيرانية إلى هذه الحالة من السوء الإدارى والجهل المطبق، ووضَعَ لكل مرض علاجه ؛ فتذرّعت الحكومة الروسية بموضوع مصادرة أملاك شعاع السلطنة شقيق الشاه المخلوع محمد على، وعمّ الشاه أحمد المتربع على عرش إيران . وكان الأمير شعاع السلطنة يستمد نفوذه وقوته من دعم روسيا له ؛ وعندما تدخل القنصل العام الروسى فى طهران فى هذه القضية، وإعلانه حماية الأمير القاجارى، تحدث شوستر بحدّة معه، فأرسلت الحكومة الروسية إنذارًا إلى الحكومة الإيرانية طلبت فيه ما يلى :

١- اعتذار الحكومة الإيرانية على تصرف شوستر.

٢- عزل شوستر .

٣- إخراج شوستر من إيران خلال ثمان وأربعين ساعة .

وأخذت المشكلة التى أثارتها روسيا بسبب شوستر تشكل خطراً كبيرا بين الدولتين الامبرياليتين ؛ روسيا وبريطانيا، رغم الاتفاق السرى الموقع بينهما بشأن إيران فى سنة ١٩٠٧ م . وقد أعطى طرد شوستر اهتماما بالغا من المهتمين بالشئون الإيرانية، حتى أصبحت قضية دولية عامة . أما الشعب الإيرانى فإنه لم يوافق على أن تقع إيران تحت رحمة الإنذار الروسى . وقد صاحب تلك الضجّة تحرّك وحدات روسية نحو العاصمة طهران ؛ فاضطرت الحكومة الإيرانية إزاء خشونة روسيا وجبروتها إى إنهاء البعثة المالية برئاسة مورجان شوستر . وعقد مجلس النواب الإيرانى فى شهر ديسمبر ١٩١١م (المحرم ١٣٣٠ هـ) جلسة طارئة لبحث مشكلة شوستر والإنذار الروسى، وانتهى بقبوله الإنذار الروسى وتنفيذ مواده . أما بريطانيا فقد كانت يدها مغلولة بسبب اتفاقية ١٩٠٧م، ولم تتدخل فى الموضوع . ولم تكتفى الحكومة الروسية بانتصارها فى قضية شوستر،

بل أسرعت وأجبرت الحكومة الإيرانية على تعطيل مجلس النواب الإيراني، ومنع صدور أكثر الصحف، خاصة تلك التي كانت تؤيد شوستر .وقد أثبت شوستر كل هذه الوقائع في كتابه " خنق إيران " Strangling Of Iran .

تلي ذلك - والذي يعتبر ثاني تدخل روسي امبريالي سافر - إقدام الروس على قمع الوطنيين في تبريز، وفعلوا الكثير من صنوف المآسي والظلم، وأعدموا ثقة الإسلام قائد مسيرة الوطنيين، أحد رجال الدين الأحرار وبضع شخصيات دينية أخرى من المتزعمين للثورة، وعيّنوا شخصا إيرانيا غشوما ظالما سيئ السمعة من أعوانهم واليا على تبريز، الذي تصرف مع أهالي المدينة بقسوة بالغة .

أما ثالث تدخل روسي سافر قبيل الحرب العالمية الأولى، والذي تم في عهد أحمد شاه فكان قصف المدافع الروسية ضريح الإمام على الرضا في مشهد في ٢٩ مارس ١٩١٢ م بحجّة أن الرعايا الروس في المدينة المقدسة أصبحوا في خطر نتيجة الاضطرابات التي أثارها الوطنيون الإيرانيون ضدهم .

وبعد هذا التهديد المتعمد والقصف العشوائي أصبح القسم الشمالي من إيران في قبضتهم بعد أن قنع البريطانيون بالعمل على إقرار النظام في منطقة نفوذهم بمساعدة قوات الأمن الإيرانية التي كان يقودها ضباط سويديون . وبذلك تحولت إيران قبل الحرب العالمية الأولى إلى دولة شبه مستعمرة تابعة لروسيا وبريطانيا . وكان نفوذ روسيا أكبر من نفوذ حليفتها بريطانيا في إيران ؛ لقد كانت تستطيع إسقاط الوزارات وإبعاد الوزراء وتعيين غيرهم، كما فعلت أكثر من مرة عشية الحرب العالمية الأولى، بل وفي سنواتها كما سنرى فيما بعد .

الباب الثانى

إيران فترة الحرب العالمية الأولى

١٩١٤ - ١٩٨١

الحياة العامة فى إيران

قبيل الحرب العالمية الأولى

كانت إيران قبيل الحرب العالمية الأولى، بل وفى بدايتها، دولة مستقلة رسميا، وكانت لها حكومة ملكية دستورية، حَصَلَ عليها الشعب - كما سبق أن ذكرنا - بعد سلسلة من الثورات والانتفاضات الشعبية مطالبا بالحرية والديمقراطية وحكم دستورى، أزهقت فيها أرواح الآلاف من الإيرانيين، ناهيك عن المعوقين نتيجة الصدام الدموى، يضاف إليهم من أعدمتهم الحكومة الإيرانية، أو زجت بهم فى السجون . وما أن نجحت الثورة حتى فوجئ الشعب الإيرانى بأن دولته الدستورية ناقصة وتقليدا ممسوخا للنماذج الغربية . وكان يوجد مجلس نواب منتخب " برلمان " يسمى " مجلس "، كان كل أعضائه تقريبا من الأعيان والإقطاعيين وأصحاب النفوذ، ولم تغير الثورة الإيرانية التى يسمونها " انقلاب مشروطيت " الأساس الإقطاعى، بل حافظت عليه، ولم تسلك مذهبا سياسيا مستحدثا من الواقع المحلى أو مستوردا من الغرب . وظهرت جماعة من الرأسماليين من بين أصحاب الأراضى الإقطاعيين، صاروا القوة السياسية المحركة فى إيران، وكانوا يتناوبون المناصب الوزارية على فترات قصيرة ؛ بينما كان يجلس على العرش القاجارى السلطان أحمد شاه (١٩٠٩ - ١٩٢٥م) / (٢٣٢٦ - ١٣٤٣ هـ) خلفا لوالده محمد على شاه، بناءً على قرار مجلس الشورى العالى المكون من رجال السياسة ورجال الدين عام ١٩١٠م .

كان السلطان أحمد شاه فتًى لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ؛ فعين الأمير عضد الملك رئيس عشيرة قاجار وأكبر الأمراء سنا وصيًا على العرش، وافتتح مجلس النواب رسميا فى يناير ١٩١٠م (ذى القعدة ١٣٢٧ هـ)، لكن الوضع

الإيراني كان مضطربا في تلك الفترة، وزادها اضطرابا التدخل السافر لدولتي بريطانيا وروسيا . وتوفي الوصي على العرش عضد الملك في سنة ١٩١١م (١٣٢٨ هـ) فخلفه أبو القاسم خان ناصر الملك قراجوزلو في الوصاية على العرش . وفي ٢٢ يونيو ١٩١٤م (٢٨ شعبان ١٣٣٢ هـ) أعلن رسميا اعتلاء أحمد شاه العرش القاجاري، وانتهت بذلك وصاية ناصر الملك قراجوزلو. كما عين أخوه محمد حسن ميراز وليا للعهد . ولم تمض على ذلك بضعة أسابيع حتى قامت الحرب العالمية الأولى . وفي خطبة العرش الأولى التي ألقاها الشاه الجديد أعلن حياد إيران : لكن هوى الشعب الإيراني كان مع الألمان لأنهم كانوا أعداء روسيا . أما بريطانيا فقد كان الشعب الإيراني يكن لها الكراهية والبغض بسبب اتفاقية ١٩٠٧م السرية وتصرفاتها الاستعمارية، مما أدى إلى خصومة الشعب الإيراني لبريطانيا وكراهيته لها .

وكانت سيطرة الحكومة المركزية في طهران عاجزه أمام القبائل العربية والعشائر اللورية والكردية والتركمانية، الذين كانوا أصحاب قوة ويعيشون حياة بدوية، وكانوا منتشرين في مختلف الولايات الإيرانية ومسلحين تسليحا لا يستهان به ؛ فبقي أولئك وهؤلاء مستقلين عن الحكومة المركزية، يضاف إلى ذلك صغر سن السلطان أحمد شاه وقلة خبرته ؛ فكان أصغر وأضعف من أن يكون قادراً على تسيير شئون الدولة بحكمة وعزم . وفي مثل هذه الأحوال لم يعن الحياد الذي أعلنته إيران بصورة رسمية شيئا كثيرا . وكما سنرى فيما بعد أنه لم يكن يمنع الدول المتحاربة من استعمال الأراضي الإيرانية ميادين للحروب حينما كانت تملي عليها مصالحها .

وكانت حكومات الولايات في أيدي شيوخ القبائل وخانات العشائر والرأسماليين

الذين كانوا أصحاب أملاك واسعة بما فيها من مدن صغيرة وقرى ومضارب خيام . وكانت لهم قوات خاصة بهم شبه عسكرية . أما السواد الأعظم من الشعب الإيراني فكان يتكون من الفلاحين الأجراء . ويمضى الوقت ومع قسوة الحياة والاستبداد وشدة الحاجة صاروا أكثر فقرا وتعاسة، مما أجبر الكثير من المزارعين على ترك أراضيهم والهروب إلى المدينة، لكن كان يخيب ظنهم وتتبخر آمالهم في الحصول على لقمة العيش لعدم وجود أعمال لهم بسبب عدم رشد الصناعة ؛ فيجدون أنفسهم مكرهين إلى الإنضمام إلى جيش العاطلين والمتشردين والمتسولين . كما هاجر من الإيرانيين خارج بلدهم عندما كانت تتاح لهم فرصة الانتقال إلى البلاد المجاورة لإيران كروسية والدولة العثمانية ومشيخات الخليج الفارسي ودول أخرى، منها مصر التي هاجر إليها آنئذ قرابة تسعين ألف شخص للحصول على لقمة العيش .

وهكذا كانت الدولة الإيرانية عاجزة تماما من الناحيتين السياسية والاقتصادية ومكبلة بالقروض والامتيازات ؛ ففي بداية الحرب العالمية الأولى حصلت إيران على قرض بلغ سبعة ملايين جنيه استرليني من بريطانيا، وكانت تدفع ثلث واردات خزينتها لسداد فوائد هذا الدين وكانت بريطانيا وروسيا هما الدائنين الأصليين والأساسيين لإيران، كما كانتا تتحكمان في مصادر الثروة الاقتصادية في إيران .

وباختصار كانت إيران في عهد السلطان أحمد شاه القاجاري، آخر من حكم من الأسرة القاجارية قد بلغت حالة كبيرة من التدهور إلى درجة أن كلمة من إحدى القنصليات الروسية المنتشرة في إيران كانت نافذة أكثر من أمر تصدره الحكومة المركزية في طهران، بل وقد ذهبت روسيا وبريطانيا إلى أبعد من ذلك

وقسمتا إيران فى عام ١٩٠٧م إلى ثلاث مناطق نفوذ، تلاه احتلالهما إيران بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ م .

الشرق الأوسط والحرب العالمية الأولى :

وقعت المعارك الحربية الحاسمة التى نشبت فترة الحرب العالمية الأولى فى أوروبا بين طرفين ؛ الطرف الأول دول الوفاق وتشمل أساسا إنجلترا وروسيا وفرنسا، والطرف الثانى دول الوسط وتشمل ألمانيا وامبراطورية النمسا - المجر والدولة العثمانية . وكانت الحرب بمفهومها العسكرى حرب أوروبية نشبت لأسباب اقتصادية وهيمنة سياسية وضم مستعمرات، بينما كانت العمليات الحربية فى الشرق الأوسط ذات أهمية حاسمة من الناحية الاستراتيجية العامة، وفى نفس الوقت كان من الممكن أن يكون لمصائر الحروب التى دارت فى الشرق الأوسط ذات تأثير عميق على ما تؤول إليه الحرب فى أوروبا . نستشف ذلك أنه عندما فتحت الدولة العثمانية، وهى إحدى دول الوسط، جبهة جديدة أضعفت روسيا القيصرية، وأثرت على سلامة الشريان الحيوى البريطانى بمستعمراتها فى الشرق، واستفادت ألمانيا كثيرا من هذا الموقف الجديد .

وفى إيران تشكلت وزارة برئاسة مستوفى الممالك بعد فترة يسيرة من بداية الحرب فى أوروبا، ولم تتخذ قرارا حاسما تجاه المتحاربين، وأشرك فى وزارته حلفاء لكل من بريطانيا وروسيا وألمانيا وتركيا، وكانت إيران آنئذ على الحياد، وكان رئيس الوزراء رجلا عديم الشخصية تماما، وكل ما فعله هو محاولة الاحتفاظ بتوازن فى العلاقات بين الروس والبريطانيين . أما الجناح الموالى للألمان فى الوزارة فكان يغمض عينيه ولا يثير المشاكل حتى تتاح له الفرصة فى التواجد فى مجلس الوزراء ونشر أفكارهم . ومن ناحية أخرى كانت الحكومة الإيرانية تؤيد

وتبارك السياسة البريطانية ضد روسيا وتهتدى بهديها وتقتفى أثرها فى تعاملها مع الروس .

ألمانيا و محاولاتها استقطاب إيران :

كانت أهداف ألمانيا من نقل معارك الحرب العالمية الأولى إلى منطقة الشرق الأوسط كثيرة، واتخذت من الدولة العثمانية ركيزة لتحقيق أطماعها وقاعدة للإنطلاق في آسيا . وكان من عادة مبعوثيها الدبلوماسيين والقناصل ورجال المخابرات التعرض للبريطانيين فى إيران ومزاحمتهم، والعمل على كشف قناع السياسة البريطانية لإظهار وجهها القبيح، والتشهير بنفاق البريطانيين فى مقابل ما كانوا يقدمونه من آمال ووعود لنصرة الحق الإيرانى، والإدعاء بأنهم أهل سلام.

وباستمرار كانت الحكومة الألمانية تبلغ قناصلها ومندوبيها من رجال المخابرات المنتشرين فى مدن الدولة العثمانية وإيران والهند العمل على تحريض المسلمين على الثورة والوقوف فى وجه البريطانيين، وخلق موقف عدائى لإحداث اضطراب فى القيادة البريطانية . كما حاولت ألمانيا إقناع إيران وأفغانستان بدخول الحرب إلى جانبها ضمن استراتجيتها فى الشرق الأوسط . أما الرأسمالية الألمانية فقد كان لها خطط واقعية فى الشرق الأوسط وخاصة إيران وتركيا .

العلاقات الألمانية العثمانية قبل إعلان تركيا الحرب :

كانت ألمانيا مطمئنة إلى وقوف تركيا بجانبها فى الحرب، وعقدتا فى ٢ أغسطس ١٩١٤ معاهدة تحالف، كما وقعتا ميثاق عسكريا، وكان كلاهما سريا . وعلى الرغم من توقيع تركيا على هاتين المعاهدتين بقيت محافظة على الحياد مدة غير يسيرة، لكنه كان حياداً ظاهرياً ليس أكثر . وقبل ذلك سمح الباب العالى فى ١١ يوليو ١٩١٤م للبارجتين الألمانيتين " جويبن " Goeben و " برسلاو "

Breslau بدخول الدردنيل والإلتجاء إلى المياه الإقليمية هرباً من الأسطول البريطاني الذي كان يطاردهما . وكانت قوة بحرية بريطانية يقودها الأدميرال " تروبريدج " Trubridge، وقد رفضت السلطات التركية السماح لها بالتمتع نفسه من قبل. وحينما احتجت بريطانيا على ذلك اتهم الباب العالى البريطانيين بالإمتناع عن تزويد تركيا ببارجتين كانت قد أوصت بصنعهما من قبل في الترسانة البحرية البريطانية ودفعت ثمنها ؛ إلا أن الحكومة البريطانية وضعت يدها على البارجتين وأدخلتهما خدمة البحرية البريطانية . وكان رد الباب العالى على ذلك أن اشترى البارجتين الألمانيتين رسميا، واستخدام بحارتهما الألمان في خدمة الأسطول العثماني، وأطلق عليها إسمى " سليم ياوز" و " مدللى "؛ وعين قائدهما الأدميرال " سوشون " Souchon قائداً للبحرية العثمانية بدلاً من الأدميرال البريطاني الذي انتهت خدماته . هذا واستطاعت هاتان البارجتان إفساد الهجوم البريطاني على الدردنيل .

وكان الضباط الألمان يعملون في الجيش العثماني كقادة ومستشارين وأركان حرب، وكانت الجيوش التركية يتراوح عددها ما بين الستة والتسعة ومجموعات من الوحدات الفنية عالية التدريب جيدة الخبرة، وكان يقود إثنان أو ثلاثة منها قادة ألمان، وكان رئيس أركان حرب **أنور باشا** وزير الحربية العثماني في معظم فترات الحرب هو الجنرال " ڤالتر برونسارت ڤون شيللندورف " Walter Bronsart von Schellendorf ، واستمر معه طوال فترة الحرب إلى أن حل مكانه في سنة ١٩١٨م جنرال ألماني آخر هو "هانز ڤون سيكت " Hans von Seeket .

يتضح من ذلك أن النفوذ الألماني في الإمبراطورية العثمانية كان قد اتسع ونما

نمواً مطرداً لا يتناسب ونفوذ الدول الأخرى قبل نشوب الحرب . وكان واضحاً من الناحية العسكرية بصفة خاصة ؛ لأن الجيش العثمانى كان يشرف على تدريبه وتعليمه فى عام ١٩١٤م بعثة عسكرية ألمانية مكونة من إثنين وأربعين ضابطا يقودهم الجنرال ليمان ڤون ساندورز. هذا وقد طلبت ألمانيا معاونة القوات التركية فى إغلاق الخليج الفارسى فى وجه بريطانيا، واجتهد الألمان فى طرد الروس والبريطانيين من إيران .

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩١٤م أصدر أنور باشا وزير الحربية العثمانى أوامره إلى أمير البحر الألمانى (الأدميرال) سوشون - والذى سبق أن ذكرنا أنه دخل خدمة الدولة العثمانية ببارجتيه جويبن وبرسلاو- البحث عن الأسطول الروسى فى البحر الأسود ومهاجمته قبل أن تعلن تركيا الحرب . فهاجم سوشون بأسطوله العثمانى الموانى والسفن الروسية التى كانت فى حالة استرخاء ومفاجأة غير متوقعة فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م، أى بعد أسبوع من تلقية الأوامر من وزير الحربية العثمانى ، وأصبحت قبضة الألمان على منشآت الدفاع العثمانية كاملة .

وكان من رأى القادة الألمان أن تلعب تركيا دوراً مساعداً تحول به شيئا من المجهود الحربى الروسى والبريطانى عن ميدان الحرب الرئيسى فى أوروبا . ثم إن تقدم الأترك فى الشرق يهدف إلى تمهيد الطريق لامتداد النفوذ الألمانى والتأثير على مصير الهند إذا ما اقترن بالنجاح . وكانت هيئة الأركان الألمانية قد وضعت مشروعا للهند أطلقت عليه " مشروع تزمرمان " ينطوى على تأييد الهنود فى حركتهم الوطنية، وبث الدعاية الفعالة بين الهنود المسلمين والهندوس على السواء .

ولأجل استفادة ألمانيا إلى أقصى حد ممكن من التحالف مع تركيا، طلبت

إليها القيام بعدة عمليات دون تأخير ؛ تتضمن سد المضايق فى وجه الدول المعادية، وقطع الطريق البحرى المار بقناة السويس وعدن واحتلال القوقاز لتشغل عدداً لا يستهان به من الفرق الروسية، وأخيرا إعلان الجهاد ضد دول الوفاق (بريطانيا وفرنسا وروسيا) ، أما الألمان أنفسهم فإنهم اجتهدوا فى طرد الروس والبريطانيين من إيران بمعرفتهم وعلى عاتقهم .

دخول الدولة العثمانية الحرب :

كانت الأمبراطورية العثمانية غداة نشوب الحرب العالمية الأولى فى الثانى من أغسطس ١٩١٤م يحكمها السلطان محمد الخامس (رشاد) (١٩٠٩ - ١٩١٨م)، وهو ابن السلطان عبد المجيد . خلف أخاه السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٧٦ - ١٩٠٩م)، وكان له من العمر سبعين عاما، معتل الصحة غير مدرك للإدارة والسياسة والحرب ؛ لقد كان سجين القصر الإمبراطورى العثمانى فى استانبول مدة اثنتين وثلاثين سنة بتدبير من سلفه عبد الحميد، ثم نصبه رجال تركيا الفتاة ؛ فلم يكن سوى عاهل إسمي فقط . أما السلطة الحقيقية فكانت فى أيدى الثالوث من قادة تركيا الفتاة، وهم أنور وطلعت وجمال . وكان السلطان العثمانى يلعب دوراً مزدوجا مع كونه ميالاً إلى الفريق الجانح إلى السلم، ويتردد فى معارضة الفريق الميال للحرب برئاسة أنور. لكن تأثير الأخير ونفوذه هو الذى أمال الكفة فى النهاية إلى الجبهة المؤيدة للدخول فى الحرب .

وكانت بداية دخول الدولة العثمانية الحرب صدور أوامر أنور وزير الحربية ذى النزعة الألمانية بإقلاع البارجتين الألمانيتين الأصل من استانبول ؛ فهاجمتا الأسطول الروسى فى البحر الأسود فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٤م ؛ فأعلنت روسيا الحرب على الإمبراطورية العثمانية فى ٤ نوفمبر، أتبعه إعلان حرب مشابه من جانب بريطانيا وفرنسا بعد يوم واحد .

استيلاء الجيش التركى على مناطق إيرانية :

كان أول احتكاك تركى بإيران عندما تقدمت الحكومة الإيرانية بعد إعلان حيادها إلى تركيا مستفسرة عن موقف الدولة العثمانية من " إعلان إيران الحياد " فجاء رد الباب العالى صريحا، وهو " عدم الاعتراف بالحياد ما دامت القوات الروسية موجودة فوق أراضى آذربيجان الإيرانية مما يستوجب إتخاذ إجراءٍ ما من قبل الجيش التركىً ، وذلك فى مذكرة رسمية قدمتها الحكومة التركية على استفسار طهران .[(١)]

وأخذت تركيا خلال الدور الأول من الحرب المبادأة باحتلال القوزاق، وطلبت من حليفها ألمانيا دعمها بقوات ألمانية حتى تنتشر القوات التركية فى بعض مناطق ما وراء النهر . ولأجل تحقيق الأتراك أهدافهم العسكرية لم يترددوا فى انتهاك حرمة الحياد الإيرانى؛ فدخلت جيوشهم آذربيجان الإيرانية، وأوصلهم هجومهم الأول إلى أبواب باطوم فى روسية وتبريز فى إيران . وشرع الأتراك فى الوقت نفسه تجنيد جماعات فى المناطق التى احتلوها . ودربتهم على حمل السلاح، وخاصة الأجاريين (الكرج المسلمين جورجيا حاليا) والآذريين (سكان آذربيجان الإيرانى الناطقتين باللغة التركية) . ولم يستمر احتلال باطوم وتبريز : ففى شتاء عام ١٩١٤م قام الروس بهجوم مضاد، ونجحوا فى دفع الأتراك إلى الوراء حيث الحدود التركية الروسية. فكانت هذه الجبهة طوال أيام الحرب جبهة متحركة بالمعنى المحدود .

وقد تفوق الروس بالفعل، وتقدموا داخل الأراضى التركية ذاتها إلى ما يقرب

---

1) Yapp, M.E.; The last years of Qajar Dynasty, (Twentieth Century Iran), New York, 1997, P.18 .
& Rouhallah K. Ramazani ; The Foreign Policy of Iran . A Developing Nation in world Affairs, Virginia, 1966, PP. 115 - 166 .

من طرابيزون وأرضروم وأرزنجان ووان . وكان هذا الخط العسكرى يمتد مخترقا بحيرة أورميـــة إلى كرمانشاه وينتهى فى همدان إحدى مدن غرب إيران . فتبددت أحـلام أنور فى الحـصـول على نجـاح سـريع فى بـلاد القـوقـاز وتحـريـر سكانـهـا المسلمين من نيرالروس المستعمرين . على أن هذا الإقتتال حقق أهدافه من وجـهة النظر الألمانية بإشغاله عدداً من الفرق العسكرية الروسيـة المهمة . وقـد اتخذت الأحداث فى هذه الجبهة شكلاً مأساويا فى نهاية الحرب بنشوب الثورة الروسية .

آذربيجان بين الروس والعثمانيين :

سعت تركيا تأييد ألمانيا لها بدعمها بقوات ألمانية حتى تنتشر القوات التركية فى بعض نواحى شمال غرب إيران، والذى كان قسم كبير منه محتل قبل نشوب الحرب العالمية ؛ ذلك أن تركيا كانت تحـتل بعض نواحى آذربيجان غـرب بحيرة أورمية . وكانت لها إدارة مدنية هناك، لكن تحت الضغط الروسى سحبت تركيا قـواتهـا من آذربيـجـان . ولم تهدأ الأمـور إلا بعـد أن تمكنت لجنة دوليـة من حل المشاكل الحدودية بين إيران وتركيا، وتم تعيين الحدود بينهما .

أهداف تركيا وروسيا وبريطانيا فى آسيا :

وكانت أهداف تركيا الاستيلاء على أسيا المركزية وأفغانستان والهند، وكلها بلا شك مطالب خيـالية، وخطط وأهداف ليس لها خلفية واقـعية مطلقا ؛ بينما كـانت روسيا القيصرية تتعجل الحرب حتى تصفى حساباتها القديمة مع تركيا وتحل مشكلة البواغيز لصالحها . أما بريطانيا فإنها كانت تسعى هى الأخرى لتستولى على الولايـــات الآسيوية للإمبراطورية العثمانية، وتشكـــل سلسلـــة ممتـــدة من المستعمرات من الدول الخاضعة لها من مصر غربا حتى الهند شرقا . كما كانت بريطانيـــا تعمـــل فى نفـس الوقـت على منع حليفتها روسيـة القيصرية

من الاستيــلاء على البواغيز، والوصول إلى المياه الدافئة . ثم إن كلاً من بريطانيا وروسيا كانتا تخططان للتحكـــم فى إيران، ولم يكن الاختلاف بينهما على مسائل جوهرية، بل كانت لهما مناطق نفوذ معينــة ومحددة فى الاتفاقية السرية المبرمة فى عام ١٩٠٧م .

مراحل الحرب العالمية الأولى فى إيران :

يمكن تقسيم فترة الحرب بالنسبة لإيران المغلوبة على أمرها إلى أربع مراحل ؛ ثلاثة منها تنتهى بنهاية الحرب فى عام ١٩١٨م، والرابعة ما بعد الحرب وتنتهـــى فى سنــــة ١٩٢١م ، وكانت كل مرحلـــة من المراحل الأربعة ذات خصوصيات مميزة ؛ نجملها فيما يلى :

المرحلة الأولى : وتمتد من بداية الحرب حتى نهاية سنة ١٩١٥م، وفيـها أعلنت الحكومة الإيرانية سياسة الحياد مع ميلها لألمانيا .

المرحلة الثانية : وتشمل سنتين همــا ١٩١٦م و ١٩١٧م، وتنتـهى بقيـام الثورة فى روسيا فى شهر مايو ١٩١٧م ، عندما تمكن الثوار البرجوازيون الروس من الإطاحـــة بالحكومة القيصرية فى روسيـــا وتجميد جبهتى القتال الروسيـــة فى أوروبا الشرقية بعض الوقت .

المرحلة الثالثة : وتشمل سنة واحـدة ، هى ١٩١٨م ، وفيها انتهى النزاع بين روسيا والدولة العثمانية فى إيران، وتنفست الأخيرة الصعداء بعد الثورة الروسية وبداية وضع جديد للقوى السياسية والعسكرية فى إيران .

المرحلة الرابعة : وتشمل الفترة من نوفمبر ١٩١٨م وحتى بداية عام ١٩٢١م، وتتميز باحتلال بريطانيا لإيران برمتها، وأصبحت القوة العسكرية الوحيدة التى تعمل فى إيران دون منافسة من دولة أخرى . وقد أطلق الجنرال و .أ. ديكسـون

القائد العسكرى الكاتب الإنجليزى فى كتابه " East Persia " على المرحلة الرابعة من الحرب العالمية الأولى فى إيران بالعبارة التالية " A Backwater of the Great War " أى " مستنقع الحرب الكبرى " .

لقد وقعت إيران فى هذه المرحلة تحت الحماية البريطانية، وشرعت فى التدخل العسكرى الموجه ضد الإتحاد السوفيتى الناشئ، ولم تتوقف اعتداءات بريطانيا العسكرية والمؤامرات السياسية البريطانيـة إلا بعد توقيع اتفاقية سنة ١٩٢١م بين إيران والاتحـاد السـوفييتى،الذى أنهى ذريعـة تواجـد بريطـانيا فى إيران وخروج جيوشها منها .

والدراس لفترة الحرب العالمية الأولـى، ويتمعّـن فى الأحداث التى وقعت فى المراحل الثلاثة الأولى يجد مفارقات عجيبة وأغلاط فاحشة حسب تبعية الباحث التاريخى لدولة ما، حيث نجد فى الكتب الإنجليزية تاريخ إيران وسياسات الدول الكبرى ووجهة النظر فيها تختلف تماما عما كتبه المؤرخون الروس أو الفرنسيون أو الألمـان أو الأتراك أو الإيرانيون، وهكذا.

المرحلة الأولى (١٩١٤ - ١٩١٥م) :

لقد تكهرب الجو السياسى الأوروبى العام نتيجة اغتيال الأمير فرانسيس فرديناند ولى عهد النمسا وزوجته بيد طالبين صربيين مـن البوسنة فى سيراييڤوا فى ٢٨ يوليو ١٩١٤م . وكانت الصرب آنئذ على خلاف مع النمسا . ولم يمض شهر على تلك الحادثة حتى نشبت الحرب بزحف جيوش النمسا نحو بلجراد ؛ فهبت روسيا تدافع عن الصرب وتحمى مصالحها فى البلقان، وقامت ألمانيا لنجدة حليفتها النمسا، ووقفت فرنسا إلى جانب روسيا، واخترقت الجيوش الألمانية الأراضى البلجيكية لمهاجمة فرنسا، وتدخلت بريطانيا وأعلنت الحرب على ألمانيا

دفاعاً عن حياد بلجيكا، ودخلت تركيا الحرب فى ٣١ أكتوبر ١٩١٤م فى جانب ألمانيا والنمسا على أمل أن توفق في القضاء على نفوذ بريطانيا وفرنسا المتزايـد فى الشرق الأوسط وتحقيق طموحاتها فى آسيا الوسطى والهند . وبذلك اشتبكت مجموعة من الدول عرفت باسم " دول الوسط " ، وتشمل ألمانيا والنمسا - المجر والدولة العثمانية، ومجموعة أخرى باسم "دول الوفاق "، وتشمل بريطانيا وفرنسا وروسيا، ثم انضمت إيطاليا إلى دول الوفاق فى ٥ مايو ١٩١٥م، بعد وقوفها على الحياد في بداية الحرب وعلى أمل الحصول على مستعمرات من تركة دول الوسط .

وإذا كانت الحرب العالمية الأولى بدأت وحتى نهايتها نشاطاً محموماً وغريباً لجميع الأطراف، وبصورة قلما نجد لها مثيلا فى مكان أخر فى العالم؛ فقد نشط دبلوماسيو بريطانيا وروسيا وألمانيا والنمسا وتركيا وعسكريوها واقتصاديوها وخبراء المخابرات في تلك الدول في آن واحد فى إيران التى لم تكن طرفا فى النزاع وتبعا لذلك انقسم الإيرانيون من مسئولين وساسة ورؤساء عشائر وشيوخ قبائل أشياعًا وجماعات ؛ حاول معظمهم، إن لم يكن كلهم، الحصول على مكاسب شخصية والإثراء على حساب أحد الطرفين المتصارعين، وفى أحيان كثيرة على حساب كليهما . وقد بلغ الأمر بين زعماء بعض العشائر أن انحاز الأب إلى جانب أحد المعسكرين، بينما وقف الابن إلى جانب المعسكر الآخر، كما فعل البختياريون فى الجنوب مثلاً . (١)

وأعلنت الحكومة الإيرانية على لسان السلطان أحمد شاه القاجارى فى الثانى من نوفمبر ١٩١٤م حياد إيران رسميا، أى بعد أن بدأت الحرب على صعيد القارة الأوروبية بثلاثة أشهر، وفى نفس اليوم الذى أعلن فيه الحلفاء الحرب على تركيا .

1- Sykes, Percy ; A History of Persia, Vol. II, London 1963. PP. 435- 440 .

حقيقةً لم تكن إيران بوسعها أن تؤثر بصورة ملموسة على ميزان القوى في ميادين القتال على الساحة الشرقية ؛ لقد كان الجيش الإيراني قبل الحرب " أدنى مستوى من أن يستخف به " [١] . وعندما اشتعلت نيران الحرب العالمية الأولى كان الجيش الإيراني يتألف من ثمانية آلاف جندي من القوزاق بقيادة ضابط روسي وقوة أخرى إيرانية صغيرة تحمل بنادق عتيقة ومختلفة، لم يعرها أي الجانبين المتحاربين أدنى اهتمام حسب تأكيد أحد الضباط البريطانيين فترة الحرب . [٢] ويصف لنا السير پرسى سايكس عتاد هؤلاء الجنود بقوله : " كان هؤلاء جميعا مزودين بأسلحة قديمة غير متطورة ومن نوعيات مختلفة ؛ فقد كانوا يحملون إثنى عشر نوعا من البنادق على أقل تقدير، وكانوا يكلفون ميزانية الدولة أكثر من طاقتها، فتحولوا إلى عبء على عاتق الحكومة والشعب " . [٣]

فتوى الجهاد لشيخ الإسلام العثماني :

وجه شيخ الإسلام حائر أفندى فى ١١ نوفمبر ١٩١٤م فتوى جهاد من استانبول حاضرة الدولة العثمانية إلى كافة الشعوب الإسلامية ضد بريطانيا وفرنسا وروسيا، وطلب من كافة المسلمين رفع راية الجهاد ضد هذه الدول، وأيد هذه الفتوى علماء الدين الشيعة فى كربلاء والنجف الذين أرسلوا نسخة من فتوى الجهاد إلى الحكومة الإيرانية فى طهران، وطلبوا منها المشاركة فى هذا الجهاد والوقوف جانب تركيا . وقد بقيت هذه الأوامر الدينية دون تأثير فى إيران بعد إبلاغهم فتوى الجهاد التى أصدرها شيخ الإسلام العثماني . كما اعترض عليها الكثير من علماء الدين فى إيران مثل حاجى ميرزاحسن مجتهد تبريز وحاجى

---

1)Zonis, M.;The Political Life of Iran, Princeton, 1971, PP. 102-103.
2) Sykes, Percy; OP. Cit., P 436.
3)1 bd, PP. 436 - 437 .

ميرزا عبد الكاظم إمام جمعه طهران، ولم يكتفيا بمعارضتهما، بل أرسلا رسائل إلى زملائهما علماء النجف لإقناعهم بأن ما يقول به الأتراك ما هو إلا دعايات طائشة لأجل الجهاد " كما أكدوا أنه " سوف لا تؤثر الحرب على روسيا، بل إن إيران وحدها ستصبح أكثر خراباً . [1]

وفي بداية عام ١٩١٥م اشتدت الحملة الدعائية في الصحف الإيرانية ضد البريطانيين والروس ؛ لكنها بدأت تفتر وانتهت مع انتشار خبر هزيمة الجيش التركي في معركة " ساري كاميش " . وقد كتب القائد الروسي للواء القوزاق الإيراني في تقريره المؤرخ ٢٠ يناير ١٩١٥م إلى قيادة العمليات الحربية، والتي كان يحق له مخاطبتها مباشرةً : " أنه هدأت مخاوف الإيرانيين من الروس بعد الانتصارات الباهرة التي أحرزها جنود القوزاق، وأصبحت مدينة طهران هادئة تماما . كما استراح الأوروبيون الذين كانوا يتحاشون السير في الشوارع خشية القتل أو القتل الجماعي، أو إلقاء القنابل اليدوية وتنفيذ أعمال عدائية أخرى، كما تلاشت تماما شائعات سوق طهران (البازار) التي كانت تنتقل من فمٍ إلى فمٍ " . [2]

أسلوب تعامل الحكومة الإيرانية مع المتحاربين :

شكل مستوفي الممالك وزارته بعد فترة يسيرة من بداية الحرب العالمية الأولى في أوروبا، ولم يتخذ قراراً حاسماً تجاه المتحاربين، واجتهد أن يحتفظ بتوازن في العلاقات بين الروس والبريطانيين . وكانت سياسة الحكومة الإيرانية متمشية مع سياسة بريطانيا ضد روسيا، وتهتدي بهديها في تعاملها مع الروس، وواقع الأمر

(١) ميرشنيكوف، ل. ى. : ايران درجنك جهاني أول (إيران في الحرب العالمية الأولى، ترجمة عن الروسية ع. دخانياتي، الطبعة الأولى، طهران ١٣٤٤ هـ . ش، ص ٤٧ .

(٢) المرجع السابق، ص ٣٥ .

أنها كانت تأتمر بأمرها . ومع أن بريطانيا كانت حليفة لروسيا فى الحرب إلا أنها أوعزت إلى الحكومة الإيرانية بالتقدم بطلب إلى الحكومة الروسية بسحب قواتها من أذربيجان ؛ لكن الحكومة الروسية رفضت تماما بحث هذا الطلب أو الرد على إيران، مما ألجأ الحكومة الإيرانية طلب العون من السفارة التركية فى طهران، وطلبت أيضا مساعدة بريطانيا وتأييدها فى خروج القوات الروسية من إيران . وقد وافق هذا الطلب ميول بريطانيا، وبدأت تعمل بطريقة مخادعة مدعية رعاية حياد إيران واحترام حقوقها وسيادتها على أراضيها . وحتى تحقق بريطانيا هدفها أوعزت إلى الصحف الإيرانية نشر خبر انسحاب البحرية البريطانية من نهر كارون لإظهار حسن نية بريطانيا، وصحب هذا الخبر ضجة إعلامية .

وقد صادف ذلك قبولاً حسنا لدى المسئولين الإيرانيين ؛ لكن فوجئت الحكومة الإيرانية بأن بريطانيا أنزلت قواتها فى البحرين، واتخذتها مقرا لقيادتها العسكرية لتنفيذ عمليات حربية فى جنوب إيران . فما كان من الحكومة الإيرانية إلا أن أغمضت عينيها ولزمت الصمت . وفى نفس الوقت أبلغ الوزير المفوض البريطانى فى طهران " والترتونلى " Walter Tounley فى مباحثاته السرية مع زميله الوزير المفوض الروسى " كوروسوفتس" Korostovets أن الحكومة البريطانية لا تمانع فى إحضار قوات روسية إلى إيران . [(١)]

وفى بداية الحرب وبدون مقدمات قررت الحكومة الروسية حل كافة مشاكلها مع بريطانيا بشأن إيران، وذلك بعد إنذار النمسا للصرب فى يوليو ١٩١٤م، وأكد وزير الخارجية الروسية " سازانوف " Saznnov فى تقريره الذى رفعه إلى القيصر الروسى نيقولا الثانى أشار فيه إلى أن الفترة الحالية تجعل مشكلة

---

(١) سيفيروس كوروستوفتس ؛ العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، كتاب روسي، نقلا عن كتاب " إيران فى الحرب العالمية الأولى " لميرشنيوكوف، مرجع سابق، ص ٣٥ .

إيران غير ذات قيمة بالنسبة لخطورة الوضع الناشئ عن تدهور العلاقات بين النمسا والصرب . وبعد بضعة أيام أرسل سازانوف وزير الخارجية الروسية إلى سيڤيروس كوروستوڤتس الوزير المفوض الروسى ورئيس البعثة الدبلوماسية الروسية فى طهران برقية ذكر فيها أن الخلافات مع بريطانيا بشأن إيران غير مستحسن إثارتها فى الظروف الراهنة وغير قابلة للنقاش .[١]

ولا يمكن القول أن بعد التعليمات الصريحة والتحرشات الصادرة من كلا الطرفين الروسي والبريطاني فى إيران قد قللت اللقاءات للتشاور بين الجانبين ، حيث أن الدبلوماسيين الروس وأعضاء البعثات القنصلية الروسية فى إيران كانوا لا ينفذون التعليمات الصادرة لهم من الحكومة الروسية، وأيضا لم يراعى البريطانيون نظراءهم التعليمات الصادرة من وزارة الخارجية البريطانية، بل بالعكس نجد البريطانيين اجتهدوا واستفادوا من الأوضاع المتأزمة فى روسيا لتعزيز مواقفهم ونشر قواتهم فى إيران .

هذا ولم يكن فى فكر وخطط العسكريين والدبلوماسيين الروس إحضار قوات روسية إضافية إلى آذربيجان، حتى أمر جنرال " ڤاروبانوف " قائد القوات الروسية المتمركزة فى المناطق المتاخمة لتركيا فى شهر سبتمبر ١٩١٤م بالاستعداد لوقف تقدم القوات التركية ومنعها من دخول آذربيجان .[٢]

ولم يشك القائد الروسى فى الخطط العسكرية للقوات المتمركزة على الحدود الإيرانية التركية، والتى لم يحدث أى تعد على حدود إيران، حتى احتلت وحدات عسكرية تركية ولأول مرة أراض إيرانية قريبة من بحيرة أورمية فى بداية

(١) سيڤيروس كوروستوڤتس: العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ٣٥ .

(٢) ميرشنيكوف: إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧ .

أكتوبر ١٩١٤م . فما كان من عـلاء السلطنة وزير الخارجية الإيرانية إلا أن قـدم في السابع من نفس الشهر احتجاجا على الاعتداء التركـي فى مذكرة أرسلها إلى الحكومة التركية .

وكانت بداية دخـول تركيا الحرب عندما انطلقت طلقات بنادقها متجهة نحو إيران، التى أصبحت بعد ذلك مسرحًا كبيرا تصول فيه القـوات المتصارعة من كلا طرفي النزا ع : الوفاق والوسط ، بل وامتحان سريع للقوات المتحاربة . وبعد يومين من اشتراك تركيا الفعلى فى الحرب، أى فى أول نوفمبر ١٩١٤م أصدرت الحكومة الإيرانية بيانا رسميا بحيادهـا فى الحرب، وأيضا ردد السلطان أحمد شاه القاجارى المتربع على العرش فى إيران، والذى كان آنئذ حديث السن قبل الخبرة، بأن إيران لها علاقات صداقة مع كافة الدول المتحاربة، مشيرا بذلك إلى أن إيران سوف تحتفظ بهذه العلاقات فى المستقبل . وأصدر أمرًا بأن يعمم هذا التصريح الملكى على كافة الوزراء ومسئولى الحكومة الإيرانيـة للعمل به، ونبه على الجميع عدم مناصرة أى دولة من الدول المتحاربة والالتزام بالحياد . ولعل السلطان أحمد شاه كان صادقا فى قوله، لكن الأحداث أثبتت أن الحياد الذى أعلنه قد جاء هشا لا تدعمه القـوة ؛ بدليل أن كافة الدول المتحاربة نقضته، وأيضا لم تتخذ الحكومة الإيرانيـة نفسهـا أسلوبا حياديا حقيقيا دائمًا .

دخول القوات البريطانية إيران :

وما أن أعلنت تركيا دخولها جانب دول الوسط، أصبحت إيران ميدان القتال الأساسى فى الشرق . وأصدر قائد القوات البريطانية أمرًا بأن تتحرك قوات الجنرال " ديلامين " من البحرين وتدخل شط العرب . وفى ٦ نوفمبر ١٩١٤م استولى الجنود البريطانيون على قلعة " فاو " . وفى العاشر من نوفمبر احتلت

القوات البريطانية جزيرة وميناء المحمرة (عبادان وآبادان حاليا) . وفى نفس الفترة دخلت وحدة من القوات البريطانية والهندية ميناء بوشهر الإيرانى . ويشير استخدام الهنود فى الحرب وغيرهم من رعايا المستعمرات البريطانية الأخرى، إلى أن بريطانيا كانت قد حذقت خلال فترة سيطرتها الاستعمارية فن حمل رعاياها فى المستعمرات على القتال من أجلها.

ولم تواجه القوات البريطانية مقاومة جادة من الجيش التركى أثناء دخول القوات البريطانية العراق. وما ذلك إلا أن القوة التركية الأساسية الضاربة (الجيش السادس) كان متمركزا فى بغداد، وانتهز القائد البريطانى الجنرال ديلامين الفرصة وتحرك بسرعة تجاه الشمال واستولى على البصرة والقرنة فى أواخر عام ١٩١٤م .

وفى أواخر ديسمبر ١٩١٤م، تحركت وحدات ألمانية خاصة كانت متمركزة فى بغداد وعلى أهبة الاستعداد للقتال، تتكون من كتيبة قوات خاصة (شبيهة بقوات الصاعقة فى تشكيلات الجيش المصرى حاليا) وستة عشر ضابطا ألمانيا من خبراء المفرقعات بقيادة " هويتمان كلاين Klein " الملحق العسكرى السابق فى إيران لتدمير آبار البترول وخطوط أنابيب النفط فى خوزستان، الذى كان يشكل العمود الفقرى لتموين البحرية البريطانية من البترول فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى . وقد تمكن الألمان بمساعدة أعوانهم من القبائل العربية والعشائر اللورية فى خوزستان الذين استجابوا لفتوى الجهاد التى أصدرها شيخ الإسلام خائر أفندى من تدمير خطوط أنابيب البترول فى بضعة أشهر . لكن كان نجاحهم فى خوزستان فى تلك الفترة محدوداً . (١)

---

(١) ميرشنيكوف: إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٣٨ .

ولم يتمكن الأتراك من إرسال قواتهم الأساسية لمساعدة الألمان ؛ ذلك أن العراق نفسه كان مهدداً من الجيش البريطاني الذي أجبرهم على الانسحاب تجاه الشمال في شهر أبريل ١٩١٥م من منطقة البصرة بعد عدة معارك خاسرة، ولم يستفيدوا من ورائها شيئا، بل والأكثر من ذلك استدعت القيادة العسكرية العثمانية القوات التركية المتواجدة في إيران . كذلك لم تواجه القوات البريطانية – الهندية المشتركة المكونة من عشرة آلاف جندي أية مقاومة تذكر من جانب الجيش التركي ؛ لكنها واجهت أثناء تقدمها تشكيلات صغيرة من القبائل العربية المحلية التي كان يدعمها الأتراك وتتعاون معهم، حيث كانوا يشنون هجمات متقطعة لم تؤثر على سير الخطط العسكرية البريطانية . وبعد استيلاء قوات بريطانية أخرى على بلدة العمارة في الثالث من يونيو ١٩١٥م، انتهت تماما مسألة هجوم القوات التركية على خوزستان .[١]

وفي أواخر شهر يناير ١٩١٥م، أرسل القائد البريطاني الجنرال ديلامين وحدة عسكرية لحماية آبار البترول وخطوط الأنابيب التابعة لشركة البترول الانجليزية – الفارسية لتضمن استمرار تدفق البترول . وفي منتصف شهر فبراير ١٩١٥م صدرت أوامر إلى الفيلد مارشال Robenson ، وكان تحت قيادته ألفان من الجنود البريطانيين بوقف تقدم القوات التركية المتجهة نحو المناطق البترولية في خرزستان، والتصدي لها لمنعهم من احتلالها . أما الأتراك فإنهم أرسلوا الجيش السادس، وهي القوة العثمانية الرئيسية في العراق لتمنع تقدم القوات البريطانية الزاحفة نحو بغداد في منطقة دجلة .

وبعد الانتصار الذي أحرزه الجيش البريطاني في خوزستان وسيطرته

---

(١) ميرشنيكوف: إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٣٨ – ٣٩ .

على المنشآت البترولية، قرر القائد البريطاني نقل جزء من قواته إلى العراق، وأبقى قرب الأهواز كتيبتين هنديتين ؛ إحدهما كتيبة فرسان والأخرى كتيبة مشاة ويضع وحدات مدفعية، بعد أن تم إصلاح خط أنابيب البترول في شهر يونيو بعد تدميرها . وبذلك أحرز الجيش البريطاني نجاحاً ساحقاً على تركيا في بداية الحرب .[١]

الإشتباكات التركية الروسية :

حدثت عدة معارك في جبهة القوقاز ؛ حيث تمكنت القوات الروسية بعد اشتباكات محدودة أن تدخل الأراضي التركية، ونشبت معركة كبيرة في كيبريكي (The Kaprikei battle) قرب أرضروم في أواخر شهر نوفمبر وأوائل ديسمبر ١٩١٤م، واحتل الأتراك منطقة باطوم، وتقدمت القوات الروسية المتمركزة في آذربيجان الإيرانية، واجتازت الحدود الإيرانية – التركية من ناحية بحيرة " وان " ، وتوغلت في الأراضي التركية، واستولت على مناطق كثيرة .

واستفاد الأتراك من مواقعهم داخل الأراضي الروسية، وتمركزوا فيها وسيطروا عليها تماما، مما اضطر الروس إلى سحب بعض الوحدات العسكرية الروسية المقيمة في آذربيجان والتوجه إلى جبهة القوقاز . وبدأت في شن هجوم مضاد على المواقع التركية في القوقاز ؛ وانتهز الأتراك فرصة سحب روسيا لأغلب قواتها من آذربيجان واستولوا على خوى وساو جبلاغ وأورمية ودخلوا تبريز عاصمة الإقليم في ١٤ يناير ١٩١٥م بعد أن أخلاها الروس دون حرب .

---

(١) ميرشنيكوف: إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٤٩ .

وقام أنور باشا وزير الحربية العثمانى بقيادة الجيش الثالث ومعه رئيس أركان حربه الجنرال الألمانى " برونسارت " Bronsart ، بشن هجوم عام علـى منطقـة " سارى كاميش " بعد معركة كيريكى بهدف تسديد ضربة معجزة للقوات الروسية الأساسية . وفى البداية أحرز الجيش التركى انتصارات قيمة فى المعارك التى خاضتها . لكن هذا النجاح لم يدم طويلا، وانتهـى بهزيمـة ساحقـة فى معركـة " سارى كاميش " التى استمرت شهرا ونصف، وتحمل الجيش الثالث التركى خسائر فادحة فى الأرواح، حيث قتل سبعون ألف محارب تركى من تسعين ألفا الذين كانوا يشكلون القوة التركية .

وكان انتصار القوات الروسية فى جبهة القوقاز باعثا على انتقال وحدات تركية جديدة إلى القوقاز المرسلة من جهات أخرى كمدد للجيش الثالث . فأدى هذا الأمر إلى تقوية وضع القوات البريطانية فى العراق وقناة السويس (مصر) . وقد صمم البريطانيون بعد فوز روسيا فى معارك القوقاز على منع دخول القوات الروسية استانبول، أو الاقتراب منها . أما الحكومة الروسية فإنها تقدمت لحلفائها أثناء الحرب بعد فترة يسيرة من هزيمة الجيش التركى فى معركة " سارى كاميش " وبداية العمليات الهجومية للقوات البريطانية فى غاليبولى مطالبة تعيين وضع البواغيز بعد الحرب .

روسيا تطالب بضم إستانبول و مناطق من الأناضول :

أرسل سازانوف وزير الخارجية الروسية مذكرة إلى سفيري روسيا فى لندن وباريس فى ١٤ مارس ١٩١٥م ، ذكر فيها : " أنه بعد المعارك الأخيرة وانتصار القوات الروسية الساحق فى معاركها ضـد الإمبراطوريـة العثمانيـة أن ورد على خاطر الإمبراطور نيقولا الثانى فكرة مسألة القسطنطينية (استانبول)

والبواغيز، والتى يجب حلها فى النهاية طبقا لرغبات روسيا القديمة . وأن جلالة الإمبراطور مصمم على ضم مدينة القسطنطينية والساحل الغربى للبوسفور وبحر مرمرة والدردنيل . أما جنوبا فيمتد حتى خط " إنوز - ميديا " Enos- Media ، وإن كانت هذه المطالب غير ثابتة، بل وغير كافية للإمبراطورية الروسية . وأضاف سازانوف بعد ذلك " أن دول الوفاق تستطيع التأكد من أن الدولة الروسية ستوافق على اقتطاع أقسام أخرى من الإمبراطورية العثمانية وأراضٍ أخرى ستوضحها فى خرائطها مستقبلاً " .

وبعد مباحثات دبلوماسية مكثفة تمت فى بطرسبرج ولندن وباريس فى أن واحد صمتت كل من بريطانيا وفرنسا على مقترحات روسيا تماما، ووافقتا على استيلاء روسية على أقسامٍ من الإمبراطورية العثمانية ومناطق أخرى، وإسناد السيطرة على البواغيز الروسية . وأدلى " بوشانان " Buchanan السفير البريطانى فى بطرسبرج بتصريح فى ١٢ مارس ١٩١٥م، ذكر فيه الموافقة الرسمية لدولته على المطالب الروسية بشأن القسطنطينية والبواغيز بعد كسب الحرب وتحقيق آمال دولتي بريطانيا وفرنسا . كما ورد فى نفس اليوم (١٢ مارس) للسفير البريطانى فى بطرسبرج تعليمات جديدة من لندن للعمل على أساسها، وسلمها لسازانوف وزير الخارجية الروسية . وفيها وافقت الحكومة البريطانية على تسليم البواغير إلى روسية بعد الحرب، وورد فيها أيضا أن السير إدوارد جراى Sir Edward Grey لا يستطيع تقديم وعد قاطع بشأن المسائل الدقيقة والحساسة لرغبات بريطانيا، ومنها إعادة النظر فى إتفاقية ١٩٠٧م السرية المبرمة بين بريطانيا وروسيا بضم المنطقة المحايدة الإيرانية إلى بريطانيا، وجعلها منطقة نفوذ بريطانية . [١] فما كان من سازانوف وزير

(١) ميرشنيكوف: إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٤١ .

خارجية روسيا إلا أن أعلن عن موافقة روسيا على الخطط والتصور البريطانى بشأن إيران، وذلك فى برقية له مؤرخة فى ٢٠ مارس، موجهة إلى " بنكندورف " الوزير المفوض الروسى فى طهران : ذكر فيها أن حكومة الإمبراطورية الروسية تؤكد موافقتها على ضم المنطقة المحايدة إلي النفوذ البريطانى على أن تضم منطقتي أصفهان ويزد إلى روسيا تدعيما للمصالح الروسية .

نستشف من ذلك أن الحكومة البريطانية قدمت وعوداً جوفاء إلى روسيا بضم استانبول (القسطنطينية) والبواغير بعد نهاية الحرب، وقدمت روسيا امتيازات حقيقية لبريطانيا جديرة بالملاحظة فى إيران فى سنة ١٩١٥م . هذا وكان لنجاح العمليات العسكرية البريطانية فى الدردنيل عاملاً على عدم إنجاز هذا الوعد من قبل الحكومة البريطانية .

هذا وقد شنت القوات الروسية فى أذربيجان بقيادة الجنرال " شيرنوزوبوف " Chernozubruv حملة عسكرية بعد استراحة قصيرة بعد معركة سارى كاميش بهدف إخراج الأتراك من أذربيجان . فاحتلوا تبريز للمرة الثانية فى ٣٠ يناير ١٩١٥م، واستولوا فى بداية شهر مارس على ديلمان (شاهپور) . أما القوات التركية التى كانت تتشكل من لوائين ووحدات فرسان كردية فإنها احتلت خط حدود أذربيجان غرب وجنوب بحيرة أورمية . وصدرت أوامر قيادة العمليات الروسية للقوات الروسية المشكلة من الجيش الرابع القوقازى ولوائى ماكو وأذربيجان شن حملة انتقامية جديدة لاسترداد المنطقة الشاسعة المحيطة ببحيرة " وان "، وإخراج القوات التركية من أذربيجان . ولإنجاز هذا العمل العسكرى تمركزت فى تبريز وحدات كثيرة من الفرسان الروس من لواء فرسان القوقاز ولواء قوقاز ما وراء البايكال تتشكل من ٣٦ سرية و ١٢ مدفع ميدانى .

وفى ٢٢ مايو تحركت وحدات عسكرية من تبريز واتجهت نحو الجنوب، واستولت على ساوجبلاغ وهزمت الوحدات الكردية، ثم عادت أدراجها بعد إتمام عملياتها إلى قاعدتها فى تبريز . واستولت القوات التركية والكردية على مدينة أورمية فى أوائل شهر يونيو دون مواجهة القوات الروسية الأساسية، ورغم ذلك صادفت أوائل شهر يونيو دون مواجهة القوات الروسية الأساسية، ورغم ذلك صادفت مقاومة شديدة . وفى نفس الوقت تحرك لواء فرسان الجنرال " شارپانتيه " Charpanteir من أورمية إلى المنطقة الشمالية لبحيرة " وان " . ونتج عن هذه العمليات العسكرية أن اشتد أزر الجناح الأيسر للقوات الروسية فى الجبهة القوقازية بدرجة ملحوظة، وأصبحت المناطق التى يقطنها الأكراد هادئة نسبيا لتفوق القوات الروسية .

وفى شهر أبريل ١٩١٥م، حمل الجيش البريطانى المكون من لوائين عسكريين والمتمركز على امتداد نهري دجلة والفرات على قوة بغداد التركية والتحم معها . وفى سبتمبر من نفس العام استولى اللواء المتمركز غربي الفرات على كربلاء المدينة الشيعية المقدسة . وفى شهر أكتوبر ١٩١٥م، هزم لواء الشرق البريطانى بقيادة الجنرال " تاونشند " Tounshend يصاحبه أسطول نهرى القوات التركية فى كوت العمارة، وتتبع فلول الجيش التركى حتى المدائن، لكن الأتراك تمكنوا من إيقاع هزيمة نكراء بالقوات البريطانية قرب منطقة " سلمان پاك " والواقعة على بُعد خمسة كيلو متر جنوبى بغداد . ومع ذلك فإن القوات البريطانية تقدمت فى الأرض العراقية فى خريف عام ١٩١٥م مسافة أربعمائة كيلو متر على امتداد نهر الفرات وخمسمائة كيلو متر على امتداد نهر دجلة .

موقف الحكومة الإيرانية :

كانت الحكومة الإيرانية مخلصة في وقوفها على الحياد خلال فترة الحرب ؛ لكن الظروف العسكرية كانت أقوى من إيران ؛ فانتقص إستقلالها لها انتقاصا قاسيا رغما عنها نتيجة التعاون الروسي البريطانى، حيث تمركزت الجيوش الروسية فى أماكن عديدة من أقاليم إيران الشمالية . كما أخذت وحدات بريطانية وهندية تحرس حقول النفط في خوزستان . ولا شك أن القوى المتصارعة لم تعر الحكومة الإيرانية أدنى إهتمام ، حيث لم يكن لها أدنى وزن عسكرى، بل انصب الاهتمام بموقعها الاستراتيجى وثروتها النفطية ؛ خاصة بعد أن بدأ الأسطول البريطانى يعتمد على مشتقات النفط بدل الفحم، وأصبحت وحداته فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى تعتمد إلى حد كبير على إنتاج إيران من البترول الذى ارتفع انتاجه خلال سنوات الحرب من ثمانين ألف طن عام ١٩١٣م إلى مليون ومائة ألف طن عام ١٩١٩م .

وعلى ذلك لم يحترم أحد هذا الحياد ؛ لا دول الوفاق ولا دول الوسط ولا الإيرانيون أنفسهم ؛ رسميون وغير رسميين ؛ لأن إيران بواقعها السياسى والعسكري والاقتصادي والاجتماعي لم تكن تملك آنئذ الحد الأدنى المطلوب من المقومات الضرورية للتمسك بموقف حيادى حقيقي فى حرب عالمية، حيث كانت القوات الروسية تحتل جزءًا كبيرا وهامًا من الأراضى الإيرانية . وكان القائمون على الحكومة الإيرانية فى طهران بأيدى القيمين على الأمور فى لندن وبطرسبرج، بينما كان القوميون الإيرانيون يميلون إلى الألمان . وبصفة عامة كانت مشاعر الشعب الإيرانى برمته ضد البريطانيين والروس، وفى نفس الوقت كانت أحاسيسهم وعواطفهم مع الألمان ؛ لا حبا فى الألمان ولكن بغضا فى البريطانيين

والروس . وإذا كان القوميون الإيرانيون يميلون إلى برلين، كانت الجماهير الإيرانية الغفيرة تنظر إلى استانبول عاصمة الخلافة الإسلامية كمخلص لهم من الروس والبريطانيين المحتلين بلدهم . وقد عبر السير پرشي سايكس، وهو أحد من شاركوا فى الحرب العالمية الأولى فى الميدان الإيرانى، بل وفى مقدمة المراقبين للأحداث على الساحة الإيرانية عن كثب، عن هذا الموضوع بالآتى : " ومهما يكن من أمر فإن الحياد الإيرانى لم يعن أفضل الأحوال أكثر من الوقوف خارج الحلبة انتصاراً لمعرفة المنتصر " . (١)

ويعد الانتصارات التى أحرزها الروس والبريطانيون فى إيران فى المرحلة الأولى من الحرب العالمية الأولى، وظهور علاقات تفاهم وعمل مشترك بين بريطانيا وروسيا للوصول إلى الهدف وبات ذلك واضحا فى إيران، فما كان من مستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى إلا أن قدم استقالة وزارته التى كانت تميل إلى الألمان فى الخفاء وتتعاطف معهم. وكلف السلطان أحمد شاه ميرزا حسن خان پيرنيا مشير الدولة بتشكيل الوزارة . وكان رئيس الوزراء الإيرانى الجديد وطنيا مخلصا لبلده، لكن الظروف المحيطة به لم تكن مساعدة للقيام بأى عمل، ووصفه الوزير المفوض رئيس البعثة الدبلوماسية الروسية فى إيران " سيڤيروس كوروستوڤتس " فى كتابه " العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية " بأنه رجل لديه استعداد طيب لعمل أى شئ، لكنه كان خياليا فى شأن الحياد وتكوين جيش وطنى والقيام باصلاحات دستورية " . (٢)

وكان على وزارة مشير الدولة أن تحارب فى جبهتين : خارجية وداخلية، ولم

---

1) Sykes, Percy; A History of Persia, Vol. II, OP Cit., P. 435 .

(٢) سيڤيروس كوروستوڤتس: العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ٨٦ .

تكن المشاكل والصعوبات التى واجهتها بأى حال من الأحوال، وما ورثته من مشكلات وزارة مستوفى الممالك السابقة ليست سهلة وقابلة للحل . والظاهر أن الحكومة الإيرانية الجديدة غيرت حيادها ؛ لكن هذا التغيير لم يتجاوز مرحلة الوزارة السابقة . وكان رد فعل الشعب الإيرانى معاديا لدخول القوات الأجنبية إيران . وكان هذا الأمر نتيجة التأثيرات الدعائية أحيانا، حيث كان رد الفعل طبيعيا لدى الشعب الإيرانى تجاه التدخل الأجنبى المسلح ؛ لقد أشعل الأتراك العثمانيون نار الكراهية تجاه الروس من منطلق الدعايات الإسلامية التى كان تأثيرها عميقا، رغم وجود خلافات عقائدية بين أهل السنة والجماعة (العثمانيين) وطائفة الشيعة الاثنى عشرية والتى تعرف باسم (الجعفرية) (الإيرانيين)، وأيضا كان رد الفعل العاطفى والمثير، والكراهية البغيضة ضد الأتراك وسط الكثير من الشخصيات الآذرية والكردية فى إقليم أذربيجان الإيرانى الناطق باللغة التركية بسبب ما اقترفه الأتراك من أعمال وحشية وبطش وتنكيل بالأهالى أثناء احتلالهم للإقليم مما أثار عداوة الشعبين الآذرى والكردى عليهم ؛ فعمت الفرحة شعب أذربيجان بعد رحيل الأتراك، وكأنه كان كابوساً أزيح من فوق صدورهم .

إشتداد المعارك الحربية فى الجبهة الآسيوية :

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى فى أوروبا فى سنة ١٩١٤م، كانت أسيا بعيدة عن ميادين القتال، وأعلنت جميع الدول المتصارعة سواء دول الوفاق أو دول الوسط فى بيانات رسمية عن الصلح والحياد، لكنها كانت غطاءً للاستعدادات الحربية . ثم بدأت الحرب الفعلية فى الشرق الأدنى عندما شرعت الطرادتان الحربيتان الألمانيتان " جويبن " و " برسلاو " واللتين أصبحتا بعد انضمامهما للأسطول العثمانى " سليم ياوز " و " ميدللى " بقصف الموانى الروسية فى البحر

الأسود وإتلاف الأسطول الروسى الذى كان فى حالة استرخاء تام، تبع ذلك تحرك القوات التركية وتمركزها فى آذربيجان الإيرانية ؛ فهرعت روسيا من جهتها لتواجه الجيش التركى على الأراضى الإيرانية .

وكانت القوات الروسية العاملة فى الجبهة الشرقية المكلفة بمواجهة الجيش التركى تتمركز فى باكو وآذربيجان . وكانت تتكون من تسع كتائب مشاة وألفين وثمانين فارسا ومعهم ثلاثين مدفعا، واستقرت على الحدود فى مناطق من آذربيجان داخل الأرض الإيرانية . كذلك تمركزت وحدات من القوات الروسية فى أردبيل وقزوين، وهما مدينتان إيرانيتان . أما تركيا فقد حشدت قوات كثيرة العدد من الجاندرمة وقوات من حرس الحدود، ويتضح من طبيعة عملهما أن الأفراد كانوا غير مدربين تدريبا قتاليا لخوض معارك حربية، بل كان واجبهما الأساسى حفظ الأمن والتعامل مع قطاع الطرق واللصوص وحراسة الطرق، وأيضا سرايا فرسان انتشروا فى أماكن متفرقة مجاورة لآذربيجان . (١)

وكانت العمليات العسكرية للقوات المتصارعة ؛ التركية من جهة والروسية والبريطانية من جهة أخرى داخل الأراضى الإيرانية غير مساعدة لتحقيق حياد إيران . ولم تستطع الحكومة الإيرانية برئاسة مشير الدولة منع قوات أجنبية من احتلال أراضيها . وإذا استعرضنا أسلوب سياسة الوزارة الإيرانية تجاه هذه الأزمة الطارئة سنجد أن إيران ذاتها كانت بعيدة جدا عن الحياد، حيث أن كثيرا من أعضاء مجلس الوزراء الإيرانى وأعضاء المجلس النيابى الذى افتتح رسميا فى ٦ ديسمبر ١٩١٤م كانوا لا يخفون تعاطفهم تجاه ألمانيا وتركيا .

وذكر كاروتكوفا T.Karotkova فى رسالته الجامعية غير المنشورة

---

(١) الحرب العالمية الأولى فى جبهة القوقاز، ص ٢١-٢٢، نقلا عن كتاب ميرشنيكوف، ص ٤٢ .

وعنوانها " الحياد " أن الحكومة الإيرانية أصدرت بيانا فى بداية الحرب العالمية الأولى عندما كانت المعارك الدموية دائرة بين القوات الروسية والقوات التركية قرب تبريز، ورد فيه : " قد أطلعت حكومتنا رعاياها برعاية الحياد الكامل . ونبلغ الجميع أن الحكومة التركية قد دخلت قواتها دولتنا . وإذا حاول أى شخص معارضة جيوش هذه الدولة ويرفع فى وجهها السلاح وينقض الحياد سيعاقب بشدة وتصادر حكومتنا أمواله وممتلكاته، وهو بذلك حكم على نفسه بالموت ومصادرة داره " [1] وقد مثل هذا الأسلوب الحكومى الذى أقدمت عليه الحكومة الإيرانية فى تعاملها مع البسطاء من الشعب الإيرانى المتعاطف مع الأتراك لإخراج الروس من أذربيجان وحمايتهم . وأرسلت الحكومة الإيرانية بعد احتلال تركيا لأذربيجان مذكرة احتجاج إلى استانبول، فكان رد الحكومة العثمانية على ذلك أن القوات التركية قدمت إيران بهدف طرد الروس من أذربيجان، وأقفل الموضوع .

والجدير بالذكر أنه عندما استولت القوات التركية على تبريز فى يناير ١٩١٥م استقبلها كبار الموظفين المحليين فى ولاية أذربيجان بتحفظ شديد وإجراءات شكلية . ولم يكن ترحيب الإيرانيين بالأتراك تعبيرا عن الشعور بالأخوة الإسلامية، بل الظاهر أن هذا الإجراء كان خوفا من بطشهم، حيث لم يكن خوف الإيرانيين من العسكريين الأتراك بغير أساس . بل كان يستند على واقع ملموس ؛ ذلك أن القوات التركية قامت باعتقال المسيحيين الذين لم يرحلوا مع القوات الروسية بعد دخولهم أذربيجان، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى الأهالى المسلمين، وهم شيعة، وأذاقوهم صنوف العذاب، وأدخلوا فى قلوبهم الرعب والهلع ؛ وقاموا بإعدام " مكرى " قائد

---

(١) كاروتكوفا · حياد إيران، ورسالة جامعية بالروسية مقدمة لجامعة موسكو، ص ١٠٠ -١٠١ .

حامية ساو جبلاغ (مهاباد حاليا) ومظفر الدولة حاكم " باته " وآخرين كثيريـــن من كبار موظفى إقليم آذربيجان الإيرانى.[1] وكان اعتماد تركيـــا فى الحرب فى الجبهة الشرقية على الجيش الثالث التركى المتمركز فى الأناضول الشرقية، وكانت قوات هذا الجيش تعادل قوات جيش القوقاز . وكانت روسيا قـد أرسلت فى بداية الحرب وحدات من القوقاز إلى الجبـهة الأوروبية شملت جيشين ومائة وثلاثة وأربعين كتيبة قوزاق وثلاثمائة مدفع . ثم دعم الجيش الروسى فى القوقاز بقوات ومـعدات عسكرية مـتطورة فى أغسطس ١٩١٤م، وتولى قيـادة الجيش القوقازى الجديد العمد " ڤورنتســوف داشكوف " Vorontsov Dashkov. وفى بداية العمليات الحربية كان الجيش القوقازى يتشكل من مائة وخمسين كتيبة مشاة ومائة وخمسة وسبعين كتيبة قوزاق وآثنتا عشرة سرية مهندسين وخمس بطاريات مدفعية . أما قوات الجيش التركى الثالث بقيادة عزت باشا ؛ فكانت تتشكل من مائة كتيبة مشاه ومائة وستين كـتيبة قوزاق وأكراد ومائتين وأربع وأربعين مدفع .[2]

وكان واجب القوات الروسية المكلفة به هو الدفاع عن ما وراء القوقاز وحماية الطرق الاستراتيجية ومنطقة باكو . أما الأهداف الأساسية للقيادة التركية والألمانية فكانت منحصرة فى شن عمليات عسكرية مؤثرة فى ما وراء القوقاز، وشل حركة القوات الروسية ومنع انتقالها من جبهة القوقاز إلى جبهة أوروبا . كما كـان الواجب الأساسى للجيش التركى فى الجنوب هو منع استيلاء القـوات البريطانية على العراق .

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٢.

(٢) كورسون ؛ الحرب العالمية الأولى فى جبهة القوقاز، مرجع سابق، ص٢٣-٢٧.

أما بريطانيا فكانت تخطط لحرب الامبراطورية العثمانية داخل أراضيها (العراق) الواقع غرب إيران، والذى أصبح منذ الأيام الأولى من الحرب ميدانا من ميادينها بين البريطانيين والأتراك . وكان البريطانيون قد أعدوا قواتهم فى الخليج الفارسى للعمل بسرعة فى منطقة شط العرب ومنطقة عربستان، وبها المحمرة (عبادان) والتى كانت آبار النفط فيها هى المصدر الأساسى لتزويد وحدات الأسطول البريطانى فى البحر الأبيض المتوسط والمحيط الهندى بالبترول .

وفى شهرى أغسطس وسبتمبر ١٩١٤م استقبل الميناءان الإيرانيان المحمرة وبوشهر السفن الحربية البريطانية الثلاثة " أوديين " و " لورانس " و " اسپيكل " [١]

وفى بداية شهر أكتوبر، أى قبل شهر واحد من دخول تركية الحرب، كلفت القيادة البريطانية وحدات من القوات البريطانية والهندية المشتركة بالاستعداد للإنتقال إلى جزيرة عبادان لتأمين معمل تكرير بترول شركة البترول الإنجليزية الفارسية . وكان أساس هذه القوة القتالية وحدات من اللواء السادس عشر الهندى المتميز بكفاءة قتالية عالية بقيادة الجنرال " و . س . ديلامين "W.C Delamain ، وعرفت هذه القوة باسم " د " (D) ، وتتألف من الألفي جندى مشاه ووحدة مدفعية بريطانية - هندية . [٢]

وفى ١٦ أكتوبر ١٩١٤م انتقلت قوات الجنرال ديلامين من بومباى إلى الخليج الفارسى على خمس سفن، وكانوا تحت حراسة السفينة الحربية " أوقيانوس " وسفينة الحراسة " دالهوزى " اللتين رافقتا السفن الخمس حتى البحرين، وبسرعة

1) History of Great War based on official documents . The Compaign in Memopotamia, Vol.1 1923, P. 79,84,91 .
2) Ibid, P. 99 , 102 , 103 .

انتقلت القوات البريطانية من البحرين إلى عربستان . وكان على إمرتها الشيخ خزعل خان من أسرة كعب العامرى، والذى كان صديقا وفيًا للبريطانيين . وكانت فى إمارته منابع البترول ومصفاة تكريره الذى كان يمد الأسطول البريطانى بالوقود . *

الموقف الإيرانى إزاء تطور الأحداث :

كانت إيران آنئذ على الحياد، وكل ما فعله مستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى أنه حاول الاحتفاظ بتوازن فى العلاقات بين بريطانيا وروسيا . كما كانت الحكومة الإيرانية تؤيد وتبارك فى الخفاء السياسة البريطانية ضد روسيا وتهتدى بهديها وتقتفى أثرها فى تعاملها مع الروس . وأبدت وزارة مستوفى الممالك استعدادها للإنضمام إلى جانب الحلفاء حسب شروط لخصتها فى مذكرة قدمتها إلى الوزير المفوض الروسى فى طهران، الذى نقلها بدوره إلى سازانوف وزير الخارجية الروسية فى ١١ فبراير ١٩١٥م، تشمل النقاط التالية :

١) انسحاب القوات الروسية من آذربيجان .

٢) دفع مبلغ كبير للجانب الإيرانى عل شكل قرض .

٣) تزويد إيران بالأسلحة والذخائر التى تكفى احتياجاتها الأمنية والدفاع عن حدودها .

٤) تخفيض سعر الفائدة على القروض البريطانية والروسية السابقة .

---

* قدم الشيخ خزعل عونا كبيرا لبريطانيا من الناحيتين العسكرية والسياسية، وانتهى أمره بأن تخلى عنه أصدقاؤه البريطانيين بعد ظهور رضا شاه پهلوى على مسرح السياسة الإيرانية، الذى اقتحم الإمارة، وفر الشيخ إلى البصرة فى سنة ١٩٢٥م ؛ فانهارت الإمارة الكعبية بعد أن كانت أغنى مشيخة فى الخليج الفارسى، وطلب معونة البريطانيين، إلا أنهم قلبوا له ظهر المجن، وتركوه فريسة سهلة لرضا شاه هو وشعب إمارته .

٥) ضم مدينتى كربلاء والنجف إلى إيران .

وقد اتخذ العرض الإيرانى طابعا جديا فى نظر المسئولين الروس الذين بلغ بهم الأمر حد اقتراح عقد " اتفاقية شكلية " بين إيران وبريطانيا تتنازل الأخيرة بموجب بنودها عن منطقة بغداد والمدينتين المقدستين النجف وكربلاء لإيران، مع إقامة إدارة بريطانية فيهم، نظراً لازدياد نفوذ الألمان فى العراق العثمانية، لكن السير إدوارد جراى وزير الخارجية البريطانية رفض هذا الموضوع لأنه كان يدرك تماما ما كانت ترمى إليه تلك المقترحات من أهداف بعيدة المدى لم تكن تتعلق بما كان يجرى على المسرح أيام الحرب بقدر ما كان يتعلق بمرحلة ما بعد الحرب . (١)

اتفاقية 1915 السرية وتقسيم إيران للمرة الثانية :

وفى ١٨ مارس ١٩١٥م عقدت اتفاقية سرية بين روسيا من جهة وبريطانيا وفرنسا من جهة أخرى، أتفق فيها على أن تضم روسيا إليها القسطنطينية (استانبول) وساحل البوسفور الغربى وبحر مرمر ومضيق الدردنيل وتراقيا الجنوبية إلى " خط اينوس - ميدية " وساحل آسيا الصغرى من البوسفور ونهر سقارية، ونقطة على خليج أزمير تعين فيما بعد، مع الجزر الكائنة من بحر مرمر وجزيرتى أمروز وتندوس .

أما ما يخص إيران فى هذه الاتفاقية السرية هو موافقة روسية على إدخال المنطقة المحايدة المنصوص عليها فى اتفاقية ١٩٠٧م السرية بين روسيا وبريطانيا ضمن منطقة النفوذ البريطانية، وتحفظت الاتفاقية على ثلاث نقاط، هى :

١) ضم المناطق الملاصقة لمدينتى أصفهان ويزد ضمن منطقة النفوذ الروسية .

---

(١) كمال مظهر أحمد، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد ، ١٩٨٥، ص٩٦ .

٢) ضم جزء من الطرف الشرقى للمنطقة المحايدة المجاورة لدولة أفغانستان ضمن المنطقة الروسية .

٣) انفراد روسيا فى العمل بحرية تامة فى منطقة نفوذها .

هذا وكان التحفظ من قبل بريطانيا وفرنسا على هذه البنود الثلاثة يعنى من الناحية العملية إلحاق المنطقتين المذكورتين بروسيا .[١]

واضطر رئيس الوزراء الإيرانى مستوفى المالك إلى تقديم استقالته فى شهر مارس ١٩١٥م، تحت ضغط دولتي الوفاق : روسيا وبريطانيا، كما سبق أن ذكرنا، وحل محله مشير الدولة، إلا أن هذا الإجراء لم يكن بوسعه وضع حد لنهاية النشاط المعادى لدولتي الوفاق فى إيران . ونظراً لاحتمال دخول قوات روسية وبريطانية العاصمة طهران ؛ فقد غادر عدد كبير من أعضاء مجلس النواب الإيرانى مع أعضاء وزارة مستوفى المالك المستقيلين أصحاب الميول لدولتي الوسط ألمانيا وتركيا إلى قم، حيث ألفوا ما أسموه بالحكومة الوطنية المؤقتة، فبادرت ألمانيا والنمسا وتركيا الاعتراف بها، كما شكلوا " لجان بعث الأمة " و " لجان الدفاع عن استقلال إيران " .

وحينما واجهت الوزارة الإيرانية بهذا العارض المفاجئ قررت نقل مقر الحكومة إلى أصفهان فى وسط البلاد متحدية بذلك ضغط الحلفاء عليها، وأسرعت بإخلاء الإدارات الحكومية، كما انتقلت المفوضيات الألمانية والنمساوية والعثمانية إلى الجنوب، واستقرت مؤقتا فى قم . وكان إخلاء العاصمة طهران ملائما للخطط الألمانية ؛ لأنه كان يعنى هدم الجسور بين إيران ودول الوفاق . ومع كل هذا

(١) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١، ترجمة جعفر خياط، ومراجعة الدكتور محمد أمين حسين والدكتور إبراهيم أحمد السامرائى، نشر دار المتنبى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد - نيويورك، ١٩٦٤ ، ص ١٠١- ١٠٢ .

النشاط الذى باركه كافة أفراد الشعب الإيرانى؛ إلا أن هذه العملية السياسية لم تنجح تماما، فقد كان من المقرر أن يلتحق بهم السلطان أحمد شاه القاجارى الذى أكره على التراجع فى اللحظة الأخيرة، وأذعن لضغط الروس والبريطانيين الذين أنذروه " بأن خروجه من موقف المحايد سيؤدى به إلى فقدان عرشه "، فاضطر إلى البقاء فى طهران . وحينما فوجئت الوزارة بهذا التحول فى الأحداث اضطرت إلى البقاء هى أيضا، ولم يغادر طهران فى النهاية سوى قادة الحزب الديمقراطى الموالين لألمانيا علنا . (١)

وطبقا لأتفاقية ١٩٠٧م أسند أمن منطقة الحياد الإيرانية إلى بريطانيا، كما أدى زيادة التهديد الألمانى إلى تخفيف حدة المنافسة بين الروس، والبريطانيين ، واستبدلت الدولتان وزيريهما المفوضين فى طهران . فكان ڤون أتر Von Etter خلفا لكوروستوڤتس الروسى وشارل مارلينج Marling خلفًا لتانلى البريطانى . وتبع ذلك حركة تغيير فى أفراد كلتي البعثتين الدبلوماسيتين* . وكان ڤون أتر، وهو بارون بلطيقى سياسيا قصير النظر ويتميز بصرامة العسكريين بعيدا عن رقة الدبلوماسيين، بدأ عمله فى طهران بأن أرسل برقية إلى بطرسبرج يطلب فيها إرسال قوة عسكرية إلى طهران لمواجهة التهديدات الألمانية .

واعترضت بريطانيا على ذلك، واعتبرت روسيا قد نفضت يدها بنقضها حياد إيران مما أفقد التعاون المشترك بين الوزير المفوض الروسى وزميله البريطانى . وفى نفس الوقت لم تولى بطرسبرج أهمية كبيرة للتهديدات الألمانيـة التى تمت فى صيف عام ١٩١٥م .

---

1) Sykes, P. A History of Persia , Vol. II, Op Cit., PP. 447 - 448 .

* كانت البعثتان الدبلوماسيتان البريطانية والروسية فى إيران بدرجة مفوضية، ويرأسها وزير مفوض، وهى أدنى من السفارة التى يرأسها سفير، ولم تصلا إلى درجة سفارة إلا فى عهد الأسرة البهلوية .

وما أن حل شهر نوفمبر ١٩١٥م حتى كان الجو المعادى لدول الوفاق فى إيران ملبداً، بحيث كان الأمر لا يتطلب سوى إشارة بسيطة ثم ينفجر الموقف برمته .

وكان فون أتر الروسي ومارلينج البريطانى على علم تام بالحالة في إيران ؛ فقررا العمل بسرعة لقطع خط الرجعة على الانقلاب المنتظر، ووجها إنذاراً شديد اللهجة إلى الحكومة الإيرانية يحذرانها من العواقب الوخيمة التى ستؤدى إليها العمل المنتظر وقوعه فى صالح ألمانيا . وزحف الجيش الروسى المرابط فى مدينة قزوين على بعد ثلاثين ميلاً شمالى طهران، في اتجاه العاصمة وهدد باحتلالها . أما في داخل طهران فلم تكن الحكومة الإيرانية قادرة على استمرار المناورة بين الدبلوماسيين الروس والبريطانيين من ناحية والدبلوماسيين الألمان والأتراك وأعضاء مجلس النواب الإيرانى من ناحية أخرى . فتشكلت وزارة جديدة برئاسة مستوفى الممالك، وكان أغلب أعضائها يميلون ميلاً كاملاً للألمان، خاصة وقد تم فى تلك الفترة انتقال قوات عسكرية روسية وبريطانية وفرنسية إلى ميادين القتال الأوروبية، فانتهزت ألمانيا الفرصة وكثفت نشاطها وساندت علنا القوى السياسية فى إيران المؤيدة لألمانيا .

تشكيل قوات " خط شرق إيران " :

كان إذاعة خبر ورود بعثة " نيدرماير " وزميله " هنتيج " إلى أفغانستان وتكثيف النشاط الألمانى فى إيران عام ١٩١٥م قد أقلق بريطانيا وروسيا . وخشيت بريطانيا أن يصبح للألمان نفوذ قوى فى أفغانستان يؤثر على الهند . واتفق الطرفان البريطانى والروسى على القيام بإجراء مشترك ضد ألمانيا تمخضت عن تشكيل قوات حدودية مشتركة تتمركز على طول حدود إيران الشرقية، وأطلقوا عليه " **خط شرق إيران** " . أرسلت القيادة الروسية ثمانية آلاف

جندى قوزاق إلى خراسان، وهى الولاية الشمالية الشرقية من إيران، وفعلت مثل ذلك بريطانيا وبنفس العدد، وقسمت هذه القوة المشتركة إلى وحدات صغيرة انتشرت فى خط يمتد من أستراباد حتى تربت حيدرية ماراً بمشهد . أما القسم الجنوبى من هذا الخط والممتد من بيرجند حتى بلوشستان الإيرانية، فتولى حراسته قوات هندية . وفى سجستان أنشأت بريطانيا مخافر على " ممر داغى " المعروف باسم " ممر المتمردين " حتى دزداب (زاهدان حاليا) ماراً بدرنه . كما وجهت بريطانيا وحدات عسكرية ؛ مشاة وفرسان، إلى غرب إيران لمراقبة الحدود الإيرانية العثمانية تشمل كتيبتين هنديتين ؛ إحداهما مشاه والأخرى فرسان للعمل فى غرب إيران . (١)

محاولة إيران إثبات وجودها :

وصلت وزارة مستوفى الممالك إلى أقصى درجات قوتها وتماسكها، وأصبح الوضع الألمانى فى إيران قويا، واطلع رئيس الوزراء الجديد على خطط الروس والبريطانيين، وكان يقظا تماما ؛ فعندما طلبت الحكومة الإيرانية رسميا من الحكومة الروسية اتخاذ ما يلزم نحو سحب قواتها من آذربيجان الإيرانية بتحريض من ألمانيا، جاء الرد الروسى سريعا ومختصرا ورد فيه : " نرفض الطلب بصورة قاطعة لأن القوات الروسية فى تلك المنطقة تشكل الضمان الوحيد والأكيد لحماية الرعايا الأجانب فى إيران " . إلا أن السبب الحقيقى كان يكمن فيما جاء على لسان فون أتر الوزير المفوض الروسى فى طهران قبل أيام من وصول رد الحكومة الروسية على طلب الحكومة الإيرانية، والذى قال صراحة لمستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى فى المقابلة التى تمت بينهما أن بلاده تخشى " احتلال

---

(١) سيفروس كور. .ترفتس : العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية ، مرجع سابق، ص ٩٢ .

لجيش التركى لآذربيجان بعد سحب قواتنا منها " .[1] وبصورة عامة لم يقبل الروس ولا البريطانيون الحياد الذى أعلنته وزارة مستوفى الممالك ؛ ذلك لأنهم كانوا يريدون من إيران الوقوف صراحة إلى جانب دول الوفاق، أو على الأقل اتباع ما يسمى " سياسة الحياد الودى " .[2]

تكثيف النشاط الألمانى فى إيران :

كان هدف النشاط الألمانى فى إيران هو إثارة شعور معادٍ للبريطانيين والروس بين أفراد الشعب الإيرانى . وعن هذه الطريقة يمكن أن يتم التوفيق بينهم وبين الموقف الموالى لألمانيا الذى كان يقفه المسئولون فى الحكومة الإيرانية . ومع أن طهران كانت مصرة على الظهور بمظهر الحياد فى سياستها، إلا أن أحاسيسها وتصرفاتها كانت تشير إلى الإنحياز الصريح جانب الألمان بضغط من السكان المتحمسين للألمان . وكان من جملة الخطط الألمانية أن يصحب مثل هذا الإعلان من جانب الحكومة الإيرانية هياج الشعب الإيرانى بالإجماع ضد الروس والبريطانيين . ومما لا شك فيه كان التدمير الذى حدث فى ممتلكات شركة النفط الإنجليزية الفارسية أدى إلى عرقلة المجهود الحربى البريطانى، حيث كانت سفن البحرية البريطانية تستمد الكثير من وقودها من النفط الإيرانى .

وكان عدد العاملين الألمان فى إيران ضئيلا للغاية؛ ومع ذلك كان لهم تأثير ملموس فى إثارة بعض القوى الوطنية ضد البريطانيين، سواء كانت فئات مثقفة فى المدن أو قبائل وعشائر إيرانية والتى تضمر كراهية شديدة للبريطانيين . وكانت عشائر البختيارى من أشد الفئات رغبة فى القيام بثورة ضد الروس

1) Ramazani, R. K.; The Foreign Policy of Iran. A Devoloping Nation in world Affairs, OP. Cit., P 116 .

(١) كمال مظهر أحمد، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد ، ١٩٨٥، ص٩١س .

والبريطانيين، بل وضد الشاه القاجارى نفسه. ولعل شدة الحماس يرجع إلى فشل البختياريين فى عزل الأسرة القاجارية المالكة قبيل الحرب العالمية الأولى، عندما قادوا الشعب الإيرانى وأطاحوا بمحمد على شاه فى عام ١٩٠٩م ؛ فتطلعوا إلى معاودة الكرة مرة أخرى خلال الحرب العالمية الأولى . لكن الجهود العسكرية التى بذلها البريطانيون ضد عشائر البختيارى كانت كبيرة ومؤثرة مما أدى إلى القضاء على انتفاضتها الثورية.

وازداد النشاط العسكرى لكل من ألمانيا وبريطانيا فى المناطق الجنوبية من إيران، وأيضا عملائهما، وكذلك نشاط رجال العشائر والقبائل . وبالرغم من جميع الاحتياطات التى اتخذها البريطانيون فقد حقق الألمان فى المناطق الجنوبية نجاحاً كبيراً فى سنة ١٩١٥م، بحيث أنهم أوشكوا على السيطرة الكاملة على الجنوب ما عدا موانئه وكانت مدينة شيراز فى أيديهم ؛ بينما لم يحقق الألمان ومشايعوهم نجاحا كبيرا فى طهران . فقد اكتسبوا إلى جانبهم عدداً كبيراً من رجال السياسة البارزين؛ منهم قسم كبير من أعضاء مجلس النواب الإيرانى فى دورته الثالثة . وكان تأثيرهم كبيرا على الشاه وعلى وزارة مستوفى الممالك، التى تجاهلت تماما الهجوم التركى على الأراضى الإيرانية، بحيث اعتبرت العشائر الكردية المقيمة فى المنطقة والمتعاطفة مع الدولة العثمانية ذلك بمثابة تشجيع من الحكومة الإيرانية لها على مساعدة الأتراك . ولم تسكت روسيا على ذلك، واعتبرت وزارة مستوفى الممالك معادية لهم، وبدأوا يهاجمون الحكومة الإيرانية ويتهمونها بالانحياز لدول الوسط . وقد بلغ التوتر بين الطرفين حدا أن هددت الحكومة الروسية أكثر من مرة بقطع علاقاتها مع إيران، وأقدمت على سحب بعض دبلوماسييها من بعض المدن الإيرانية كإجراء غير ودى من جانبها . ووصل الأمر أن هدد الروس والبريطانيون صراحةً المسئولين الإيرانيين بأنه فى حالة قطع

العلاقات الدبلوماسية مع طهران فإنه من الصعب فى المستقبل " إعادة مثل هذه العلاقات مع إيران مستقلة وغير مقسمة " . (١)

نشاط الأمير ڤون روس فى طهران :

كان يمثل ألمانيا دبلوماسيا فى إيران الوزير المفوض ڤون روس Von Ruess، وقد تمكن من المحافظة على علاقات ودية جدا مع قادة الحزب الديمقراطى الإيرانى . وكان هذا الحزب فى بداية الحرب يكن عداوة شديدة لكل من الروس والبريطانيين، ويميل كثيرا للتحالف مع الألمان . ونظراً للنفوذ القوى لأعضاء الحزب الديمقراطى الإيرانى فى الوزارة ومجلس النواب فإن دبلوماسية الأمير ڤون روس حققت جزءاً من أهدافها ؛ إذ عقد مستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى حلفًا سريا فى عام ١٩١٥م مع الحكومة الألمانية لقاء بعض الوعود السياسية : تشمل ضمان استقلال إيران ووحدة أراضيه، ومدها بالمال والسلاح والعتاد الحربى، وتأمين الإلتجاء السياسى للشاه فى ألمانيا فى حالة اضطراره الفرار من بلاده . وبعد ذلك بدأ الأمير ڤون روس يتحرك بجرأة كاملة، وتمكن من احتواء اثنين من أهم عناصر القوة فى إيران، وهما قوة الدرك التى كان يقودها ضباط سويديون والعشائر البدوية . وكانت قوة الدرك تعتبر الوحدة العسكرية المستقلة الوحيدة المتصفة بالكفاءة نسبيا . وقد أبدى الضباط السويديون العاملون فى الدرك ميولاً ألمانية، وقرروا فى النهاية الانحياز إلى جانب ألمانيا علناً . (٢)

وبذلك تكون وزارة مستوفى الممالك قد نقضت حياد إيران لتجاهلها التصرفات

---

(١) كمال مظهر أحمد، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد ، ١٩٨٥، ص٩٢-٩٣ .

(٢) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١ ، مرجع سابق، ص ٦٦ - ٦٧

التى كان يقوم بها أعضاء البعثة الدبلوماسية الألمانية فى إيران ، ووصل الأمر أن أصبح مبنى المفوضية الألمانية فى طهران قلعة حقيقية، وأغمضت الحكومة الإيرانية عينيها إزاء ذلك . ثم كانت بوابة مبنى المفوضية الألمانية تحت حراسة الشرطة الإيرانية ووحدات مسلحة مدفوعة الأجر . ووصل الأمر أنه إذا أراد أحد الإيرانيين دخول المبنى كان يفتش ذاتيا، ثم يرافقه أحد الحراس حتى يخرج من المبنى . أما موظفو البعثة الدبلوماسية الألمانية فقد كان أغلب أعضائها من الجواسيس المحترفين، وكانوا يتجولون فى طهران بصحبة حرس مسلح خاص . [1] كذلك تبدلت مقار القنصليات الألمانية فى المدن الإيرانية إلى قلاع مسلحة ومراكز إعلامية ودعائية مؤثرة . ومع دخول الدولة العثمانية الحرب جانب دول الوسط، تكثفت الدعايات ضد دول الوفاق للعمل على إشراك دول إسلامية أخرى الدخول فى الحرب جانب تركيا وألمانيا، ومنها إيران وأفغانستان . ففى ربيع عام ١٩١٥م حضرت إلى إيران وحدات عسكرية وجماعات من رجال المخابرات الألمانية للعمل فى إيران فى الخفاء ضد الروس البريطانيين، والدعوة إلى وحدة إسلامية تتزعمها تركيا وما أن شرعوا فى مهامهم حتى ظهرت آثار دعاياتهم، وساعدهم فى ذلك وبدعم كامل الدبلوماسيون الألمان العاملون فى المفوضية الألمانية فى طهران وأعضاء البعثات القنصلية الألمانية وغيرهم من الألمان العاملين فى إيران الذين أسهموا فى تدريب جماعات إيرانية على استخدام السلاح وتنفيذ الأعمال المدمرة، وخرجوا جميعا عن شكلهم السري حتى تأثيرهم فى جموع الشعب الإيرانى .

وبعد عودة الأمير ڤون روس الوزير المفوض الألمانى فى إيران من إجازته الطويلة فى أواخر شهر أبريل ١٩١٥م، حيث أمضاها فى التباحث مع القادة الألمان

(١) كاروتكوڤا : حياد إيران، مرجع سابق، ص ١٥٥ .

حول الأوضاع فى إيران وما يمكن إنجازه فى هذه المرحلة، وحتى يحصل الألمان على نتائج عسكرية فى الشرق الأدنى أسندت قيادة الجيش التركى إلى ضباط ألمان، خاصة وأن الموقف العسكرى التركى فى آسيا الصغرى وأوروبا كان صعبا إلى حد ما منذ بداية عام ١٩١٥م . وحاول الألمان تحقيق خططهم العسكرية بعد أن أصبح موقف الجيش التركى متأزما ؛ فوجدوا فى ميدان إيران فرصة لتحقيق أهدافهم العسكرية، حيث صمموا على تركيز نشاطهم العسكرى فى إيران والقيام بعمليات تدميرية وإرهابية ضد الروس والبريطانيين . ومن ناحية أخرى اجتهد الألمان فى توطيد صلاتهم مع الديمقراطيين والوطنيين الإيرانيين المتعاطفين مع الألمان، وحرضتهم على دخول الحكومة الإيرانية الحرب جانب دول الوسط . كما توقع الألمان أنه بعد دخولهم أفغانستان سترحب بهم وتقف جانبهم فى الحرب، ثم ينتقلون بعد ذلك إلى الهند، وهى المستودع الرئيسى للرجال والمؤن لبريطانيا وتأليب المسلمين وغيرهم على البريطانيين .

الجاسوس الألمانى نيدرماير :

بدأ الألمان تنفيذ مخططاتهم فى شهر مارس ١٩١٥م : باستدعاء مجموعات عسكرية وسياسية وإعلامية وفرق إرهابية، وتحركت من بغداد بعثة ألمانية برئاسة الملازم " أوسكار ڤون نيدرماير " Oskar von Niedermeyer "، تتكون من بضع جماعات متخصصة فى التدمير والقتل، و تحركت جموعهم بحذر بالغ نحو الناحية الشمالية الغربية من إيران . وصدرت الأوامر إلى نيدرماير بالتوجه إلى أفغانستان وتحريض الأمير حبيب الله خان للانحياز إلى ألمانيا وتركيا والدخول فى حرب ضد دول الوفاق .

لقد حرصت ألمانيا على الاستفادة من أفغانستان التى كان لديها جيش مدرب

قوامه عشرين ألف جندى وثلاثمائة وخمسين مدفعا . فقامت بإرسال بعثة استطلاعية ألمانية تركية مشتركة لمحاورة أمير أفغانستان، رأسها نيدرماير والهرفون هنتيج Von Hentig سكرتير قسم المفوضيات فى وزارة الخارجية الألمانية . وكان ڤون هنتيج يحمل رسالة من وليم الثانى الإمبراطور الألمانى إلى حبيب الله أمير أفغانستان . أما الأعضاء الأتراك فكانوا عبد الله أفندى النائب في مجلس المبعوثان (البرلمان) العثماني وكاظم بك ومعهم عدد آخر من المرافقين في مختلف التخصصات . وكان يرافق البعثة بركت الله خان وكومار ماهندرا تاب، وهما من قادة الحركة الوطنية فى الهند والمقيمين في برلين . وكانت الخطة التى وضعها الألمان وخططوا لها هى إرسال قوات تركية عسكرية إلى أفغانستان في بادئ الأمر . وفعلا أرسل رؤوف بك أحد القادة السابقين للفيلق الحميدى الخاص إلى بغداد لاعداد التجهيزات اللازمة لهذه القوة . لكن نتيجة التشاحن واختلاف الآراء بين الأتراك وأعضاء البعثة الألمانية أهمل المشروع .[١]

وقد تحتم على بعثة نيدرماير – هنتيج أن تخترق البلاد الإيرانية من غربها إلى شرقها، والتى كان قسم منها خاضعا للاحتلال الروسى، وكذلك تمر فى مناطق وبلدان كان فيها للممثلين البريطانيين نفوذ لا يستهان به، كما كان يترتب عليها آخر الأمر أن تخترق " خط شرق إيران " لتصل حدود أفغانستان . وكان تقدم البعثة بطيئا حذراً، لكنها نجحت آخر الأمر فى الوصول إلى أفغانستان فى شهر أغسطس ١٩١٥م، بعد أن تخلف عدد من أعضائها تفاديا لاحتمال الوقوع فى الأسر الروسي أو البريطاني . ونزل أعضاء البعثة بعد وصولهم إلى كابول ضيوفا على الأمير حبيب الله . وكان عليهم الانتظار مدة شهرين

---

(١) جورج لنشوفسكى ؛ الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١ ، مرجع سابق، ص ٧١ .

ليحظوا بمقابلة الأمير . وعندما أذن لهم قدم الألمان عروضهم بالتحالف مع دول الوسط . فرد الأمير بتحفظ وحذر وأخّر رده ؛ حيث كانت أفغانستان محايدة من الوجهة الرسمية ؛ لكن حزبا أفغانيا كان يميل إلى الأتراك يرأسه إثنان من كبار رجال الدولة الأفغانية، هما نصر الله خان وعنايت الله خان، اللذين كانا يثيران الدعايات المغرضة ضد مجموعة دول الوفاق، خاصة روسيا وبريطانيا، ويعملان على الانحياز إلى جانب مجموعة دول الوسط (تركيا وألمانيا) . وكان رجال الدين الإسلامى فى أفغانستان متأثيرن بنداء الخليفة العثمانى ودعوته للجهاد يضغطون على أمير أفغانستان لينحاز إلى المعسكر التركى .

ورغم كافة المجهودات التى بذلها نيدرماير وأعوانه؛ فإنهم لم يوفقوا فى محاولاتهم إثارة الإيرانيين والأفغان ضد مضطهديهم القدماء الروس والبريطانيين على الرغم من جميع الجهود الجبارة التى قاموا بها فى سبيل ذلك .[1]

لقد كانت المماطلة التى أبداها الأمير حبيب الله أمير أفغانستان يمليها عليه تخوفه من بريطانيا ورغبته فى التأكد من الفريق الذى سينتصر فى الحرب، وإن كان هو نفسه يميل إلى دول الوسط. وفى يناير ١٩١٦م وقع معاهدة تحالف مع ألمانيا تضم شرطين ؛ الأول تشكيل قوة عسكرية فعالة وإرسالها إلى أفغانستان، والثانى تقديم معونة مالية كبيرة بالعملة الذهبية . واتضح لنيدرماير وهنتيج أنه مالم ينفذا هذين الشرطين فلا أمل فى الحصول على المساعدة من أمير أفغانستان وتحقيق الخطة الألمانية المرسومة . وأخيراً غادرت البعثة أفغانستان بخفى حنين، وبعد التغلب على مصاعب خيالية تمكن نيدرماير من اجتياز إيران والوصول إلى العراق سالمًا . كما توجه هنتيج

1) Oskar Von Neidermeyer ; Unter der Glustonne Iran, Dachav bei Mũnchen, 1952, P 14 .

إلى التركستـــان الشرقيـة (سنكيانج حاليا) عن طريق شرق أفغانستـان، ومنها انتقل إلى الصين واستقل إحدى السفن التـى نقلته إلى الولايات المتحدة الأمريكية وأخيرا تمكـن من العودة سالما إلى ألمانيا .(١)

وما أن عاد أوسكار ڤون نيدرماير إلى إيران حتى كلف بمهمـة أخرى لا تقل صـعوبة وخطراً عن مـهمـة أفـغانسـتـان، وهى تكثيف الدعـايات المنحـازة للألمان والأتراك، وتجهيز جماعات مسلحة للعمل ضد المصالح البريطانية والروسية فى كل من إيران وأفغانستان . وقد تمكن نيدرماير من تكوين ضباط جواسيس إيرانيين مدربين تدريبا ألمانيًا جيدًا، واشترك مع القوات الأساسية لبعثة التدريب والتجسس التى كان يرأسـهـا " جاكوب " فى عملياتها، حيث توجهوا جميعا إلى أصـفهان عن طريق كرمانشاه وسلطان أباد، ومعه الأموال اللازمة للإنفاق منها على مـهماته التجسسية وأسلحة ومهمات ومعدات عسكرية أخرى . ثم انفصل نيدرماير وتوجه إلى العاصمة طهران مع وحدة عسكرية صغيرة مع دخول الأمير ڤون رايس الوزير المفوض الألمانى فى إيران بعد عودته مـن إجـازتـه فـى ألمانيـا التى قـضـاها فى التباحث فى شئون إيران والشرق الأوسط . وبعد أن أقام نيدرمـاير مدة شـهرين فى طهران اتصل فيـها بعدد من الإيرانيين المؤيدين لألمانيا ؛ فعاهدوه على تأييده ودعمه .. وبعد أن أنجز مهمته عاد أدراجه إلى أصفهان قاعدة قوات بعثته الأصلية.

وبدأ النشـاط الألمانى الفعلى بعد اتخاذهم أصفهان مـركزًا دعـائيا فى إيران المركزية والجنوبية، وانضم إلى هذه القافلة الدعائية التى يرأسها نيدرماير ، قنصل ألمانيا فى أصـفـهان " سيلر " Seiler ونائبه بوجـين Bugin، ونجح ثلاثتهـم فى إثارة جـمـوع غـفـيـرة من أفـراد الشـعب الإيرانى وخـانات بخـتـيـارى ضد

---

(١) جورج لنشوفسكى: الشرق الأوسط فى الشئون العالمية جـ ١، مرجع سابق، ص ٧١ – ٧٢

البريطانيين والانحياز علنًا جانب الألمان .

ومن الأعمال التى نفذها نيدرماير تدبيره مؤامرة فى شهر مايو ١٩١٥م لقتل " كافر " Kaver نائب القنصل الروسى فى أصفهان، أعقبها محاولة اغتيال " جراهام " Graham القنصل العام البريطانى فى أصفهان فى أواخر شهر أغسطس من نفس العام . وأخيرا تمركزت جماعة قتالية مكونة من عشرين ألمانيا ونمساويا، كان أغلبهم من أعضاء بعثة نيدرماير فى أصفهان للتعامل المسلح فى أى وقت مع أى طارئ يواجهونه .

وفى خريف عام ١٩١٥م وصل سوء الأحوال فى أصفهان درجة كبيرة أجبرت الأوروبيين المقيمين فيها إلى الرحيل عن المدينة والتوجه إلى الأهواز ليصبحوا تحت حماية البريطانيين وقواتهم المتمركزة فيها .

ثم توجه نيدرماير وجماعته المسلحة بعد النجاح الذى أحرزه فى أصفهان إلى كابول عن طريق نائين وطبس وبيرجند فهرات حتى وصل العاصمة كابول سالما هو وجماعته . وأجرى فترة إقامته الطويلة فى كابول مباحثات مع الأمير حبيب الله لم تسفر عن نتائج مرجوة ؛ فقط قبل أمير أفغانستان هدايا الألمان، ووافق على تقديم العون اللازم لتسهيل مرور الجيوش التركية والألمانية عند عبورها أراضى أفغانستان فى طريقها إلى الهند، كما وعدهم الأمير حبيب الله عدم تقديم مساعدات للروس والبريطانيين.

الجاسوس الألمانى واسموس Wassmuss :

وفى نفس الفترة التى كان يعمل فيها الجاسوس الألمانى نيدرماير فى أصفهان، تحركت من بغداد جماعة إرهابية أخرى بقيادة خبير الجاسوسية الشهير " واسموس " القنصل الألمانى السابق فى بوشهر . وكان مشروع

واسموس أكثر الخطط الألمانية التى نفذت بنجاح فى إيران ؛ وتمكن من تحريك وتأليب العشائر المقيمة قرب شيراز، والتى تقع بالقرب منها آبار البترول الإيرانية . وقد تمكن هذا الجاسوس الألمانى من توحيد سكان المنطقة وتأليبهم على البريطانيين على أساس أنهم أعداء الدين الإسلامى الحنيف ومحاربى السلطان العثمانى خليفة المسلمين، ومناهم بالمثوبة وحسن الجزاء فى صدهم للبريطانيين وطردهم من إيران، وتأييد تركيا المدافعة عن حقوقهم وسندهم الأكبر .

وقد نجح واسموس فعلا فى إثارة العشائر الجنوبية، وهدد مركز البريطانيين هناك، وآتت محاولاته ثمارها، وتوقفت تماما عمليات استخراج النفط بهدم مصانعه ومعامل تكريره وردم آباره .

وكانت الوحدة الألمانية الإرهابية العاملة فى جنوب إيران تتكون من واسموس واثنين من مساعديه الألمان وبضع أفراد إيرانيين وهنود مدربين على الجاسوسية، ومعهم كتيبات ومنشورات دعائية، ووصلت إلى خوزستان ومنها انتقلوا إلى بوشهر على ساحل الخليج الفارسى . وبدأ واسموس نشاطه وسط القبائل العربية والعشائر اللورية والبختيارية فى جنوب إيران حيث اتخذ إقليم فارس مسرحًا لعملياته، وكانت تربطه بشيوخ القبائل وخانات العشائر وزعماء المنطقة علاقات وطيدة عندما كان قنصلا فيها .

التحرك البريطانى لمواجهة هجمات الألمان فى جنوب إيران :

وكان التحريض الألمانى فى إيران شيئا محرجا لبريطانيا ؛ لأن قسما من القوات البريطانية الموجودة فى العراق كان لابد من إرساله إلى جنوب إيران لحماية حقول النفط . فكان مثل هذا التوسع فى الإلتزامات العسكرية أشد ما يكون إزعاجا للحكومة البريطانية، خاصة وأن المنطقة الجنوبية من إيران كانت

المنطقة التقليدية التى يتحتم على بريطانيا المحافظة عليها، وأخيرا قررت السلطات البريطانية القيام بحركة جريئة لإيقاف الألمان عند حدهم وإعادة السلم والنظام إلى المنطقة الإيرانية .

واكتشفت جماعات الجاسوسية العسكرية البريطانية تحركات واسموس وجماعته فى جنوب إيران ورصدت حركاتهم، وأخيرا اشتبكت معهم فى معركة شرسه انتهت بالقبض على كافة أعضاء جماعة واسموس . أما واسموس نفسه فإنه نجح فى الهرب، واختبأ لدى بعض شيوخ القبائل العربية وخانات العشائر اللورية . ومع ذلك اشتغل فترة طويلة فى التحريض على الثورة وبث الفتنة والكراهية وسط العشائر وقبائل جنوب إيران . (١)

ونتيجة لدعايات واسموس فى جنوب إيران واجه الجيش البريطانى مقاومة مسلحة إلى حدما عند دخوله خوزستان من الإيرانيين بتحريض من الأتراك ؛ قام بها أغلب القبائل العربية والعشائر اللورية . ومع ذلك لم يتدخل الأتراك فى هذه الجبهة، واكتفوا بما يفعله العرب الذين تزعموا حركة مواجهة البريطانيين فى جنوب غرب إيران، ثم انتشرت مقاومة الأهالى المحليين إلى بقية المناطق الإيرانية مع تطور ونمو الأحداث العسكرية والسياسية فى إيران. ولا شك أن واسموس أزعج البريطانيين إزعاجا كبيرا، وإن عجز عن بلوغ الهدف الذى تم تحقيقه لنده البريطانى لورنس فى بلاد العرب .

الكولونيل پوپ والبعثة العسكرية الألمانية - الإيرانية الإرهابية :

وهناك مجموعة إرهابية ثالثة كانت تتكون من حوالى ثلاثمائة شخص ألمانى

1) Sykes, Christopher; The German Laurence, Leipzing, 1937, PP. 15-20 .

ونمساوى وخمسين من الأتراك والهنود، وحوالى ألف شخص إيرانى مسلحين جميعا للقيام بعمليات عسكرية فى جنوب إيران . وأطلق على هذه الوحدة العسكرية الإرهابية " البعثة العسكرية الألمانية " ، وكان على رأسها الكولونيل بوپ Bopp، وكان واجبها التخطيط لعمليات إرهابية وخلق جو من الرعب والهلع فى إيران، وجذب أفراد إيرانيين جدد إليها، ونشر الدعايات المغرضة ضد البريطانيين والروس .

كما أصدر " فالكنهايم " رئيس أركان حرب الجيش الألمانى أوامره بتشكيل بعثة عسكرية كان عدد أفرادها سبعة وعشرين ضابطا ألمانيا ومزودة بعشرين ألف بندقية وملايين الطلقات ومهمات عسكرية أخرى . [١]

وكان الكونت كانيتز Count kanitz الملحق العسكرى بالمفوضية الألمانية فى طهران هو المحرك الفعلى لكافة الجهود لانضمام إيران إلى دول الوسط وتشكيل وحدات عسكرية واختير الجنرال الألمانى " ڤون درجوليتز " الذى كان يشغل منصب قائد الجيش السادس التركى العامل فى إيران بعملية تطهير إيران من القوات الروسية والبريطانية الذين كانوا المسيطرين الحقيقيين على إيران، ليضمن نجاح العمليات العسكرية المستقبلية . واختار ڤون درجوليتز غرب إيران ميدان نشاطه ليحارب القوات الروسية والبريطانية فى ناحية قرب الطريق الرئيسى الموصل بين خانقين وكرمان ماراً بهمدان . وكان هذا الطريق يتصل ببغداد حيث يتمركز لواء بغداد التركى، الذى يمكنه التدخل فى القتال فى أى وقت يطلب منه .

ولم يكتف الألمان بهذا التكثيف الإرهابى والعسكرى، بل شكلوا جماعات مسلحة مرتزقة فى كثير من المدن الإيرانية، خاصة فى المنطقة الواقعة جنوب

---

1) Sykes, P.; A History of Persia, Vol. II, OP. Cit, P. 450 .

طهران وطبس . واستفادوا كذلك من تواجد ضباط ألمان ونمساويين كانوا قد فروا من معسكرات الأسرى الروسية المقيمة فى آسيا الوسطى، وهى منطقة خاضعة لروسيا .

إنحياز قوات الدرك الإيرانية إلى الألمان :

وفى سنة ١٩١٥م رغب الموظفون الألمان أفراد الدرك الإيرانيين الذين كانوا تحت قيادة ضباط سويديين . وكان أفراد الدرك مدربين تدريبا جيدا ومسلحين تسليحا حديثا، وفاقوا فى ذلك الكثير من القوات العسكرية الإيرانية، والتالية فى التأثير بعد لواء القوزاق الإيرانى الذى يشرف عليه ضباط روس . وكانت قوات الدرك تتكون من سبعة آلاف جندى يقودهم خمسة وسبعون ضابطا سويديا وإيرانيا، وكانت وحداتهم موزعة على كافة أنحاء إيران، وأيضا كانت لهم شعبية بين الأهالى إلى حد ما . أما نفوذهم فكان أكثر تأثيرا من أى قوات عسكرية إيرانية . وكان أغلب أفراد الدرك واقعا تحت تأثير الضباط السويديين مما أزعج الروس لدرجة أن قائد لواء القوزاق الإيرانى قد دون مشاهداته وأحاسيسه وشكه فى أعضاء البعثة الألمانية فى طهران فى تقرير له ذكر فيه ما يلى : " ذلك الذى يجب أن يرى فى هذه البعثة هو أن أفراد الدرك وقادتهم الضباط السويديين يساعدون البعثة الدبلوماسية الألمانية مساعدة كبيرة . . . . . " [١]

ألمانيا تكثف نشاطها وتلقى بآخر ورقة فى جعبتها :

فكر الكونت كانيتز الملحق العسكرى بالمفوضية الألمانية فى طهران أن الوقت قد حان للقيام بإجراءات أمنية وعسكرية وضربات وقائية سريعة وحاسمة ؛ منها حدوث انقلاب يطيح بالوزارة الجديدة وإقصاء وزارة مستوفى الممالك وإحلال

---

(١) سفيروس كوروستوفتس ؛ العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ٩٧ .

غيرها توافق على دخول إيران الحرب منضمة إلى دول الوسط ؛ وذلك بتمركز القوات العسكرية في طهران وتشكيل فرقة أمنية مكونة من ألفي شرطي مدربة تدريبا خاصا يؤهلها للإنتشار السريع ووأد أية حركات معادية والتعامل مع أية عناصر مناوئة لألمانيا .

وتجمعت قوات الشرطة المشكلة حديثا بأمر من الميجور إدوال Edwal وأخذت وضع الاستعداد للإجهاز على أية محاولة من قبل الحكومة الإيرانية الموالية لألمانيا ، أو القوات الألمانية العاملة في طهران بطريقة غير معلنة . ولم تتمكن الحكومة الإيرانية تحت هذا الضغط الألماني من السيطرة على الموقف ؛ خاصة أنها أرادت تأجيل مدفوعاتها لألمانيا لعجزها عن السداد . ومما زاد الموقف تأزما وتدهورا أن المجاهدين الإيرانيين المتعاطفين مع ألمانيا قد شكلوا جيشا منهم وبتسليح ألماني وتجمعوا قرب العاصمة طهران . وفي أواخر شهر أكتوبر حمل " شنامن " كمية كبيرة من السلاح من العراق ونقلها إلى طهران لتكون تحت تصرف قوات المجاهدين الإيرانيين . ومما زاد الموقف اشتعالاً أنه أشيع في طهران أن ألمانيا وإيران عقدتا اتفاقية تعاون تسمح للألمان بحرية الحركة ومواجهة أعدائها في إيران مؤيدة من الحكومة الإيرانية والعمل بحرية تامة لإنجاز مهامها .

رد الفعل الروسى تجاه النشاط الألمانى:

كان رد الفعل فى بطرسبرج إزاء هذه الشائعات شديداً، واستدعى سازانوف وزير الخارجية الروسية الوزير المفوض الإيرانى فى روسيا فى الخامس من أكتوبر وسلمه مذكرة شديدة اللهجة، ذكر فيها أنه ربما تكون الشائعات صحيحة مما يوقع إيــران فى مخاطر دخول الحرب . ومما ذكره أيضا أن المعاهدة السرية الروسـية البـريطانيــة المبرمــة فى شهــر مــارس ١٩١٥م ينص أحد بنودهـا على سلامة كافة الأراضى الإيرانية، وأن الإجراء الذى تم بين الحكومة الإيرانية وألمانيا سيؤدى إلى فنائها .[(١)]

وفى العشرين من أكتوبر ١٩١٥م أصدرت القيادة الروسية أوامرها بتوجيه جيش كامل من قوات الجبهة القوقازية بقيادة الجنـرال " باراتوف " Baratov إلى إيران، وكلف باحتلال إيران فى حالة إعلانها الحرب على دول الوفاق .

وفى ٢٨ أكتوبر نزل فى ميناء أنزلى الإيرانــى على ساحل بحر قـزوين الجنوبى أكثر من ألف جندى من الجيش القوقازى، ثم بدأت تتدفق على الميناء قوات قوقازية بلغت تسع وثلاثين وحدة قوقازية وكتيبتين مشاه وكتيبتين من رجال الدرك المؤهلين للقتال والتعامل مع الانتفاضات والثورات المحلية وعشرين مدفعًا .

هذا وقد توفرت لدى المفوضية الروسـية فى إيران معلومات عن المؤامرة المسلحة المؤيدة لألمانيا، وتواجد كميات من السلاح والذخيرة المعدة لاحتلال طهران، وأن المؤامرة تهدف إلى نزع سلاح لواء القوزاق الإيرانى الذى يقوده ضباط روس، وتحريض إيران على توقيع معاهدة تعاون مع الألمان . وقد أسرع الوزير المفوض الروسى " ڤون أتر " بإبلاغ حكومته بالمؤامرة الألمانية، وطلب

(١) سيڤيروس كوروستوڤتس : العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ٩٩ .

إرسال لواء من القوات الروسية للتحرك نحو طهران واحتلالها . فوافقت حكومة بطرسبرج على ذلك . وفعلاً قدمت قوة من الجيش القوفازى بقيادة " زورلوتاريوف Zorlotariov " ، ونزلت فى ميناء أنزلى، وتقدمت حتى وصلت كرج شمالي طهران، وتأهبت لدخول العاصمة الإيرانية .

وكان صدى هذا الاستعراض العسكرى الروسي على سكان العاصمة طهران كالصاعقة، واضطربت أحوال المسئولين فيها، وشرعوا يرحلون إلى أماكن أكثر أمنا . كذلك فعل نفس الشئ أعضاء البعثات الدبلوماسية الألمانية والنمساوية والتركية، وفروا إلى قم واختبأوا فيها . كما انتقل إلى قم أيضا جنود الدرك ووحدات المجاهدين وأغلب أعضاء المجلس النيابى، وبضع وزراء وسياسيين إيرانيين موالين للألمان وعدد من رجال الدين . وحث الألمان أحمد شاه القاجارى وأعضاء مجلس الوزراء الإيرانى على الانتقال إلى قم . أما أحمد شاه فإنه وجد فى انتقاله إلى قم يشكل خطراً محققا عليه قد يؤدى إلى أن يفقد عرشه وملكه . وبقى الشاه القاجارى الذى كان دون العشرين من عمره فترةً متردداً مشتت الفكر ؛ بين الانتقال إلى قم وتشكيل حكومة مناوئه للروس والبريطانيين . لكن الأخيرين حسموا الموقف وضغطوا عليه وهددوه بفقدان عرشه والإحاطة بالأسرة القاجارية برمتها، وانتهت تماما مسألة انتقال العاصمة إلى قم . (١)

وكان عدم انتقال الشاه إلى قم نتيجة ضغط الوزير المفوض الروسى "ڤون أتر الذى كلفه سازانوف وزير الخارجية الروسية بمقابلة الشاه وتحذيره من مغادرة طهران إلى قم، وأنه فى حالة الخروج من طهران فإنه من الممكن عدم عودته إليها مطلقا . وكان سازانوف قد شدد على ڤون أتر التمسك بمطالبه فى

---

(١) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٥٦ -٧٥ .

مباحثاته مع الإيرانيين .[1]

أما مستوفى الممالك رئيس الوزراء الإيرانى فإنه عجز عن مواجهة الموقف ، وفى النهاية طلب ڤون أتر إحضار القوات الروسية المتواجدة فى كرج إلى طهران لتأمينها ، ووعده بأنه سيعمل على حفظ المصالح الروسية فى إيران . ولم يكتفى بذلك، بل عقد اتفاق تعاون مع الروس والبريطانيين .

وما أن هدأت العاصفة قليلا حتى قدم ڤون أتر الوزير المفوض الروسى ومالينج الوزير المفوض البريطانى إنذاراً مشتركا إلى أحمد شاه بتغيير الوزارة فوراً ، وأن يدخل الوزارة الجديدة عناصر من السياسيين الموالين للروس والبريطانيين . ورضخ الشاه القاجارى للإنذار الروسى البريطانى المشترك، وشكل وزارة جديدة دخلها من الشخصيات الموالية للبريطانيين الأمير فرمانفرما ووثوق الدولة وعين الدولة الذين شغلوا المناصب الرئيسية فى الوزارة الجديدة، لكن تفاقم الأوضاع السياسية واضطراب النفوس والأحوال لم يجد شيئاً .[2]

تشكيل حكومة وطنية فى قم :

شكل السياسيون الوطنيون الذين انتقلوا إلى قم حكومة وطنية، وأعلنوا الجهاد ضد الروس والبريطانيين، وجمعوا الأموال، وشرعوا فى الاستعداد العسكرى بتشكيل وحدة عسكرية، أطلقوا عليها اسم " كتيبة الشرطة الوطنية " . أما الألمان المقيمون فى قم فكان يقودهم الأمير ڤون روس الوزير المفوض الألمانى والكونت كانيتز الملحق العسكرى فى المفوضية الألمانية، وغيرهما من رجال

(١) سيڤيروس كوروتوڤتس : العلاقات الدولية فى عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ١٠١ .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٥٩ .

المخابرات والخبراء والموظفين الذين يعملون في الحكومة الإيرانة . كما انضم إلى المجموعة العسكرية الألمانية جماعات مقاتلة من الإيرانيين في حدود مائتي شخص قادهم حسين كاشي عضو مجلس النواب الإيراني وسردار صولت الأصفهاني أحد زعماء الحركة الوطنية الإيرانية اللذين أعنا انضمامهما إلى الألمان .[1] وحذر ڤون رايس وهو في مقر بعثته الدبلوماسية في قم الحكومة الإيرانية في الخامس من ديسمبر ١٩١٥م من عواقب اتفاقية تعاون مع الروس والبريطانيين . وأنذر المسئولين الإيرانيين أنه في حالة عقد إيران اتفاقية تعاون مع دول الوفاق ستعاني إيران مصير بلجيكا بعد احتلال الألمان لها .

ولم يكتفي الأمير ڤون رايس بالإنذار الذي قدمه، بل بادر بتشكيل وزارة إيرانية معادية للحكومة المركزية في طهران في مدينة قم . ثم انتقل إلى كرمانشاه؛ لقرب قم من طهران التي تقف على مقربة منها القوات الروسية مما قد يسبب عدم اطمئنان، وأيضا لتكون الحكومة الجديدة المعادية على مقربة من الحدود التركية ليتسنى لها الاعتماد على حماية من القوات التركية المتواجدة في الطرق الإيرانية .

وأعيد في كرمانشاه تنظيم الحكومة المعادية، ورأسها نظام السلطنة حاكم لورستان . وفي شهر ديسمبر ١٩١٥م عقد نظام السلطنة رئيس الحكومة الإنفصالية معاهدة تحالف مع ألمانيا، ينص أحد بنودها على تجنيد أربعين ألف جندي من أهالي المنطقة الواقعة تحت سيطرته، على أن تقوم ألمانيا بالاتفاق عليهم ومدهم بالسلاح والعتاد والمدربين الألمان، وتقديم معونة شهرية مع ضمان خزانة الحكومة المؤقتة ، وتبع ذلك أن افتتحت مفوضية ألمانية في كرمانشاه، وبادرت

(١) سيڤيروس كورروتوڤتس : العلاقات الدولية في عصر الإمبريالية، مرجع سابق، ص ١٠١ .

بتقديم أوراق اعتمادها رسميا إلى حكومة نظام السلطنة . وسرعان ما قدمت بعثة عسكرية ألمانية لتدريب الوفود المتجمعة حديثا .

ومنذ ذلك الحين أصبح مصير حكومة نظام السلطنة السياسي مرتبطا بمصير الجيش التركي في العراق . ثم إن الحكومة المؤقتة لم تقدم للمجهود الحربي التركي الألماني إلا شيئاً بسيطا للغاية .[1]

تطور عمليات القتال بين القوى الوطنية وقوات دول الوفاق :

بدأ الألمان تنفيذ عمليات عسكرية مؤثرة في همدان : ففي بداية شهر نوفمبر ١٩١٥م هاجمت وحدة الدرك بقيادة الكولونيل محمد تقي خان – وهو الذي قام بعد ذلك بثورة ضد الحكومة الإيرانية في خراسان – بمعاونة فصيلة مجاهدة بقيادة إحسان الله خان مهاجمة وحدة القوزاق الإيرانية المكلفة بالدفاع عن همدان . وفوجئ أفراد القوزاق بالهجوم المفاجئ عليهم، فشل تفكيرهم، ولم يبدو مقاومة تذكر، وفر عدد منهم وأسر الباقي، واعتقلوا حاكم همدان، وكان ابن الأمير فرمانفرما، وأعلن محمد تقي خان نفسه حاكمًا على المدينة، واستولى المغيرون على غنائم حربية كثيرة من أسلحة ومعدات عسكرية ومواد تموينية، وأغاروا على شعبة البنك الشاهنشاهي في همدان، وسطوا على ما به من نقود أثناء اقتحامهم المدينة .

وكانت عملية همدان مفاجأة لكل من دولتي الوفاق روسيا وبريطانيا والحكومة الإيرانية على السواء، وتحمل الروس عبء وأد هذه العمليات الفدائية ؛ فأمر الجنرال الروسي باراتوف بتوزيع قواته إلى ثلاثة محاور : همدان وطهران وقم لقيام بعمليات حربية في المناطق الثلاثة واحتلالها آخر الأمر . كما كلف أعوانه

---

(١) جورج لنشوفسكي ؛ الشرق الأوسط في الشئون العالمية، جـ ١، مرجع سابق، ص ٦٨–٩٦ .

المتواجدين فى القنصليات الروسية بتسريح أفراد الدرك ونزع سلاح الجنود المرتزقة .

وفي ١٦ ديسمبر ١٩١٥م استولت وحدة من الجيش الروسى على همدان بعد قتال عنيف قرب قرية " ألچى "، واقتحموا المدينة دون مقاومة تذكر، وشرعوا فى تعقب الجنود المرتزقة وأفراد وحدات الدرك الذين كانوا تحت قيادة الضباط الألمان، وأجبروهم على التقهقر إلى ممر جبلى قرب عباس آباد، وأحكموا الحصار وتركوهم يواجهون الموت عطشى . كما استولت وحدات عسكرية روسية أخرى على مدن " لاله كان " و " ساوه " و " قم " فى شهر ديسمبر أيضا . كما هزمت وحدة من القوزاق الروس بقيادة " بلومستنوف " Belomestnov سرية من قوات مشتركة ألمانية - إيرانية فى ناحية رباط كريم. وفى آخر العام أيضا أبيدت تماما القوات الموالية للألمان فى القسم المركزى من إيران، ولم يبق لها أثر يذكر . أما آخر أحداث عام ١٩١٥م هو اضطرار سرايا المجاهدين والفدائيين وأفراد الدرك إلى الإلتجاء إلى كاشان وسلطان آباد بروجرد وكرمانشاه .

وعلى هذا النحو اشتعلت العملية العسكرية فى إيران بين أطراف الصراع الدولى، وكان الكونت كانيتز Kantiz الملحق العسكرى الألمانى فى طهران يتجول كثيرا فى البلاد الإيرانية ويعطى وعوداً سخية بالمساعدة والدعم المادى والمعنوى الألمانى، وانتدبت هيئة الأركان الألمانية العامة عددا من البعثات العسكرية لدعم النشاط الألمانى فى إيران ؛ فكانت بعثة " كلاين " تعمل فى كرمانشاه والمناطق الكردية واللورية المحيطة بها، واختص نشاط بعثة " تزوجماير " Zugmeyer فى أصفهان وكرمان، وبعثة " بياخ " Biach فى يزد وبلوشستان كما كان " واسموس " Wassmuss القنصل السابق فى بوشهر يدير ثورة بين

عشائر القشقائى والبختيارى والتنجستانى فى القسم الجنوبى الغربى من إيران .
وقد ساعدهم على ذلك أن العشائر والقبائل الإيرانية كانت تؤلف خمس سكان إيران تقريبا، وكان جميع أفرادها مسلحين ومدربين تدريبا يصلح لحرب العصابات، وقد استقطبهم الكونت كانيتز ووثقوا فيه وتعاونوا معه تعاونًا تامًا .
وقد هاجمت هذه البعثات الألمانية ومن انضم إليهم من رجال الدرك والعشائر والقبائل الإيرانية عددًا من فروع البنك الشاهنشاهى فى إيران الذى كان يديره البريطانيون، واستولوا على ما به من أموال، كما قبضوا على عدد من البريطانيين وكان بينهم بعض القناصل البريطانيين العاملين فى المدن الإيرانية . (١)

(١) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١، مرجع سابق، ص ٦٨-٩٦ .

المرحلة الثانية :

تمهيد :

تشمل المرحلة الثانية من مراحل الحرب العالمية الأولى في إيران سنتي ١٩١٦، ١٩١٧م وفيها قامت الثورة الروسية في شهر مايو ١٩١٧م، وتمكن الثوار البرجوازيون الروس من الإطاحة بالحكومة القيصرية في روسيا، وتجميد جبهتي القتال في أوروبا والشرق بعض الوقت، وتنتهي بثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا .

تغيير موقف الحكومة الإيرانية وميلها إلى دول الوفاق :

أطلع السلطان أحمد شاه القاجاري كلا من مارلينج الوزير المفوض البريطاني في طهران، زميله البرنس ڤون أتر الوزير المفوض الروسي في ١٢ يناير ١٩١٦م أنه أذن للوزارة المشكلة حديثا عقد اتفاقية تعاون مع دولتي روسيا وبريطانيا . وأمر بالبدء في إجراء المباحثات في هذا الشأن، على أن تكون الدولة الإيرانية في وضع محايد مع ميل إلى دول الوفاق الثلاثي (بريطانيا وروسيا وفرنسا) . وأنه قد انتهت تماما مرحلة التهديد الألماني للمصالح البريطانية والروسية في إيران، كما فشلت خططها في الوصول إلى أفغانستان والهند بعد الجهود المضنية التي قامت بها روسيا واستمرت فترة طويلة وفي مدة قصيرة .

ولاشك أن ألمانيا كانت تجتهد في إشراك إيران الدخول في الحرب كحليف ليتسنى لألمانيا إرسال قوات إليها لتنفيذ خططها في طرد البريطانيين من الهند، وانتهى الوضع بأن ألمانيا لم تستطع تحقيق أهدافها، بل شلت حركتها تماما بعد وقوف الحكومة الإيرانية في جانب دول الوفاق . ورغم الظروف القاسية التي صادفت الألمان، إلا أنها استمرت في نشاطها المعادي للروس والبريطانيين وسط

القبائل العربية والعشائر الكردية واللورية البعيدين عن سيطرة الحكومة المركزية الإيرانية حتى نهاية الحرب . لكن تصرفاتهم كانت أعمالاً غير منظمة، ولم يكن لها أدنى خطر أو تأثير على الموقف العام، بل مكنت تلك الأحداث الألمانية كلاً من روسيا وبريطانيا من مضاعفة إجراءاتهما لزيادة نفوذهما في إيران .

وسرعان ما شكل الألمان قوات من الوطنيين الإيرانيين موالين لهم في كرمانشاه على أمل منع الروس من الاستيلاء عليها، ووصل عدد أفراد القوة المتمركزة في كرمانشاه حوالي ألف شرطي وخمسة آلاف فارس، وقادهم نظام السلطنة حاكم لورستان والذي شكل حكومة انفصالية بمعاونة الألمان، والذي عقد اتفاقية تعاون مع الألمان . كما وعد حاكم پشتكوه إرسال قوة عسكرية من بضع آلاف مقاتل . كما كان في خطط الألمان جلب قوات تركية من العراق تشد من أزرهم . لكن القوات الروسية لم تعطى الفرصة للألمان، وأحكموا حصار مدينة كرمانشاه، وبدأوا في مناوشتهم . وفي ١٦ فبراير ١٩١٦م أجبرت القوات الروسية الألمان على الانسحاب وترك كرمانشاه، وفر أفراد الدرك والمقاتلين الوطنيين الإيرانيين إلى الأراضي العثمانية في اتجاه خانقين على الحدود الإيرانية العثمانية (العراقية) . كما اضطر أعضاء " لجنة الدفاع الوطني " إلى الانتقال إلى أصفهان بعد النجاح الذي أحرزته القوات الروسية بعد استيلائها على كاشان في أوائل شهر مارس، واحتلال أصفهان في ١٩ مارس ١٩١٦م . وعلى هذا النحو أنجزت القوات الروسية عملياتها العسكرية بنجاح في إيران .

ومع التفوق العسكري الروسي في إيران فقد استفاد الأتراك والألمان من النشاط الإعلامي ومالت إليهم العشائر الكردية المختلفة . وكانت وحدات كردية قد تمركزت في ناحية " بيجار " لشن حملة على ولاية " خمسة " بهدف الاستيلاء

على عاصمتها زنجان . وأمرت الحكومة المركزية فى طهران حاكم زنجان وقائد حاميتها أمير أفشار أن يحاربا مع وحدات القوزاق الإيرانية المتعاونة مع الجيش الروسى ضد الألمان والأتراك والأكراد . وقد قام أمير أفشار بتوقيع اتفاقية تعاون مع قيادة الجيش الروسى ؛ بأنه فى حالة عدم دخول العسكريين الروس منطقة خمسة يعدهم بالاحتفاظ بسياسته الودية تجاه روسيا . وفى مقابل ذلك أسند الروس شئون منطقة زنجان وولاية خمسة إلى أمير أفشار الذى تعاون تماما مع الروس على أمل تعيينه حاكما على زنجان .(١)

وأثناء هجوم القوات التركية على همدان فى أوائل شهر أغسطس ١٩١٦م، أرسلت القوات التركية كتيبة مشاة إلى خمسة، ووجد أمير أفشار نفسه فى وضع لا يحمد عليه، ؛ فأرسل رسالة مداهنة ونفاق إلى القائد التركى تحسبا لدخول الأتراك المدينة . وفى الوقت ذاته أرسل رسالة إلى الجنرال باراتوف يؤكد له ما اتفق عليه فى الاتفاقية المبرمة بينه وبين القيادة الروسية، فرد عليه بالتالى : " بخصوص الاتفاقية فإنه لا يتحتم دخول القوات الروسية منطقة خمسة . وحقيقة الأمر أنك طلبت هذا ووافقتَ عليه شريطة عدم سماحك لأعدائنا دخول منطقة خمسة . ومع ذلك وافقت أن يدخل الأتراك منطقتكم، وأبديت لهم كل محبة وصداقة . أما عن حياد إيران، فيجب أن تعلم أن الحياد سياسة الضعفاء . أما أنت يا أمير ففعلت غير ذلك وقررت ترك الحياد . وعندى رسالة وردت منك تطلعنى فيها أنك ستضع تحت تصرفى الفرسان المتفق عليهم، ولا تسمح لأعدائنا دخول منطقة خمسة . . . " وختم باراتوف رسالته بالآتى : " يجب أن يكون سلوكك واضحًا ؛ نظرًا لأنك لا ترغب فى تأييدنا ولا تستطيع العمل ضد أعدائنا . أطلب

---

(١) ميرشنيكوف ؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٥٩ .

منك أن ترعى الحياد كاملاً، ويلزم أن يتعلم جنودى كيف يتعاملون مع أى شخص " . (١)

ومع ذلك كانت علاقة الروس مع أمير أفشار جيدة وطيبة للغاية، خاصة إلتزامه بالحياد، وفى آخر الأمر كان باراتوف يشبّه حياد أمير أفشار بأنه شبيه بحياد الحكومة المركزية فى طهران . ونشير أيضا أن خانات إيران كانت لديهم رغبة شرهة فى الحصول على مكاسب شخصية فى بعض الأحيان إذا سنحت الفرصة لهم . نستشف ذلك من رسالة الجنرال باراتوف السابق ذكرها، والتى نعتبرها مثالاً حيًا عن الطريقة النفعية الوصولية لأحد الخانات . كما كانت القيادة الروسية تتعامل فى المسائل الداخلية وعلاقاتها مع الحكومة المركزية فى طهران على أساس تلك النظرة .

وقوف الألمان والأتراك فى وجه الروس وإثارتهم الأهالى :

كانت علاقات روسيا مع العشائر اللورية مهمة وحساسة فى تلك الفترة ؛ ففى نهاية عام ١٩١٥م، اجتهد الألمان والأتراك فى جلب كميات هائلة ومتنوعة من السلاح لتوزيعها على العشائر اللورية، الذين كانوا يتعاونون مع الأمير نظام السلطنة حاكم لورستان . أما الشعب اللورى البعيد عن المؤامرات والدعايات فإنه لم يبدى أدنى مقاومة مسلحة لمواجهة الحملة الروسية . كما أصابهم نوع من الشلل الفكرى عندما تركهم قائدهم الإيرانى الأمير نظام السلطنة عندما فر إلى بغداد يواجهون مصيرا سيئًا .

وقد سلم قائد سرية بروجرد الروسى تقريرا خاصا عن أوضاع لورستان إلى

1) General Baratov's letter to Amir Afshar, dated 19, August, 1916.
من الأرشيف المركزى لجمهورية جورجيا .

الجنـرال باراتوف فى شـهر يونيـو ١٩١٦م، ذكر فيه : " وُفِّقنا خـلال الإقامـة فى بروجرد إلى استقطاب الخانات الخطرين وأفراد اللورالمتمردين فى منطقة كان الاضطراب وقطع الطرق فيها أمراً عاديا، ونحتاج إلى جهد كبير لإعادة النظام والهدوء إليـها، والذى كان يحدث كل يوم كمظهر عـادى ودائم ولا ينكره أحد، خـاصـة وأن الإيرانيين لم يتـمكنوا من إتمام ذلك فى سنوات رغم اجتـهاداتـهم ومجهوداتهم فى استتباب الأمن . ونحن أنجزنا ذلك فى بضعة أشهر . فيجب أن تقدم الحكومة الإيرانية شكرها لنا على استتباب الأمن والاستقرار فى تلك المنطقة من إيران وقد أظهر خانات اللور بوضوح أحاسيسهم المليئة بالمحبة والصداقة للروس الذين قدموا إليهم لحفظ النظام والأمن . . . . لقد كان الخانات مشغولين بمعاداة الحكومة الإيرانية، وهذا لن يتكرر بعد ذلك " . (١)

ولدينا أيضا رسالة مؤرخة فى ٣١ مايو ١٩١٦م، وقعها سبع خانات لور، منهم على مردان خـان أمير أفخم وغلام على خان سـردار أشرف وشيخ على خـان سردار عشائر وآخرون، أورسلوها إلى الجنرال باراتـوف ذكـروا فيها ما يلـى : " نحن الموقعون على هذا، نعرض على سيادتكم أننا حـاضرون تنفيذ كافة أوامركم ونحـافظ فى المسـتقبل على النظام والسـلام وأمـان الطرق فى منطقـتنا . وإذا احتاجت جيوش الإمبراطورية (الروسـية) إلى خدمـاتنا، فنحن حـاضـرون ولن نقصر مهما كان الأمر الذى تطلبونه منا . لقد طلبنا من القنصل الإمبراطورى أن يطلعكم كيف أن الحكومة المركزية الإيرانية الغاشمة الظالمة تتصرف معنا . نحن نطلب منكم مساعدتنا وقد أصبحنا أتباعكم " . (٢)

---

(١) من الأرشيف المركزى لجمهورية جورجيا .

(٢) من الأرشيف المركزى لجمهورية جورجيا .

يتضح من هذه الرسالة أن اللور قطعوا كافة صلاتهم بالحكومة المركزية في طهران عمداً، وأن استقرار الأمور في لورستان وإعادة النظام واستتباب الأمن فيها عائد إلى تعاون اللور والروس .

وكان عداء خانات اللور للحكومة المركزية في طهران ناشئاً عن أن الحكومة الإيرانية قد حرمتهم من مزايا وحقوق رعاية الطرق التي تمر في بلادهم وحراستها وتكليفهم باستقرار النظام وحفظ الأمن في لورستان ؛ حيث حول الحكام المعنيون من طهران هذه الوظائف إلى الجيش الإيراني مما أثار شعوراً عدائياً من الأهالي الذين كانوا يرتزقون من وراء ذلك. وقد عينت الحكومة الإيرانية ركن الدولة حاكما جديداً على خوزستان ولورستان، واتخذ مقره في بروجرد بدلاً من نظام السلطنة الذي فر إلى بغداد حتى قبل أن يعلن رسميا هزيمة الأتراك وانسحابهم من المنطقة. وأمر ركن الدولة الحاكم الجديد موظفيه أن يسلكوا مع اللور مسلك سابقه، كما كانت الحكومة المركزية في طهران مصممة على تصفية حساباتها مع اللور منتهزه فرصة تواجد القوات الروسية في لورستان . نستشف ذلك من اطلاع ركن الدولة القيادة الروسية سرا على برقية سرية وصلت إليه من رئيس الوزراء الإيراني يأمره بالاستفادة من فرصة إقامة القنصل الروسي في بروجرد، والقيام بحملة عقابية على اللور بمساعدة القوات الروسية .

وحقيقة الأمر أن السلام والهدوء والاستقرار في لورستان كان نتيجة تعاون الشعب اللوري والقيادة الروسية، وليس نتيجة عمليات عسكرية تأديبية شنها الجنود الروس، خاصة وأنه لم يكن في بروجرد ونهاوند سوى نصف كتيبة قوزاق روسية مما يؤكد أن الإجراءات الخاطئة التي تنفذها الحكومة المركزية

فى لورستان أدت إلى نتائج سيئة للحكومة الإيرانية المجحفة الغير منصفة نحو اللور، ويؤكد ذلك ما ذكره الموظف السياسى للقوات الروسية العاملة فى المنطقة إلى قائد كتيبة بروجرد فى تقرير له ورد فيه ما يلى : " . . . . يلزم إجبار الإيرانيين أن يصرفوا النظر عن استفادة الحكومة الإيرانية إعادة امتياز اللور السابقة لاستتباب الأمن فى لورستان والحفاظ على سلامة الطرق التجارية وأمنها، وأن هذا الأمر يمكن أن يتم عن طريقين، هما :

١) إعادة الاستقرار والهدوء فى لورستان .

٢) العمل على رفع عداوة الحكومة المركزية والتوسط لدى العشائر اللورية لإزالة الخلافات فيما بينهم لتنشأ علاقات عادية .

هذا ويشير التقرير أن تحقيق أكثر من نصف هاتين النقطتين يؤدى إلى تحقيق استمرار الصداقة والتعاون بين اللور والقوات الروسية، وليس هناك من شك أن تواجد حكومة إيرانية صديقة لروسيا ستكون قادرة على العمل فى هذه المنطقة " .(١)

ثورة ميرزا كوچك خان جنگلى فى جيلان :

وفى أوائل عام ١٩١٦م حاولت القوات الروسية اقتحام جيلان، وكانت بها ثورة محلية منذ عام ١٩١٢م، تلك التى قام بها ميرزا كوچك خان جنكلى لمكافحة الإمبريالية الإيرانية وتأسيس دولة حديثة فى جيلان، واستمرت قائمة حتى دخول الجيش الروسى إيران الذى قبض على كافة العناصر التى يمكن لها مقاومتهم فى جيلان، لكنهم لم يتمكنوا من القبض على زعيم الثورة ميرزا كوچك خان

---

1) Letter from Burujird to General Baratov, dated June 1, 1916 .
مودع بالأرشيف المركزى لجمهورية جورجيا .

الذى التجـأ إلى الغـابات، وبدأ يحـارب الروس، المسـتـعـمـرين الجـدد، وشن الجنكليون هجماتهـم على القـوات الروسية فى ولاية جيلان على طول طريق أنزلي- قزوين . واستغل الألمان ثورة ميرزاكوچك خان لصالحهم واعتبروها مؤيدة لهم ضد الروس، وادعوا تعاونها معهم ؛ لكن حقيقة الأمر كانت ثورة ميرزا كوچك خان حركة وطنية ضد الاستعمار بكافة أشكاله . وكان تموينها ومواردها يعتمد أساساً على حملات قطع الطريق على وسائل الشحن العسكرى الروسى مما أضر كثيرا القوات الروسية التى كانت تقاتل الجنكليين .

وفى يناير ١٩١٦ م بدأ تعامل الجيش الروسى مع القوة العسكرية الأساسية لميرزا كوچك خان، وأنزل القوزاق الروس خسائر فادحة فى الجنكليين . ورغم ذلك لم ينهزم الجنكليون تماما بسبب وقوف أهالى المنطقة معهم وحمايتهم للأفراد الجنكليين .

القضاء على الوطنيين المناوئين لألمانيا فى قم :

كان أسلوب العمل الروسى فى قم يختلف تماما عن أسلوب التعامل مع الجنكليين ؛ ففى أواخر سنة ١٩١٥ م دخلت القوات الروسية مدينة قم التى كانت مقر " هيئة الدفاع الوطنية " المتعاطفة مع الألمان ضد الحملات التى شنها الروس على أنصار ألمانيا والمجاهدين الإيرانيين . ومن الغريب حقا أن الجيش الروسى الذى دخل قم كان مورد استقبال رجال الحكومة وسكان المدينة . وفى تقرير لوحدة مخابرات جيش الجنرال باراتوف الموجه إلى القيادة الروسية ، ورد فيه : " سَعِد الأهالى (يقصد الإيرانيين) كثيرا عندما شاهدوا الجنود الروس وتعاطفوا معهم، وتقرر بقاء وحدات عسكرية من قواتنا فى قم لحفظ الأمن ونشر الاستقرار " . وورد فى نفس التقرير : " إن احتلال القوات الروسية لمدينة قم حرر الأهالى من الضرائب الباهظة التى فرضتها هيئة الدفاع الوطنى على

سكان المدينة. ولم يكتفوا بذلك، بل أخذوا مبالغ كثيرة من خزانة الحرم المقدس . وأيد كافة رجال الدين (الإيرانيين) الروس بعد السيطرة على المدينة، وأعلنوا وقوفهم بجانبهم . أما دعايات الألمان والأتراك فى كاشان وسلطان آباد فإنها لم تؤدى إلى نتيجة مرجوة . (١)

نظرة الإيرانيين إلى وثوق الدولة :

تبدلت إيران فى سنوات الحرب العالمية الأولى إلى مستعمرة حقيقية تسيطر عليها روسيا وبريطانيا. ومنذ ذلك الحين اعتبر الإيرانيون وثوق الدولة رئيس الوزراء شخصا إيرانيا خان وطنه . وقد وصف العقيد (پالكونيك) پروزور كيفيتش Prozor Kevitch قائد قوات القوزاق الإيرانية فى عهد أحمد شاه القاجارى رئيس الوزراء وثوق الدولة بالآتى : " على أى حال لم يكن عدواً لنا، ومن إحدى علامات أسلوب الصداقة فى مجلس الوزراء الجديد الميل نحو دول الوفاق، أو بالنسبة لبريطانيا على أقل تقدير، هو اعتبار " قوة بنادق جنوب فارس " قوة عسكرية إيرانية وطنية . نستشف ذلك من برقية رسمية أرسلها وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى إلى الجنرال پرسى سايكس يشكره فيها على إعادة " القانون والأمن فى جنوب إيران " (٢) .

يتضح لنا من كل هذا اتفاق بريطانيا وروسيا على تشكيل حكومة إيرانية تسعى للحفاظ على مصالح بريطانيا وروسيا السياسية فى إيران . أما فترات الحرب فإنهما كانا يتعاملان ليس فقط مع الشاه القاجارى والحكومة الإيرانية الرسمية، بل كانا يتعاملان وبغزارة مع القبائل والعشائر والوطنيين لصالحهما . وبنفس الطريقة استفاد الأتراك من العشائر الكردية فى الحرب ضد الجيش

---

(١) الأرشيف المركزى لجمهورية جورجيا .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ٧٤ .

الروسى المقيم فى أذربيجان الإيرانية . كما اجتهد الألمان، والأتراك معاً للاستفادة من عشائر اللور والبختياريين.

قوة بنادق جنوب فارس :

أقدمت الحكومة البريطانية على تنفيذ إجراءات سريعة وفعالة لتشكيل جيش أطلق عليه اسم " قوة بنادق جنوب فارس" South Persia Rifles . طبقا للاتفاقية المبرمة بين الحكومتين البريطانية والإيرانية فى يناير ١٩١٦م . وقدم الميجور پرسى سايكس Percy Sykes القنصل العام البريطانى السابق فى كرمان من الهند فى شهر مارس ١٩١٦م على رأس بعثة عسكرية - سياسية، واستقر فى بندر عباس على مدخل الخليج الفارسى . وكانت هذه البعثة تحت الإشراف المباشر لوزارة الخارجية البريطانية فى الشئون السياسية . أما المسائل العسكرية فكانت تحت إشراف كل من وزارة الحربية البريطانية وقيادة الجيش الهندى . وكانت المهمة الأساسية للبعثة كما ذكر پرسى سايكس : " تشكيل قوة عسكرية لإعادة سيادة القانون وفرض النظام لصالح كل من الحكومتين البريطانية والإيرانية" . (١)

ونزل الميجور پرسى سايكس ومعه ستة وعشرين ضابطا بريطانيا وهنديا فى ميناء بندر عباس، ورافقه حرس شرف مكون من ستة وعشرين فارسا، ومعه أسلحة ومهمات عسكرية كثيرة . وعلى الفور شرعت البعثة فى اختيار الأفراد المتقدمين للعمل بوحدات " قوة بنادق جنوب فارس "، وبلغ عدد أفرادها فى فترة وجيزة خمسة آلاف رجل من أبناء القبائل العربية المقيمة فى الضفة الشرقية للخليج الفارسى والعشائر الإيرانية الموالية لبريطانيا، والتى لا هم لها سوى حمل السلاح والدخول فى أى صراع تصادفه ليشبع أفرادها رغبتهم فى سفك الدماء

1)Sykes, P.S.; A History of Persia, Vol.II, Op. Cit.P.452.

والسلب والنهب وانتهاك الحرمات والأعراض .

وشرعت قوة بنادق جنوب فارس تمارس عملها فعلا، وتمكنت من السيطرة على جميع المناطق الجنوبية من إيران . وفى شهر مايو ١٩١٦م طوّر الميجور پرسى سايكس القوة، ودربها تدريبا عسكريا يُمكنها من الدخول فى معارك حربية، وليس فض المظاهرات أو تفريق الجماعات الثائرة، وأمدّ أفرادها بالأسلحة سريعة الطلقات التى لم تكن تعرف من قبل وبنادق متطورة، خاصة بعد نجاحه السريع فى تشكيلها وتحقيق الهدف من إنشائها . وذاع صيتها ؛ فهرعت جماعات غفيرة من الإيرانيين بالانضمام إليها . وكان لا يلتحق أى فرد إيرانى بهذه القوة إلا بعد دراسة شخصيته وظروفه وأحواله وميوله، فكانت آخر الأمر تتشكل من مجموعة من العرب واللور من أبناء القبائل والعشائر المقيمة فى المنطقة، التى عادة يشتغل أفرادها بقطع الطرق وسلب الناس فى وضح النهار . فكان من الصعب على الميجور پرسى سايكس جمع هذا العدد الشرس من الإيرانيين والعرب تحت إمرته ليزاولوا نشاطهم بصورة منظمة، وليأتمروا بأمره ويتفانوا فى خدمته .

وأيضاً دعمتها حكومة الهند البريطانية بقوات هندية إضافية مكوّنة من كتيبة مشاة وكتيبة فرسان، وشرع قائدها پرسى سايكس يحرّك قواته بعد تدريبها تدريبا عسكريا نحو كرمان الذى استقبله حاكمها " سردار ظفر خان بختيارى " معلنا تأييده الشديد للبريطانيين . وقد أجبر هذا الإجراء من قبَل حاكم كرمان الوحدات العسكرية الموالية لألمانيا بقيادة تسوج ماير وسيلر على الفرار، كما صادر سردار ظفر خان سلاح الدرك وسرّح أفراده، وهاجم أعوانه وحدات تسوج ماير وشتتوا البقية الباقية من أفرادها، وأسروا موظفا نمساويا يدعى الدكتور بياخ Biach وسلّموه إلى البريطانيين .

ودخل الميجور پرسى سايكس مدينة كرمان وسيطرت قواته على المدينة سيطرة

تامة، ثم عزم على التوجه إلى شيراز سالكا طريق يزد وأصفهان . والظاهر أن الهدف من الخطة التي أقدم عليها كان التلويح بإمكان قواته عمل أى إجراء عسكرى، وطول يدها فى المدن والمناطق الإيرانية الواقعة فى المنطقة المحايدة التى طالبت بها روسيا، خاصة وأنه من وجهة النظر العسكرية لم تكن هناك حاجة إلى دخول القوات البريطانية والهندية أصفهان التى كانت تحت سيطرة وحدات من القوزاق الروسية من قوات الجنرال باراتوف منذ شهر مارس ١٩١٦ م . ومع ذلك دخلت القوات البريطانية والهندية أصفهان على أمل إلتقاء قوات دولتى الوفاق : بريطانيا وروسيا، وترتيب سلسلة من الاحتفالات .

وبعد إقامة الميجور پرسى سايكس قرابة شهرين فى أصفهان، تحرك على رأس قواته واتجه نحو شيراز، وكانت فيها للبريطانيين مصالح حيوية، تتمثل فى بنك بريطانى وإدارة تلغراف وقنصلية . وكانت شيراز حتى قبل تأمين الأوضاع فى كرمان لصالح البريطانيين قد تحررت من النفوذ والهيمنة الألمانية عن طريق جماعات عسكرية قادها قوام الملك الحاكم السابق للولاية، والذى قام بتسليم الأسلحة والمهمات الحربية لدى الولاية طواعية إلى البريطانيين، وأعلن ولاءه لهم . كما قدم كثير من أفراد الدرك بعد تمردهم على أوامر ضباطهم السويديين والألمان وتركوا خدمة الحكومة الإيرانية للعمل فى " قوة بنادق جنوب فارس "[1] .

وحتى يستولى البريطانيون على المناطق المجاورة لبحر عمان وساحل بلوشستان قامت وحدات من قوة بنادق جنوب فارس بعمليتين حربيتين فى جنوب شرق إيران وهناك واجه الميجور " داير " Dyer العشائر الحدودية الثائرة التى هاجمت خطوط مواصلات شرقى إيران وقاعدة كويته Kwetta العسكرية، كذلك نزلت كتيبة هندية بقيادة الميجور " كيس " Keys فى ميناء جوادر، وتمكنت

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ٦٢ .

من القضـــاء على التحرشات الألمانية التى قـــادها رجال المخابـــرات الألمـــان في بلوشستان الإيرانية . وانتهت العمليات العسكرية في شهر مايو ١٩١٦ م باحتلال القرية الحدودية " خاش " التى كانت مقر عشيرة الحدود، واستقرت فيها الكتيبة الهندية لاستتباب الأمن وتتبع حركات الوطنيين الموالين للألمان . وأخيرا عادت في ربيع عام ١٩١٧ م عن طريق " بمبـــور "، قاصـــدة " چـاه بهار " على ساحل بحر عمان . وذكر سايكس في كتابه " تاريخ إيران " أن وحدة الميجور كيس لم تواجه مقاومة مسلحـــة تذكـــر، وأن كـيس تمكـــن من توطيد علاقاته بكافة خانات عشائر تلك المنطقة النائية .

واستمرت القيادة البريطانية تعمل على حراسة مناطق استخـــراج البتـــرول في جنوب غرب خوزستان حتى بعد القضاء الكامل على العمليات التخريبية الألمانية وبذلك سيطر البريطانيون بمعاونة هندية سيطرة تامة على نواحي جنوب إيران ؛ أى منطقة النفوذ البريطانية والمنطقة المحايدة السابقة ؛ باستثناء أصفهان التى رفض الروس تسليمها إلى بريطانيا حليفتها في الحرب ، وأيضًا الناحية الجبلية الصغيرة الواقعة بين شيراز وبوشهر، التى لم تتمكن القوات البريطانية الاستيلاء عليها والسيطرة على العشائر الثائرة المحالفة لدولتي الوسط : ألمانيا وتركيا والمعادية لبريطانيا وروسيا . وكانت كافة ترتيبات قوة بوشهر البريطانية غير مؤثرة لتأمين المرور في طريق بوشهر - شيراز الجبلى بسبب المقاومة المسلحة التي واجهتها من عشائر تنجستاني وشاهكتاني وبرازجاني ؛ لدرجة أن " نصير ديوان " خان عشيرة كازروني شن حملة على وحدة عسكرية من قوة بنادق جنوب فارس في كازرون في شتاء عام ١٩١٦م، وأخرجهم منها، مما جعل الميجور پرسي سايكس يرسل نجدات من قوات بريطانية وهندية إلى منطقة كازرون . وأخيرا تمكن من وأد الحركة المناوئة للبريطانيين وإعادة الأمور إلى نصابها .

وصممت بريطانيا، أن تربط منطقة جنوب إيران بالهند عن طريق خط سكة حديدية وكأن المنطقة الإيرانية جزء تابع لها، وأعدت لذلك رسومات للمشروع وجعلته يمتد من زاهدان ويسير مستقيما داخل إيران لنقل المنتجات الهندية والبريطانية . كما يمكنه الإسهام فى نقل المواد الأولية والمحصولات الزراعية الرخيصة بطريقة أوفر وأسهل من إيران، وأيضًا التعامل التجارى مع شمال شرق إيران الواقع تحت سيطرة الروس (١) .

وعلى أية حال لم يتم إنجاز خط السكة الحديدية كاملا حيث ظهرت صعوبات فنية حالت دون امتداده حتى حدود بلوشستان الإيرانية قبل بداية عام ١٩١٨ م .

القوات الروسية تنقل عملياتها العسكرية إلى العراق العثمانى :

طلبت بريطانيا من القيادة الروسية مساعدتها لإنقاذ القوات البريطانية فى كوت العمارة ؛ فأمرت القيادة الروسية الجنرال باراتوف قائد قواتها فى إيران فى ربيع عام ١٩١٦م، مهاجمة النواحى الغربية من إيران، وتمكن من الاستيلاء على قصر شيرين الواقعة على الحدود الإيرانية العثمانية فى العاشر من مايو ١٩١٦م ، وتعقبوا الجنود الأتراك الذين انسحبوا من الأراضى الإيرانية إلى خانقين .

وفى شهر يونيو ١٩١٦م دخلت وحدات من الجيش الروسى العراق العثمانى، وفاجأت القوات التركية المتمركزة عند مجرى نهر " دياله " وأوقعوا بهم هزيمة قاسية .

وفى نفس الفترة تقدمت وحدات من فرقة " وان - آذربيجان " العسكرية العاملة فى الجبهة القوقازية صوب الموصل، وواجهوا قوة تركية مكونة من كتيبتين

1) Dickson, W.E.R.; East Persia, A Backwater of the Great War, 2 nd edit., London, 1956, PP. 270- 271 .

مشاه تركيتين ووحدات من الفرسان قرب " راوندوز " على بعد مائــة كيلومتــر من الموصل تمكنت من إيقاف الزحف الروسى .

وقد سهل قدوم الجيش الروسى للعراق تحسن أوضاع الجيش البريطانى فيها، ونجحت القوات البريطانية المحصورة في كوت العمارة التى كان يبلغ عددها ثلاثة عشر ألف جندى بريطانى وهندى بقيادة الجنرال تاونشند . ومع ذلك فإنه استسلم للجيش التركى فى ٢٩ أبريل ١٩١٦م ؛ بينما تمكن الجنرال تاونشتد من الهرب تاركا خلفه ضباطه وجنوده بين قتيل وجريح وأسير .

ولأجل رفع معنويات العسكريين البريطانيين فى العراق، قرر القائد العسكرى البريطانى التعاون مع الجيش الروسى . وبعد إجراء مباحثات بين القيادتين البريطانية والروسية ؛ قرر قائد القرات الروسية إرسال كتيبة قــوزاق إلى العـراق فــى شهر أبريل ١٩١٦م، بقيادة ضابط يدعى " جملى " Gamaly ، وتوجهت إلى العراق عن طريق پشت كوه واجتاز صحارى وعرة غير صالحة للسير فيها ونواحــى رطبــة غير صحية، وكانت تحت سيطرة تركيا . وأخيرا دخل الأراضى العراقـية بمشـقـة بالغة، ونجح فى الاتصـال بالجيش البـريطـانى قـرب " على الغربى" Ali Al- Garbi وقد تصـور البـريطانيـون أن هـذه القوة الروسـيـة قد أبيدت فى الطريق : لذلك لم يتم الاحتفال بالوحدة القوقازية وقائدها جَملى، لكن البريطانيين اندهشوا عندما شاهدوا قوات القـوزاق الروسية قادمة عليهم قــرب على الغربى فجر اليوم التاسع من مايو ١٩١٦م (١) .

ووصف " مـرجـوييڤ " المؤرخ الروسى هذه الواقـعـة التى تمت على الجـبـهـة الإيرانية – العثمانية بطريقة شيقـة وحيّة فـى كتابــه " نحو دجلة " والذى دوّنه على أساس مذكرات أحد أفــراد قوة جَملى . أمــا پرسى سايكس فإنه لم يذكر

(١) كورسون : الحرب العالمية فى جبهة القوقاز، مرجع سابق، ص ٥٢ .

فى كتابه " تاريخ إيران " شيئا عما لاقاه الروس من عناء، بل كل ما ذكره يشتمل على عمليات القوات الروسية فى إيران، أى الفترة من نهاية سنة ١٩١٥ وحتى بداية ١٩١٦م ، وأنه اعتبر الطريق التاريخى الذى يربط بغـداد بقلب إيران كـان متأرجحا بين الأتراك والروس فى سنة ١٩١٦ م . وذكر أن النصر كان حليف الروس فى البداية حتى بعد انسحاب البريطانيين من طيسفون، وأنهم توغلوا داخل الأراضى الإيرانية وهاجموا كرمنشاه واستمروا فى تقدمهم، وأن الجيش الروسى تقدم بعد فتحه أرضروم متعقبا الأتراك حتى " كرند " فى شهر مارس ١٩١٦ م . وفى نفس الفترة تقريبا طردت وحدات روسية أخرى العشائر البختيارية المتاخمة لأصفهان، وفتحوا قناة اتصـال مع البريطانيين [1] .

وحقيقة الأمر أن الروس كانو قد استولوا على همدان فى ديسمبر ١٩١٥م، وليس فى مارس ١٩١٦ ، وأنهم بعد استيلائهم عليها أكملوا مسيرتهم واستولوا على كرمانشاه وكرند، تلك القرية الصغيرة الواقعة بين سنقر وكرمانشاه فى شهر مارس ١٩١٦م، بناء على طلب قائد القوات البريطانية، كما استمرت عمليات الروس الحربية ضد الأتراك حتى شهر أبريل ١٩١٦ م، ودخلوا العراق بعد استيلائهم على قصر شيرين .

ومع هزيمة القوات المحلية الموالية للألمان فى الولايات الإيرانية المركزية والغربية أصبحت روسيا المسيطرة على منطقة نفوذها دون منازع، وكذلك بريطانيا إلا فى مناطق محدودة . ورغم اتفاق روسيا وبريطانيا، فإن الجيوش الروسية تقدمت فى إيران غربا حتى همدان لتواجه الجيش التركى الذى كان قد استولى

---

1) Sykes, P.; A History of Persia, Vol. II, OP Cit, P. 451 .

وتوجد هذه الفقرة من كتاب سايكس فى الترجمة الفارسية لمحمد تقى فخر داعى الجيلانى، جـ٢ ، ص ٦٣٢ .

عليها والمنطقة المحيطة بها، وشكلت هذه الجبهة التركية الجناح الأيسر لجبهة القوقاز .

موقف الحكومة الإيرانية من أحداث عام ١٩١٦م :

كانت انتصارات وهزائم قوات دولتي الوفاق روسيا وبريطانيا العسكرية في الحروب التي خاضتهما في الشرق بعامة، وفي ايران بخاصة ضد قوات دولتي الوسط تركيا وألمانيا، تعكس دائما وبطريقة ملفتة للنظر منهج السلوك السياسي الذي ينعكس بدوره على السياسة الخارجية للشاه القاجاري والحكومة الإيرانية . وما أن انتصرت القوات الروسية على تحركات تركيا وألمانيا في إيران، وأطاحت بكافة خططهما، كانت وزارة الأمير فرمانفرما الموالية لدولتي الوفاق المدعّمة من الشاه القاجاري وبريطانيا وروسيا معًا قد تظاهرت بقوتها وإحكام سيطرتها على الزمن والنظام في إيران أمام الشعب الإيراني المغلوب على أمره ؛ وما ذلك إلا أنها كانت مطيعة تمامًا للروس والبريطانيين على السواء ولا تملك من الأمر شيئا، ومع ذلك خلفتها وزارة أخرى برئاسة سپهدار، الذي كان أكثر خضوعًا وطواعية لبريطانيا وروسيا من سابقه فرمانفرما .

وحصل البريطانيون في عهد سپهدار على تصريح بتشكيل " قوة بنادق جنوب فارس "، وأيضًا على دعم لواء القوزاق الإيراني الذي يعمل تحت إشراف ضباط روس . وكتب پروزور كيڤتش Prozorkevich قائد هذا اللواء الإيراني إلى الحكومة الروسية في بطرسبرج ما يلي : " لم تكن وزارة سپهدار المكوّنة من مجموعة من الوزراء يدينون بالولاء للبريطانيين والروس تملك جرأة مخالفة رئيس وزرائهم الذي كان يعمل بأوامر من الدبلوماسيين الروس والبريطانيين . ويمكن القول مع مفهوم المعاهدات التي أبرمتها الحكومة الإيرانية مع دولتي روسيا

وبريطانيا أن توافق إيران على تواجد هذه القوات البوليسية" . [١]

العمليات التركية فى إيران خلال عام ١٩١٦م :

وفى صيف عام ١٩١٦م تمكنت وحدات من الجيش التركى من طرد الوحدات الروسية المتمركزة على طول طريق همدان . وكان صدى انتصار الأتراك على الروس قويا على الحكومة الإيرانية، حتى أن بعض الوزراء فى وزارة سپهدار الموالين للروس أعفاهم رئيس الوزراء من مناصبهم على الفور، ثم أطيح بالوزارة برمتها . وكتب پروزوركيفتش ما يلى : " كانت أنباء نجاح الأتراك وإمكانية تقدمهم ودخولهم طهران لتصفية الحسابات مع الحكومة الإيرانية الحالية مما أدى إلى استعفاء الوزارة برمتها، والتى كانت غير مرضى عنها من الشاه القاجارى وجموع الشعب الغفيرة التى عبرّت عن آرائها بكل شجاعة وجرأة تمثّل فى التنديد بالروس والبريطانيين " . [٢]

وفى فترة نجاح الأتراك العسكرى فى إيران، حدثت أزمة حادة حول خروج الرعايا الأوربيين من طهران .

واقترح الوزيران المفوضان رئيسا البعثتين الدبلوماسيتين لكل من بريطانيا وروسيا على أحمد شاه القاجارى أن يستعد للخروج من العاصمة، لكن الشاه لم يقبل هذا الاقتراح وصمّم على البقاء فى طهران، وأيده فى ذلك المجلس الأعلى للبلاط الذى تشكل خصيصا لبحث هذه الأزمة .

وبعد قبول أحمد شاه استعفاء وزارة سپهدار بقيت الدولة الإيرانية بدون وزارة، حتى أن الشاه القاجارى نفسه أقدم على تشكيل وزارة جديدة رأسها بنفسه . أما كافة الشخصيات الإيرانية الذين طُلبَ منهم تشكيل الوزارة الجديدة ؛ فإنهم

---

(١) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ٧٢ – ٧٣ .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ٧٢ – ٧٣ .

امتنعوا عن قبول هذه المهمة بسبب عدم استقرار الأوضاع السياسية والعسكرية في إيران وأخيرا تشكلت وزارة جديدة برئاسة وثوق الدولة بعد أن وعده الروس بالحماية، واعتبره الدبلوماسيون الروس حليفا لهم، كما اعتبره البريطانيون آلة لتنفيذ رغباتهم، حتى الشعب الإيراني احتار في الأمر، هل وثوق الدولة مع الروس أم مع البريطانيين ؟ !!! وأخيراً لم تستفد روسيا القيصرية كثيراً منه، بينما وقّع مع البريطانيين إتفاقية ٩ أغسطس ١٩١٩ م . فكان عملاً قبيحًا منه.

العمليات العسكرية البريطانية في عام ١٩١٧م :

استمرت القيادة البريطانية تعمل على حراسة مناطق استخراج البترول في جنوب غرب خوزستان حتى بعد القضاء الكامل على العمليات التخريبية الألمانية . وفي شهر مايو ١٩١٧م استقر في كازرون لواء مشترك من البريطانيين والهنود يشتمل على كتيبتين مشاه وكتيبة فرسان وبضع وحدات مدفعية وجماعات معاونة مجموعهم ألفين وخمسمائة ضابط وجندي . وتمركزت القوة الضاربة لهذا اللواء الذي أطلق عليه " جبهة كارون " في الأهواز لتأمين المنطقة الغربية من الحدود العثمانية . وتمركزت وحدات صغيرة منه في " شوش " و " ميدان نفتون " التي بها آبار البترول . ولم تحدث أية عمليات عسكرية في هذه الجبهة منذ ربيع عام ١٩١٥م، لتواجد الشيخ خزعل حاكم عربستان الموالي للبريطانيين . وكان واجب القوات الإيرانية في تلك الفترة الانتهاء من مهام الاحتلال وتأمين المنطقة . (١)

وحاولت بريطانيا السيطرة على المناطق التي لم تخضع لها أو تستسلم : ففي شهر مايو ١٩١٧م انتقلت وحدة عسكرية بريطانية من العراق إلى كرمان،

---

(١) ميرشنيكوف : إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ٦٣ – ٦٤ .

فواجهت مقاومة مسلحة من عشيرة سنجابى التى أجبرتها على الإرتداد، ولم تمكنـها من إحتلال الأراضى الواقعة بين كرمانشاه وهمدان التى كانـت لا تزال تحت السيطرة المؤثرة للدعايات التركية والألمانية .

وكان " شونمان " Schunemann القنصل الألماني فى كرمانشاه قد شكل وحدة عسكرية من الأهالي المحليين تجاوز عدد أفرادها المائة، وزوّدها بضباط تدريب ألمان وأتراك، وجهزها ببنادق ألمانية، ودفع بها داخل الأراضي الإيرانية على طريق قصر شيرين - همدان لتأمين الطريق وتنظيم حرية حركة البعثات والقوافل الألمانية المختلفة المتجهة نحو إيران . وتحت ضغط كل من شيركازوف Cherkasov القنصل الروسي وماكدويل McDowel القنصل البريطاني في كرمانشاه غادر شونمان القنصل الألمانى المدينة التى كانت معرضة لاحتلال القوات التركية، وانفرد القنصل التركى بالهيمنة على مدينة كرمانشاه، ونصّب نفسه قائدا لقواتها. وكانت تحت إمرته وحدات عسكرية تمكن بها من الاستيلاء على الطريق الرئيسى بين العراق وهمدان وسيطرت عليه القوات التى تحت قيادته . وفى شهر أغسطس ١٩١٧م عاود شونمان القنصل الألمانى فى كرمانشاه مع قواته محاولة التوغل فى الأراضى الإيرانية ؛ لكنه توقف عند " كنكاور " القريبة من كرمانشاه .

ولم تكن همدان أفضل من كرمانشاه، وقد بدا شعبها وكأنه فى حالة حرب فعلية،بعد أن شاهد أغلب القنصليات الأوربية أشبه بقلاع مسلحة، وأيضًا سكن الأعضاء القنصليين ؛ فكان يتولى حراسة القنصلية الروسية مائتى جندى قوزاق وروس وخمسين جندى مشاة . أما القنصلية البريطانية فكان يحرسها مائة جندى من سلاح الفرسان وخمسين جندى من مشاة الجيش الهندى .أما مقر إقامة " ويبر " Weber القنصل الألمانى فى همدان ، والذى فضل البقاء فى المدينة

فكان يحرسه عشرات من الأفراد المحليين المسلحين . وعمل ويبر مع زميله القنصل التركى فى همدان على تجنيد عدد من الأهالى وشكل منهم وحدات قتالية .

واستفاد الأتراك والألمان من الأهالى المحليين، وأشركوا عشائر اللور والبختياريين والقشقائيين وقبائل عرب خوزستان والطوائف الأخرى المقيمة فى جنوب إيران فى عملياتهم ضد البريطانيين والروس تلبية لنداء الجهاد الذى أعلنته إستانبول . ونجحوا فى بعض العمليات، ووفقوا فيما قاموا به من مجهود للحد من نشاط دولتى الوفاق بريطانيا وروسيا . كذلك تعاونوا مع الألمان ضد البريطانيين والروس : يتمثل فى ثورات ضدهما فى إيران نتيجة تحريض الأتراك والألمان والاقتناع بدعاياتهما . وكانت لكثير من الثورات ردود فعل طبيعية للإيرانيين ضد احتلال بلدهم، وتواجد قوات عسكرية أجنبية تدنس أراضيه .

ومن المسلّم به أن وقوف العشائر الكردية والتركمانية والقبائل العربية المقيمين فى إيران يرجع أساسًا إلى تكوينهم الاجتماعى . وحتى ذلك الحين كان أفرادهم تحت هيمنة سلطتين : سلطة الشاه القاجارى ، وهو رأس الدولة الذى طاعته واجبة على كافة الإيرانيين على اختلاف قومياتهم ودياناتهم ومذاهبهم، وسلطة خان العشيرة أو شيخ القبيلة الواجب الطاعة والمسموع الكلمة . وكان أكثر قادتهم ورؤسائهم يميلون إلى حفظ تسلطهم على أفراد العشائر أو القبائل التى تخضع لهم .

أما أسلوب تعاملهم تجاه جيوش الدول المتصارعة فى إيران فكان يتسم بالنفع العائد عليهم .

تجدد القتال وتفوق الأتراك :

اقترح الجنرال باراتوف قائد الجيش الروسى فى إيران والذى قاد العمليات العسكرية فى غرب إيران والعراق على قائد القوات البريطانية أن تتم عمليات حربية مشتركة للقضاء على القوات التركية الأساسية .كما أخبر رئيس أركان حرب الجيش الروسى الجنرال ويليامز Williams الممثل العسكرى البريطانى قبوله إنجاز عمليات مشتركة للروس والبريطانيين لمواجهة وضع إيران والتأثير الألمانى فى المنطقة الاسيوية . وأكد الجنرال ويليامز على التنسيق بين القوات الروسية والبريطانية، وأن تكون ذا طابع هجومى ؛ وهذا يستلزم اشتراك قوات كافية . وعلى الفور رتّب قائد القوات الروسية حملة مشتركة من الروس والبريطانيين للعمل فى جبهة الأهواز – شوشتر على أن تمتد حتى كرمان . ثم تشكلت قوات مكثفة لشن حملة هجومية على بغداد مكوّنة من جيشين ؛ أحدهما روسى والآخر بريطانى . وذكر الجنرال كورسون أنه كان يرى إلتقاء البريطانيين والروس فى العراق . وهذا جائز فى الخطط العسكرية البريطانية المستقبلية، ولم يرغبوا فى ردّ الجيش الروسى .

وكان فقدان التناسق فى العمليات الحربية للقوات البريطانية والروسية ناشئ عن الأطماع البريطانية واختلاف السياسات وتياراتها فى كلتى القيادتين الروسية والبريطانية ؛ فأثر بطريقة مخالفة على مجريات العمليات الحربية فى الميدانين الإيرانى والعراقى (العثمانى) . وكان من نتائج ذلك وقوع قوات الجنرال تاونشند فى أسر الأتراك، وأثر ذلك على القوات الروسية وأدّى إلى نتائج سيئة . وبعد هزيمة قوات تاونشند تمكن الأتراك الذين كانت لديهم قوات عسكرية مدرّبة من تطهير الجبهة العراقية من القوات الروسية والبريطانية، وأصبح لديهم حرية الحركة والمبادأة .

وجمع الأتراك قوات عديدة بلغت إثنى عشر ألف جندى مشاة وأربعة عشر ألف فارس وألفى جندى مرتزق من الأكراد والإيرانيين وأربعة وخمسين مدفعا لمنازلة القوات الروسية التى واصلت انسحابها حتى خانقين . وكانت القوات التركية ضعف عدد القوات الروسية فى الجبهة الإيرانية العراقية (١) . أما الجيش الروسى بقيادة الجنرال باراتوف فكان يتألّف من أربعة آلاف جندى مشاة من حملة البنادق وستة آلاف فارس من حملة السيوف وإثنى عشر مدفعا (٢) .

وكان على قوات الجنرال باراتوف مواجهة الأتراك فى منطقة حدودية بطول ألف كيلومتر تقريبا ؛ فوجد نفسه عاجزًا عن القيام بأى عمل عسكرى بعد قطع الاتصال بالقيادة المركزية الروسية وقطع طرق الإمداد والتموين . فطلب المساعدة من القائد البريطانى، لكن الأخير أعرض عن القيام بأى مساعدة لزميله الروسى وهو فى محنته . ولعل البريطانيين آنئذ كانوا مشغولين فى بحث أسباب هزيمة العراق وما لحق بقواتهم ؛ فأُجْبِر الجنرال باراتوف على الإنسحاب من الجبهة العراقية، واتجه شرقا بعد الحرب الخاسرة التى خاضها، فوصل كرمانشاه فى يونيو ١٩١٦م، ومنها انسحب بمن معه من جنود متهالكة إلى همدان فى أغسطس من نفس العام (٣) .

وكانت القيادة الروسية تعلم بالوضع المتدهور والخطير فى إيران، وتأمل الاحتفاظ بمكان لنشر دعاياتها . أما من الناحية العسكرية فإن الروس لم يستطيعوا فى تلك الفترة نقل قوات إضافية يعتمد عليها فى إيران، حيث كانت تدور فى الأراضى التركية معارك حربية شرسة، شملت اشتراك أغلب القوات

1) Sykes, P; A History of Persia, Vol.II, OP. Cit, P. 451.

(٢) كورسون الحرب العالمية فى جبهة القوقاز، مرجع سابق، ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣) ميرشنيكوف ؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٦٩ .

الروسية مع الجيش التركي . ومن ناحية أخرى كان الجيش الروسى الاحتياطى أثناء فترة الحرب يتمركز فى جبهة القوقاز .

وفى سنة ١٩١٦م أحرز الجيش الروسى انتصارات كبيرة فى الجبهة التركية ؛ حيث استولت القوات الروسية فى بداية العام على طرابيزون وقلعة أرضروم . وفي صيف عام ١٩١٦م أرسلت القيادة التركية الجيش الثاني لشن هجوم مضاد على القوات الروسية واسترداد طرابيزون وقلعة أرضروم، وأيضًا المشاركة فى المعركة الدائرة فى نواحى أوجنوت وأرزنجان . وكان الجيش الثانى التركي يتكون من عشر فرق، انتقلت فوراً من الدردنيل إلى شرق الأناضول . أما الجيشان التركيان اللذان كانا يعملان فى جبهة القوقاز فقد تحمّلا خسائر جسيمة بعد الهجوم المضاد الروسى . وأخيراً أُجْبِر الأتراك على الإنسحاب، واستولى الروس على أذربيجان وعلى مساحة ٢٥٠ كيلومتر مربع داخل الأراضى التركية . [١]

وعلى هذا النحو، وصلت جبهة القوقاز فى أواخر عام ١٩١٦م قرابة ألفين وخمسمائة كيلومتر . أما الأتراك فإنهم نجحوا فى الاستيلاء على منطقة همدان بعد انتقال الجيش السادس التركى من بغداد إلى غرب إيران، الذى تمكن من صد الجيش الثانى القوقازى وهزيمة لواء " وان - أذربيجان " وإجباره على الانسحاب من راوند، ونجح أيضًا فى معارك فرعية، تلك التى تمت على الحدود الإيرانية التركية .

وفى أوائل عام ١٩١٧م لم تتم أية عمليات حربية جديرة بالذكر بسبب شدة البرودة نتيجة هطول الثلوج بغزارة، وتعرضت المنطقة لعواصف ثلجية فاجأت القوات التركية والروسية على السواء، وأحدثت تلفيات كثيرة وفناء ومرض الاف المقاتلين .

---

(١) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٧٠ .

وكانت خطة العمليات العسكرية الروسية لصيف عام ١٩١٧م التى عرضها أركان حرب الجيش الروسى تشمل شن حملة هجومية على العراق بموافقة الجيش البريطانى . أما القوات البريطانية فإنها شرعت فى شهر ديسمبر ١٩١٦م فى الهجوم على العراق، وتمكنت فى فبراير ١٩١٧م من هزيمة الجيش السادس التركى واستولت على بغداد ودخلتها فى ١١ مارس ١٩١٧م . وفى أواخر شهر مارس أيضًا استولت قوات مقدمة الجيش البريطانى على " بعقوبه " Bakuba ، واشتبكت مع الجيش التركى فى معركة شرسة فى جبل حمرين .

أما الروس، فإن قواتهم بقيادة الجنرال باراتوف Baratov استولت على همدان، وفى ١٠ مارس سيطرت تمامًا على كرمانشاه وضواحيها، وذلك بعد أن أتم واجبه القتالى، وهو إنهاء العمليات الحربية فى المناطق الجبلية التى استغرقت شهرين . كما تمكنت وحدات من الفرسان الروس فى ٢٢ مارس ١٩١٧م، من تدمير المقاومة التركية المنتشرة وحداتها فى المنطقة، وتتبع فلولهم حتى خانقين على الحدود الإيرانية العراقية . واجتهد الروس فى قطع الطريق على إنسحاب القوات التركية عند "قِفْرى" Kifri . كما أرسلت القيادة العسكرية الروسية كتيبة قوزاق إلى المنطقة تمكنت من الاتصال بالقوات البريطانية والتقيا فى ناحية " قِزل رباط " . (١)

وكانت محصّلة العمليات العسكرية التى تمت فى ربيع عام ١٩١٧م، أن اتصلت القوات الروسية - الجناح الأيسر لجبهة القوقاز بالقوات البريطانية العاملة فى ميدان العراق، وتعاونت وحدات منها مع القيادة البريطانية، وأجبرت الجيش السادس التركى الذى كان يضغط على القوات البريطانية والهندية بقيادة الجنرال س. مود Mode على الإنسحاب، وأيضًا فرار جماعات تركية من الأراضى

(١) كورسون : الحرب العالمية الأولى فى جبهة القوقاز، مرجع سابق ، ص ٧٨ - ٨١ .

الإيرانية أمام قوات الجنرال باراتوف عندما وجدت أن الموقف العسكرى قد أصبح صعبًا مما أجبرها على الفرار.

ولم يتمكن الأتراك فى تلك الفترة الحرجة التى منوا فيها بهزائم عديدة من تجميع فلولهم والقيام بهجوم مضاد وتصحيح أوضاعهم، واكتفوا بتشكيل دفاع قوى عن شمال العراق لتأمين وصول المؤن والعتاد الحربى لكافة القوات التركية فى الأناضول، وانشغلوا بذلك تمامًا ؛ بينما كانت وحدات الجيش السادس التركى فى الجبهة الإيرانية مهددة من القوات الروسية .

وبعد استيلاء القوات البريطانية على بغداد فى ربيع ١٩١٧م، أكملت مسيرتها وزحفت شمالاً، بينما دخلت قوات روسية العراق . وبعد معارك واشتباكات محدودة تمكن البريطانيون والروس من القضاء تمامًا على خطر التدخل لكل من تركيا وألمانيا فى إيران . وقد أدّى انتصار قوات دولتى الوفاق بريطانيا وروسيا فى الحرب ضد تركيا فى جبهات القتال فى العراق وإيران والقوقاز فى بداية ١٩١٧م إلى إنهاء نفوذ ألمانيا وتركيا على العشائر والقبائل الإيرانية، باستثناء موقع تركى ظهر من جديد فى آذربيجان الإيرانية فى صيف عام ١٩١٨م .

- **قيام الثورة فى روسيا والإطاحة بالحكومة القيصرية :**

وشهد عام ١٩١٧م حدثا كبيراً غيَّر مجرى الحرب فى إيران : ففى شهر مايو ١٩١٧ م قامت ثورة فى روسيا، وتمكن الثوار البرجوازيون الروس من الإطاحة بالحكومة القيصرية فى روسيا ، وعزلوا القيصر وقضوا على الملكية، وانتهى حكم آل رومانوف الذى بدأ فى سنة ١٦١٣م ، وتجمدت جبهة القتال الروسية فى أوربا والشرق بعض الوقت؛ لكن الثورة أوهنت عزائم الجنود حتى أن كرينسكى Kerensky الراديكالى نفسه الذى كان مواليا للوفاق، قال : " إن

روسيا قد تمزقت ولن تقوى على البقاء فى الميدان بعد نهاية هـذا العـام (١٩١٧). بل لقد جاءت النهاية أسبق من أوانها ؛ فقد خارت قوى الجيش وأصبح بلا قائد، وهُـزِم فى أوربا فى شـهر أغسطس ١٩١٧م ، وانحل بسرعة بعد ذلك " . وعـزل البلاشفة كرينسكى فى أكتوبر من نفس العام وعقدوا صلحًا قبل انتهاء السنة .[١] واستمرت المناطق الشمالية والوسطى الإيرانية عرضة لعمليات عسكرية متبادلة بين القوات الروسية والتركية، ولم تتوقف هذه العمليات إلاّ بعد هزيمة الجيش التركى فى العراق عام ١٩١٧م . وبعد وقوع الثورة البلشفية فى روسيا فى أكتوبر ١٩١٧م كـان لخبـرها فى إيران دويًا كبيـرًا، وابتـهج الإيرانيـون وتصـوروا أن الكابوس الروسى سينزاح من على صدورهم، حيث أن الكثير من أفراد الشعب الإيرانى كان يأمل أن تقوم الثورة البلشفية بتغييرات أساسية فى سياسة الروس الخارجية، خاصة إيران .

أما بريطانيا فإنها طمعت بعد تقويض روسيـا القيـصرية وتلاشى أطماعها الاستعمارية فى عام ١٩١٧م، أن تحل محل روسيا فى شمال إيران أولاً، ثم تجعل المنطقة الشمالية من إيران نقطة انطلاق لها نحو مناطق القوقاز وماوراء بحر قزوين، بل وحتى آسيا الوسطى، وهى جميعها مناطق مغرية من وجهة النظر الاقتصادية والاستراتيجية وعندما لم تتحقق أحلام الأوساط الحاكمة فى لندن ركزوا على تحويل إيران إلى سدٍّ منيع أمام " الخطر البلشفى " الجديد فى ظل نظام ملكى قاجارى كان أعجـز من أن يأخـذ تلك المهمـة علـى عاتقه كما يجب .[٢]

---

(١) جرانت، أ.ج.و رتمبرلى، هارولد : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠) الجزء الثانى، ترجمة محمد على أبو درة ولويس اسكندر، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٢٤١ .

(٢) كمال مظهر أحمد، دكتور: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ١١٢ .

وفي تلك الفترة أرسل القائم بأعمال السفارة الروسية فى طهران برقية سرية تتعلق بالأوضاع السياسية فى إيران، ذكر فيها : " إن جموعًا غفيرة من أفراد الشعب الإيرانى يعلّق آمالاً عريضة بشأن استدعاء وزارة الخارجية الروسية لاسحق خان السفير الإيرانى فى بطرسبرج عن إمكانية تقديم إيران طلب بإخلائها من الجيوش الروسية، وإرسال وفد إيرانى إلى بطرسبرج للبحث في استقرار الأوضاع مع الحكومة الجديدة " .(١)

وعلى أثر ذلك، بدأ الصراع فى طهران حول تشكيل المجلس النيابى بسبب انتشار القوات العسكرية الروسية والبريطانية فى إيران، وطالبوا بإقالة وزارة وثوق الدولة ذات الميول البريطانية . وكان رئيس الوزراء الإيرانى يحارب الوطنيين والديمقراطيين الإيرانيين الذين وقفوا ضد الروس والبريطانيين وأكرههم على الإنزواء وأسكتهم عن التحدث فى السياسة؛ ففروا بعيدًا عن العاصمة طهران، ثم عادوا مرة أخرى وجمعوا فلولهم حول أطراف المدينة للتباحث فى شأن توحيد صفوفهم وتنسيق أعمالهم .

وفي شهر مارس ١٩١٧م شكّل جماعة من السياسيين منظمة ثورية عرفت باسم " لجنة العقاب " . وكان على رأس القائمة فى هذه اللجنة " أبو الفتوح زاده " الضابط السابق في لواء القوزاق الإيرانى، وأحد المشتركين فى الثورة الدستورية . هذا وأقدمت " لجنة العقاب " على اغتيال السياسيين الإيرانيين الذين يتعاملون مع الدولتين الاستعماريتين : بريطانيا وروسيا، وأيضًا الإقطاعيين والشخصيات التى تتعامل مع أعوان الاستعمار .(٢)

---

1) Secret telegram No. 186, dated March 14, 1917 .

نقلا عن كتاب " إيران فى الحرب العالمية الأولى " ، لميرشنيكوف، مرجع سابق، ص ٨٢ .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٨١ .

وانتهت الحرب العالمية الأولى فى إيران بعد الهجوم الناجح للجيش الروسى فى صيف عام ١٩١٧م، على كافة الجيوب التركية فى آذربيجـان التى انتقـلت إلى شمالى العراق . ومع ذلك استمر الاحتلال العسكرى الروسى لإيران . وكانت الجيوش الروسيـة القيصـرية والبريطانيـة قـد قدمتا إيـران فى بداية الحرب عام ١٩١٤م، ولعلهما كانا يهدفان إلى البقاء فيها وعدم تركها .

وفى شـهر أبريل ١٩١٧م شـرعت بريطانيـا فى الهـجوم على العـراق، وأنهت عملياتها بالاستيلاء على كركوك . ولكن وزير الحربية البريطانـية أصـدر أمـراً فى ١٨ مـايو بشن حملة هجومـية. لكنها تأخرت حتى الخريف من نفس العام . وورد فى الأمر العسكرى الصـادر للجنـرال مارشـال قائـد القوات البريطانية فى الشرق أن يتعاون مع الجنرال دنستروبل وتزويده بوسائل المواصلات اللازمة . وبعـد وصـول هذا الأمـر العـسكرى اضطر البـريطانيون إلى إخـلاء كـركـوك تحت ضغط هجوم تركى مضاد، وتمكنوا من استعادة المدينة مرة أخرى، وتتبعوا القوات البريطانية المنسحبة إلى " طوزخور-مـاتلى " Tuz Khur - Matli وقفرى . وفى الوقت الذى كـانت فيه القوات البريطانيـة تنسـحب إلى جنوب العـراق حـدث تصدّع فـى دفاعات الأتـراك فى آذربيجـان الإيرانية، لكن البريطانيين لم يكونوا يخشون من هجوم تركى فى هذه المنطقة .

وعمل الأتراك بذكاء فى العراق، حيث أشعلوا نيران حرب شعبية كان أفرادها من الأتراك والأكراد والعرب، أطلق عليها " حرب المقاومة فى العراق " ، كان هدفها زعزعة استقرار البريطانيين فى العـراق . وفى شهر مايو ١٩١٧م ظهرت نتائج هذه المقـاومة الشـعبية فى أوضـاع العراق العـسكرية ؛ حيث هاجمت قوات المقـاومة الوحدات البريطانية عن طريق إيران، الذى يمتد مسافة مائة وخمسين ميلاً، ويبعد كثيراً عن مقر القيـادة البريطانية فى جنوب العراق مما سبب صعـوبات جـمة

ومتاعب شديدة للقوات البريطانية وأقلق راحتها وجعلها فى حالة تأهب كامل ليلاً ونهاراً .

احتلال الأتراك تبريز :

وفى صيف عام ١٩١٧م، أرسلت القيادة التركية قوة عسكرية قوامها ألفى جندى إلى آذربيجان الإيرانية لحفظ جناح قواتها فى ما وراء القوقاز، واحتلوا تبريز فى شهر يونيو، ثم تابعوا تقدمهم وسيطروا على أورمية وعلى نواحى ساوجبلاغ وسقز وصاين قلعة .[١] وأسرعت القيادة البريطانية بعد إحتلال الأتراك تبريز وسيطرتهم على جزء كبير من آذربيجان إلى إرسال سرية فرسان بقيادة الكابتن واجستاف Captain Wagstaf إلى زنجان للحصول على معلومات عن وضع القوات التركية، كذلك أرسلت القيادة البريطانية دوريات عسكرية صغيرة إلى سنندج لتتبع وتقصى تحركات الأتراك . وتقدمت سرية واجستاف على طول طريق تبريز الأوسط بينما انشغلت طلائعها فى الاشتباك مع الأتراك وقامت بمسح ثلاثين كيلومتراً من تبريز .

وفى بداية شهر سبتمبر ١٩١٧م، انشغلت القوات التركية بتطهير الجيوب البريطانية التى انتشرت فجأة فى طريق تبريز، بينما كانت الحرب دائرة فى باكو على أشدها . ونجح الأتراك بسهولة فى طرد قوة حراسة بريطانية من مكانها فى " تيكماده " Tikmadah، واستولوا دون قتال على بلدتى تركمانشاى وميانه . أما ميدان زنجان فقد توقف تقدم الأتراك عند جمال آباد بعد أن واجهوا مقاومة البريطانيين، وارتدوا إلى جبل قافلان، واتخذوا أماكن دفاعية[٢] .

1) Frye, R. N. ; Iran, London, 1954. P. 71 .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٩٤س .

الثورة البلشفية وأثرها على سير المعارك فى إيران:

ومع الإطاحة بالنظام القيصرى فى روسيا، وانتصار ثورة أكتوبر الإشتراكية، وتكوين دولة إشتراكية فى روسيا، حصل تغيير كبير فى ميزان القوى المتصارعة على الصعيد الدولى ذات آثار مستقبلية هامة . وكانت آثارها بالنسبة لإيران أعمق منها من معظم المناطق الأخرى فى المنطقة ؛ ففى العصر القاجارى تحولت إيران عمليا إلى دولة شبه مستعمرة تتقاسمها روسيا القيصرية وبريطانيا، حتى أن هاتين الدولتين قامتا بموجب إتفاقية ١٩٠٧م تقسيم إيران إلى منطقتى نفوذ تابعتين لهما. وكان الدبلوماسيون والخبراء الروس يصولون ويجولون فى إيران وكأنها ملك لهم، كما أن القوات الروسية كانت تحتل مناطق حساسة من البلاد الإيرانية، وتهدد بالزحف على العاصمـــة طهران بين الحين والآخر .

ولما كان الإيرانيون يأملون بعد نجاح الثورة البلشفية أن تصرف روسيا الثورة نظرها عن السياسة الاستعمارية القيصرية مما دفع العناصر الديمقراطية والثورية الإيرانية المطالبة وبجرأة الاستقلال الكامل، وتكتلوا حتى تمكنوا من إسقاط وزارة وثوق الدولة المنحازة للبريطانيين والتى كانت غير متجانسة، ثم إن الوزراء كانوا فى صراع دائم ما بين أتباع الروس وأتباع البريطانيين .

لكن الثورة الروسية بددت آمال الليبراليين الإيرانيين ؛ ذلك أن الحكومة الروسية البرجوازية المؤقتة نهجت نفس الأسلوب الذى كانت تنتهجه الحكومة الروسية القيصرية فى السياسة الخارجية . ويؤكد ذلك تلك البرقية السرية التى أرسلها ميليوكوف Milyukov وزير الخارجية الروسية، والتى تشمل تعليمات للقائم بأعمال المفوضية الروسية فى طهران، وهى : " يلزم علينا أن نطلع حكومة الشاه أن روسيا سوف لا تغيّر سياستها، وسوف تسير على النهج السابق . ومع ذلك يجب أن تتأكدوا أننا لا نستطيع أن نخالف بصراحة فى نظامنا الجديد الرغبات

ذات الصبغة الاستقلالية والحرية فى إيران، وأنه من الأفضل أن تتقدم بمثل هذه الموضوعات إلى الوزير المفوض البريطانى لمناقشتها ونحن سنؤيدكم سراً . (١)

وبعد شهرين أرسل " تريشنكو " Treshenko وزير الخارجية الروسية الجديد ، الذى خلف ميليوكوف برقية إلى المفوضية الروسية فى طهران، ذكر فيها : " إن الخطوط العريضة لسياستنا فى طهران، هى كما كانت فى عهد سلفى تماماً ولم يطرأ عليها أى تغيير وبنفس الخطة المرسومة، على أن تكون على أساس التعاون الكامل مع بريطانيا " . وقد تم بعد إقدام الحكومة المؤقتة فى روسيا استدعاء القوات الروسية من إيران لتحارب فى جبهات أخرى، خاصة الجبهة الداخلية التى تمزقت بسبب الثورة . ويذكر فاطمى فى كتابه " تاريخ الدبلوماسية فى فارس ١٩١٧ - ١٩٢٣ "ما يلى : " أمرت حكومة كرينسكى فى شهر يونيو ١٩١٧م أن تخلى القوات العسكرية الروسية إيران . وقد طلبت الحكومة المؤقتة، وهى وزارة ميليوكوف - ليڤوف أن تستمر الخطوط الأساسية للسياسة العامة للحكومة القيصرية باستثناء أعمالها الهجومية الشديدة . أما الحكومة الروسية المؤقتة فإنه سرعان ما حل محلها كرينسكى الاشتراكى، وكان أول اجراء اتخذه رفضه المشاريع الإمبريالية. خاصة تلك المتعلقة بإيران . وفى شهر يونيو ١٩١٧م أمرت حكومة كرينسكى الجنرال باراتوف قائد القوات الروسية فى الجبهة الإيرانية أن يوقف توغل جيوشه داخل الأراضى الإيرانية . وأعلن كرينسكى شخصيا عن خطة قريبة لخروج القوات العسكرية الروسية من الأراضى الإيرانية . (٢)

كذلك نجد مثل هذا التحليل التاريخى فى كتاب " تاريخ إيران الحديث "

---

1) Fatemi, N. S.; Diplomatic History of Persia, 1917 - 1923, N. Y, 1954, P. 131 .

2) Fatemi, N. S.; Diplomatic History of Persia, 1917 - 1923, N. Y, 1954, P. 132 .

لجون أبتون G.M. Upton الذى أورد ما يلى : " فى سنة ١٩١٧م أمر كرينسكى القوات العسكرية الروسية إخلاء الأراضى الإيرانيــة بسرعة " . (١)

أما الحقيقة والواقع يشيران إلى أن كرينسكي لم يصدر قط أمراً بإخلاء إيران من القــوات الروســيـة، بل على العكس دعم القــوات الروســيـة العـاملة فى إيران بقوات روسـية جديدة فى صيف عـام ١٩١٧م، ووصل عدد جنود القوات الروسية العاملة فى إيران بقيادة الجنرال باراتوف خمسة وسبعين ألفاً . وفى شـهر يونيو من نفس العـام (١٩١٧) هـاجـموا مـدن السليمـانيـة والموصل وكركوك فى مـحـاولة منهم للإسـتـيـلاء على تلك المدن العـراقـيـة، ولكن توقف هـذا الـهـجـوم بسـبب سـوء الأحوال الجوية وقلة المؤن . وفى خريف عام ١٩١٧م اقترح قائد الجيش البريطانى على زميله الجنرال باراتوف قائد الجيش الروسى القيام بحملة هجومية مشتركة، على أن تقوم بريطانيا بتأمين توصيل المؤن والعليقة لأربعة عشر ألف جندى مشاة وفـارس فى العـراق . وهو تعداد القوة المشتركة بينهـما . (٢) لكن بـاراتـوف طلب تأجيل الحملة الهجومية المشتركة إلى ربيع العام التـالى (١٩١٨) بسـبب المصـاعب الداخلية فى بلده روسـيـا . أمـا فى حـالة استعجـال بريطانيا الـهجوم فإنه لا مـانع لديه من إرسـال مسـاعدة عسكرية متكاملة لحليفه القـائــد البريطانــى، تنحصــر فى إرسـال كتيبة قوزاق روسية بقيادة الميجور بيشراكــوف Bicherakov ، الذى وصل إلى مندلى ووُضـع تحت تصــرف الجنرال مــارشـــال قــائد القــوات البـريطانيــة فى العـراق . وفى شـهـر ينـاير ١٩١٨م حـارب الجنود القـوزاق الروس بقيادة بيشراكوف جنبا إلى جنب مع الجنود البريطانيين فى منطقة جبل حمرين .

1) Upton. J. M.; The History of Modern Iran, An Interpretation, Cambridge, Mass, 1960, P. 39 .

(٢) ميرشنيكوف : إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٨٤ .

أما جبهة القتال الإيرانية فقد اتسعت تحت تأثير ثورة أكتوبر الإشتراكية . وقد أعطى المؤتمر الثانى السوفيتى لكافة روسيا وَعْداً بإيقاف الحرب التى تشنها القوات العسكرية الروسية فى إيران .

إعلان الحكومة السوفيتية إنهاء العمليات العسكرية فى إيران :

أصدرت الحكومة السوفيتية بيانًا فى الثالث من ديسمبر ١٩١٧م، موجّهًا إلى كافة المسلمين السوفييت والشرق أعلنت فيه رسميًا صرف النظر عن كافة ميراث روسيا القيصرية وسياستها الإمبريالية فى إيران . وأعلن البيان أيضًا أن قرار تقسيم إيران (اتفاقية ١٩٠٧م السرية بين روسيا القيصرية وبريطانيا) باطل، وستنتهى العمليات العسكرية فى إيران بمحض إرادتها وستخرج منها، وسوف تضمن حقوق الإيرانيين وتركهم لتحديد مستقبلهم بأنفسهم .[١]

ويعلق على ذلك المؤرخ الروسي الأصل الأمريكى الموطن جورج لنشوفسكى بالآتى : " وعلى هذا النحو ألغت حكومة الثورة فى موسكو من جانبها طواعية جميع الامتيازات والحقوق الخاصة التى كانت روسيا القيصرية قد حصلت عليها من إيران . والأكثر من ذلك تفاؤلاً أن الحكومة السوفييتية عدّت نفسها فى ندائها الموجه " إلى المسلمين الكادحين فى روسية والشرق " صديقة وفيّة وحليفة لشعوب آسيا المستقلة ". [٢]

وطبقا لاتفاقية الصلح التى عقدتها روسيا السوفيتية مع كل من ألمانيا وتركيا فى " برست – ليتوفسك " Brest - Litovisk تقرر إخلاء إيران من القوات الروسية والتركية . وفى ١٩ ديسمبر ١٩١٧م اقترحت مستشارية الشئون الخارجية الشعبية السوفييتية – التى حلت محل وزارة الخارجية الروسية –

---

(١) الوثائق السياسية الخارجية للاتحاد السوفييتى، ملف رقم ١، الوثيقة رقم ٤٨ .

(٢) جورج لنشوفسكى؛ الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ١، مرجع سابق، ص ٢٢٢ .

على أسد خان بهادر القائم بأعمال المفوضية الإيرانية في بطرسبـــرج أن يبـدأ في إجراء مباحثات لإخلاء إيران من القوات الروسيـة .[1] ووصلت موافقة الحكـومـة الإيرانيـــة فى أول يناير ١٩١٨م . وفى الخـامس من يناير نشـرت الصحف الإيرانية برنامج إخلاء إيـران من القوات الروسية . كما أعلنت الحكومة السوفييتية استعدادها لخروج وحداتـها العسكرية فوراً من الأراضى الإيرانية، وأشـارت أن هذا الانسحاب ليس له أهمية قـط من وجـهة النظر العسـكرية، واعتبرت تواجد الجيش الروسى وسيلة لاحتلال إيـران الذى يأبـاه الاتحاد السوفييتى .

وفى مذكرة صادرة من مستشاريـة الشئـون الخارجيـة السوفيتيـة طلبـت من الضباط المعلمـين الـروس العاملين فى لواء القوزاق الإيرانى إنهاء أعمالهم فى إيران والعودة فوراً إلى أرض الوطن، واعتبرت ذلك أمراً ضروريا . وأكدت المذكرة أنه يلزم إتمام هذا العمل فـوراً لرفع الظلم والقهـرالواقـع على الشعب الإيرانى من الدولتين : روسيا القيصرية والبرجوازية الروسية .[2]

وواجهت الحكومة السوفييتية مصاعب جمة عند تنفيذ برنامجها إخلاء إيران من القـوات الروسيـة ؛ ذلك أن قـائد القوات الروسـية فى إيران الجنرال باراتوف رفض تنفيذ أوامر الحكومة السوفييتية، وشاركه فى ذلك قـائـد القـوات الروسية فى جبهة القوقاز ومركزه تفليس، وتعاونا مع حكومة ما وراء القوقاز المناوئة للثورة، والتى لم تعترف بها الحكومة السوفييتية . ومن ناحية أخرى لم تعترف المفوضية الروسية فى طهران رسمياً بحكومة الثورة الروسية الجديدة .

---

(١) الوثائق السياسية الخارجية للاتحاد السوفييتى، ملف رقم ١، الوثيقة رقم ٥١ .

(٢) المرجع السابق، وثيقة رقم ٧٣ .

ورغم ذلك ظهر فى وسط وحدات الجيش الروسى فى الجبهة الإيرانية مؤيدون للحكومة السوفييتية . وفى أواخر سنة ١٩١٧م أحرز المناصرون لحكومة الثورة نفوذًا كبيرًا من خلال " لجان الجنود " التى تشكلت بعد قيام الثورة الإشتراكية، ووسعوا نشاطهم، وشكّلوا " لجان ثورة الجيش " حيث كانت الأوضاع مهيأة تمامًا لإبراز نشاطهم . وكان الجنود الروس قد أرهقوا نفسيًا من التغييرات السياسية التى حدثت فى بلدهم، حيث كانت تصلهم أخبار غير سارّة وسيئة عن الأوضاع الداخلية فى وطنهم فى كل يوم، بل وفى كل ساعة . ثم إنهم أُجهدوا من الحرب التى نظروا إليها نظرة عقلانية بأنه لا طائل من ورائها ؛ فطالبوا بالعودة إلى وطنهم فى أقرب وقت مسكن . ووصل إلى قيادة الجيش الروسى العامل فى إيران طلبات كثيرة من " لجنة الجند " لعودة الجيش إلى روسيا . وكان كل يوم يمر يزداد أفراد الجيش الروسى العامل فى إيران تصميمًا على العودة . ومع انتشار عدم الرضا السياسى بين الجنود الروس فى الجبهة الإيرانية فإن الجنرال باراتوف قائد القوات الروسية العاملة فى إيران أرسل برقية إلى تفليس مقر قيادة الجيش الروسى فى جبهة القوقاز والتى تتبعها قيادة الجيش الروسى فى إيران، ذكر فيها " أنه لو أصدر القائد العام أمرًا بالعودة فإننى لن أطيع الأوامر وسوف أتصرف من تلقاء نفسى " . وأخيرًا أصدرت قيادة جبهة القوقاز أمرًا بعودة القوات الروسية من إيران .(١)

وفعلاً تم عودة الجيش الروسى تحت إشراف لجنتين متناقضتين ؛ إحداهما " اللجنة الخاصة لقيادة الجيش " وهى التى لم تعترف رسميًا بالحكومة السوفييتية وعلى رأسها الجنرال باراتوف قائد القوات الروسية العاملة فى إيران، والأخرى " لجنة ثورة الجيش " التى تشكلت فى قزوين وأنزلى من البلاشفة والإشتراكيين

(١) ميرشنيكوف ؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ٦٩ .

الثوريين التابعين لحكومة موسكو السوفييتية وينفـذون أوامـرها . وقـد بـدى على الجنود الروس علامات البـهجة وهم يحملون رايات حمـراء يلّوحون بهـا عند تركـهم الأراضى الإيرانيـة . وقـد تنفس أهالى الولايات الشـمـاليـة الإيرانيـة الصـعـداء برحـيل الجـيش الروسى عن بلادهم الذى أذاقـهم صنوف العـذاب والبطش، وكانوا قد ناصبوهم العداء، ويقتلون كل من تمكنوا من قتله منهم ونهب أسلحتهم ؛ فإذا بهم بعد ذلك قد تغيّـر سلوكهـم وودّعوا الجـنـود الروس بكل ودّ وصداقة .

المرحلة الثالثة :

تمهيد :

تشمل هذه المرحلة سنة واحدة، هى سنة ١٩١٨م، وفيها انتهى النزاع بين روسيا والدولة العثمانية فى إيران، واستولت بريطانيا على إيران وبداية وضع جديد للقوى السياسية والعسكرية فى إيران .

موقف بريطانيا من تطوّر الأحداث فى إيران :

كانت سياسة بريطانيا إزاء إيران على النقيض من سياسة روسيا السوفييتية تمامًا. فقد انتهزت بريطانيا فرصة تخفيف روسيا من ضغطها التقليدى حينما كانت تترنح متمايلة من تأثير الثورة الحمراء والحرب الأهلية الناشبة فيها، وبدأت العمل بمفردها على السيطرة على إيران كلها . ووجدت الحكومة السوفييتية الجديدة نفسها تصارع التدخل الأجنبى من أجل البقاء على حياتها . ورأت بريطانيا أن منطقة شمال إيران وغربها ذات أهمية استراتيجية . كما رأت أنها قد أصبحت الدولة الأوروبية الوحيدة التى تتحكم فى المنطقة الممتدة من الحدود الصينية شرقا حتى العراق غربا، ورأت بريطانيا فى وجودها كدولة مسيطرة على العراق، وسيطرة الأسطول البريطانى على مياه الخليج الفارسى والمحيط الهندى، وتعاون الشيخ خزعل خان أمير عربستان معها تعاونًا كاملاً، ووجود بعض العشائر الإيرانية تميل إلى بريطانيا : كل هذا جعل بريطانيا تشعر بميل شديد إلى إكمال ترتيبات سلامة ممتلكاتها، وذلك بضم إيران إلى منطقة النفوذ البريطانى .

ثم إن بريطانيا وجدت فى منطقة شمال إيران وغربها أهمية استراتيجية هامة لأن الذى يستولى عليها يستطيع أن يسيطر على الطرف الشمالى والشمال

الشرقى مـــن العـــراق، وأيضًا يسيــطر على بترول باكو، علاوة علـى إمكانية الوصول إلى الهند، وهذا مما جعل البريطانيون يهتمون بإيران ويحاولون السيطرة عليها. [١] وهذا ما حدث فعلاً عند تهديد ألمانيا الامبراطورية البريطانية ومحاولتها اختراق الدفاعات للوصول إلى ممتلكات بريطانيا الآسيوية، وأيضًا الحصول علـى بترول باكو . وقد أشار إلى ذلك الجنرال مارشال القائد العام للجيش البريطانى فى العراق، الذى كان يعرف الوضع العسكرى لهذه المنطقة جيداً فى مذكراته، بأنه اطّلع على أخبار البعثة العسكرية البريطانية المتجهة إلى ما وراء القوقاز والموفدة عن طريق إيران. وأنه قد أصابته الدهشة من هذا الإجراء العسكرى، وكان يفضّل تسديد ضربة إلى الجيش التركى فى العراق من وجهة النظر العسكرية، واعتبرها أكثر فعالية من اشتباك القـوات البريطانيـة المسلحـة فى القوقاز والتركستان والتمركز هناك . ورغم ذلك وجد الجنرال مارشال نفسه ينفذ خطـة " شارلزمارلينج ودنسترويل " ويصدر أوامره المباشرة لتنفيذ هذه الخطـة التى كانت فـى رأيه إقدامًا جنونيا [٢]

وبينما كانت الأمور تسير فى إيران لصالح بريطانيا وحدها، وبعد أن توّجت انتصاراتها بالانتقام لهزيمة الجيش البريطانى الذى استسلم فى العراق وساقه الأتراك أمامهم وأدخلوه بغداد باستيلائهـم على الجزء الأكبر من العراق . وفى فلسطين تفـوّق الجنرال " ألنبى" Allenby على الجنرال الألمانى فولكنهاين الذى كان يتولى قيادة الجيوش التركية واستولى على يافا، وقدّم بيت المقدس هدية مسيحية إلى الشعب البريطانى الذى عمّه الابتهاج . وكانت لهذه الانتصارات

1) Churchill, W.; The world Crisis. The Aftermarth, London, 1929, P. 166.

1) Marchal, W.; Memories of four fronts, London, 1934, PP. 286 -ط 287 .

أهميتها ومغزاها رغم ضآلتها وبُعْد ميادينها .[1]

بريطانيا تضم إيران إلى منطقة نفوذها:

وبينما كانت الحكومة السوفييتية الحديثة التكوين تترنح متمايلة من تأثير الثورة الحمراء والحرب الأهلية الناشبة فيها، ومحاربة التدخل الأجنبي من أجل استمرار حياة الدولة الاشتراكية الجديدة ؛ إذا بالبريطانيين ينتهزون الفرصة ويرسلون حملات عسكرية إلى القوقاز ومنطقة بحر قزوين، بعد احتلال الجيوش البريطانية معظم بلاد الشرق الأوسط، وتواجد قسم كبير من هذه القوات فى طول البلاد الإيرانية وعرضها، واستخدامها إيران لصالحها وبحرية مطلقة : فقررت بريطانيا ضم إيران إلى منطقة النفوذ البريطاني، خاصة بعد أن جاورت إيران كلاً من الهند والعراق والخليج الفارسى، وهى مناطق نفوذ بريطانية .[2]

وخططت بريطانيا على أن تقوم قوات عسكرية بقيادة الجنرال دنسترويل بالتقدم صوب شمال إيران وماوراء النهر فى شهر فبراير ١٩١٨م . وقامت مقدمة القوة البريطانية بفتح ثغرة فى الحدود الإيرانية، لكن الروس وقفوا فى وجههم ومنعوهم من التقدم، كما أجرت اللجنة الثورية للجيش السوفييتى تحقيقًا مع قائد المقدمة البريطانية، ووافق بعدها القائد البريطانى على التوقف والعودة إلى همدان، وأمضى فيها بقية شتاء عام ١٩١٨م . كذلك انتقلت وحدات عسكرية بريطانية وهندية من قوة العراق إلى شمال غرب إيران . وفى أوائل يناير ١٩١٨م تحركت كتيبة مشاة بريطانية بقيادة اللفتنانت كولونيل ماتيوس Matheus إلى نفس المنطقة . وتحركت سرية مشاة بريطانية من العراق شرقًا ودخلت منطقة

---

(١) جرانت، أ.ج.و وتمبرلى، هارولد : أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠م)، الجزء الثانى، مرجع سابق، ص ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١، مرجع سابق، ص ٢١٩ .

قصر شيرين على الحدود العراقية الإيرانية . واجتهد البريطانيون قدر الإمكان تجنب الاحتكاك بوحدات الجيش الروسى ، ثم تبعتها وحدات بريطانية أخرى عديدة واشتركت كتيبة فرسان القوزاق الروسية بقيادة بيشراكوف، التى كانت تعمل مع البريطانيين تحت قيادة الجنرال دنسترويل لتساهم فى العمليات الحربية المستقبلية فى إيران وما وراء النهر .

وفى شهر مارس ١٩١٨ م سيطرت قوات بريطانية تمامًا بأمر" روبرتسون " Robertson رئيس أركان حرب الجيش البريطانى على طريق قصر شيرين – كرمانشاه . كذلك استقرت فى كرمنشاه وحدات اللواء ٦٣ مشاة بقيادة الجنرال طومسون، وأيضًا تبدلت همدان بمضى الوقت إلى مركز تجمع لقوات وحدات الجنرال دنسترويل، وباصطلاح آخر " قوات دنستر " .

وفى الفترة ذاتها احتلت القوات البريطانية شمال شرق إيران، ففى شهر فبراير ١٩١٨م أخلت قوات القوزاق الروسية إقليم خراسان ؛ فانتهزت القيادة البريطانية الفرصة وشرعت فى تقدم قواتها نحو الشمال . وفى الثالث من مارس ١٩١٨م، احتلت القوات البريطانية مدينة مشهد . هذا وقد تم احتلال خراسان ليس للسيطرة على هذا الإقليم الإيرانى والوقوف فى وجه خطر تعدّى تركيا وألمانيا على الهند الخيالى فحسب، بل من منظور تدخل مسلح ضد روسية السوفييتية فى ما وراء القوقاز. [1] وكان على رأس القوة البريطانية المتواجدة فى شمال شرق إيران الجنرال مالسون Malleson ، وكان پرسى سايكس يرى أن هدف قوات الجنرال مالسون العسكرية تعطيل السوفييت عن السيطرة على القسم الغربى لطريق آسيا الوسطى وميناء كراسنوفدسك Krasnovdsk

(١) ميرشنيكوف . إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

والتصدى لقوات بلشفية متمركـزة فى المنطقـة . وفى ربيع ١٩١٨م سيطرت القوات البريطانية تمامًا على منطقة كبيرة تبدأ من النواحي الشرقيـة الإيرانية من بحر عمان حتى حدود إيران وروسيا . وبعد احتلال بريطانيا لإيران، أرسلت الحكومة البريطانية فى مارس ١٩١٨م مذكرة إلى الحكومة الإيرانيـة ورد فيهـا : " أن القوات البريطانية سوف تدافـع عن أراضى آذربيجان حتى نهاية الحرب ".

وطبقًا لمضمون هذه الوثيقة البريطانية، نجد أنها تتضمن وعودًا بخصوص رعاية حق الحكم للإيرانيين واستقلال إيران . وفى مقابل وعد بريطانيا رعاية استقلال إيران وتقديم مساعدة مالية وإلغاء اتفاقية ١٩٠٧م السرية المبرمة بين روسيا القيصرية وبريطانيا التى كانت قد انتهت فعلاً بزوال دولة روسيا القيصرية ؛ فقـد طلبت الحكومـة البريطانيـة فى مذكرتها أن تنتهج الحكومة الإيرانية معها سياسة ودّية مميزة بأن تعترف إيران رسميًا بقوة بنادق جنوب فارس South Persia Rifles . [(١)]

---

(١) حلاج، م : تاريخ نهضت إيران (تاريخ النهضة الإيرانية) طهران، ١٩٣٢م/ ١٣١٢ هـ . ش، ص ١٠٢ .

ردّ الفعل الإيرانى إزاء المذكرة البريطانية :

أثارت المذكرة البريطانية المقدمة إلى الحكومة الإيرانية فى ١٢ مارس ١٩١٨م ، غضب ونفور كافة العناصر المثقفة للشعب الإيرانى، وطلبت هيئة " اتحاد اسلام " (الاتحاد الاسلامى) من الحكومة فى برقية لها إنهاء احتلال بريطانيا للأراضى الإيرانية، ذكرت فيها : " يجب أن يتخذ مجلس الوزراء إجراءات حاسمة، ويبدأ فوراً العمل ضد احتلال بريطانيا لإيران " . وأشارت هيئة الاتحاد الإسلامى إلى أنها سوف تتدخل وتقوم بالعمل اللازم إذا لم تبادر الحكومة الإيرانية باتخاذ ما تراه مناسباً (١) .

وإزاء الثورة العارمة التى أشعلتها جماهير الشعب الإيرانى ووقوفهم ضد بريطانيا امتنعت وزارة مستوفى الممالك فى النهاية عن الاستجابة لطلب بريطانيا. وأعلنت فى مذكرة رداً على المذكرة البريطانية سالفة الذكر أن قوة بنادق جنوب فارس هى قوة أجنبية تهدد استقلال إيران وسيادة الدولة، وتأمل الحكومة الإيرانية ألاّتمانع بريطانيا من تحقيق إصلاحات للنهوض بإيران . (٢)

ولم تستمر وزارة مستوفى الممالك كثيرا بعد ذلك، وأُجْبِرت على تقديم استقالتها فى ٢٠ مارس ١٩١٨م تحت ضغط الدبلوماسية البريطانية . أما الوزارة الجديدة التى تشكلت بعدها برئاسة صمصام الدولة (الحاج نجف قلى خان صمصام الدولة بختيارى)؛ وكان جميع أعضائها من القوميين والشخصيات الإيرانية الوطنية، فإنها امتنعت إعطاء بريطانيا أية امتيازات . وأقدمت الوزارة الجديدة على بعض الإجراءات التى اعتبرتها بريطانيا موجهة ضدها : منها إلغاء

---

(١) مجلة " خزر "، باكو ، ١٤ مارس ١٩١٨ م .

(٢) حلاج، م: تاريخ النهضة الإيرانية، مرجع سابق، ص ١٠٢ .

نظام الإمتيازات الأجنبية والإفراج عن " هيئة مجازات " (هيئة العقاب) التي اعتقل أفرادها في عهد وزارة وثوق الدولة، وقرارات أخرى وطنية ؛ فأحجمت بريطانيا عن التعامل مع هذه الوزارة . وأقدمت الحكومة البريطانية على عمل بعض التصرفات الاستفزازية ؛ منها طلب مارلينج الوزير المفوض البريطاني في طهران إرسال قوات بريطانية إضافية " حتى تكون الحكومة الإيرانية تحت السيطرة الكاملة للنفوذ البريطاني " . وحرّضت بريطانيا أتباعها والموالين لها من السياسين الإيرانيين لبث الدسائس ونشر الشائعات لإحداث بلبلة بين صفوف الشعب الإيراني . فوجد صمصام الدولة بختياري رئيس الوزراء الإيراني أنه لا يستطيع مقاومة التيار بمفرده فاستقال من منصبه .

وفي السابع من أغسطس ١٩١٨م ، اعتلى الوزراة مرة أخرى وثوق الدولة (ميرزا حسن خان وثوق)، وأسهمت بريطانيا في تعيينه وساعدته على حل بعض المشاكل الداخلية الإيرانية . ولم تكن عمر وزارة وثوق الدولة هذه طويلة بالنسبة لأعمار الوزارت الإيرانية فترة الحرب بسبب نفوذ بريطانيا واحتلالها إيران .

وفي شهر يونيو ١٩١٨م هزمت قوات دنسترويل بمساعدة كتيبة القوزاق الروسية بقيادة بيشراكوف، التي كانت تعمل مع البريطانيين، قوات ميرزا كوچك خان جنگلي قرب " منجيل "، وأحكمت سيطرتها على رشت عاصمة إقليم جيلان . وفي نفس الفترة كانت بريطانيا قد أتمت إحتلال شمال إيران ماعدا إقليم آذربيجان . وبدأت من شمال إيران في التدخل المسلح في منطقة بحر قزوين وما وراء النهر والتركستان . كما قبضت القوات البريطانية بعد سقوط الحكومة السوفييتية في باكو على كافة أعضاء " لجنة ثورة الجيش " في أنزلي . وبذلك أصبحت كلمة البريطانيين نافذة دون منازع في هذا الميناء الإيراني المطل

على بحر قزوين . وقد تم ذلك بعد أن شكّلت ثلاث شعوب قوقازية هى : الأرمن والكرج والآذربيجانيين برلمانًا قوقازيـًا عرف باسم " سيما "، أعلن استقلال المنطقة كلها . وقد تم ذلك فترة انحلال الحكم الروسى فى القوقاز، وتفرّقت الجيوش القوقازية التى كانت ترابط على الحدود التركية . على أن القوات الروسية لم تغادر مواقعها؛ فقد بقيت الوحدات الأرمينية والكرجية على ولائها للجيش القيصرى السابق . وحينما أعلن " السيما" القوقازى استقلال المنطقة اضطلع بالمسئولية وقيادة هذه الوحدات، ثم انضمت إليها وحدات وطنية حديثة من الأرمن والكرج .(١)

وفى بداية شهر أغسطس نزل جنود " قوات دنستر" فى باكو ؛ لكنها اضطرت إلى الانسحاب بسرعة إلى ميناء أنزلى بعد إقامة إستمرت شهرًا ونصف، أى حتى منتصف شهر سبتمبر بسبب وقوع خطر على المدينة، أتبعه إستيلاء الأتراك عليها.

إشتباك "قوة شمال إيران" البريطانية مع السوفييت :

استبدلت قوات الجنرال دنسترويل بقوات بريطانية جديدة قدمت إلى إيران، عرفت بإسم " قوة شمال إيران " Norperforce ، وكانت تحت قيادة الجنرال طومسون وكانت قوة ضاربة قوية ذات استعداد قتالى جيد ؛ تشكلت من وحدات مختارة من البريطانيين والهنود، وكانت مهمتها القتالية الاشتباك فى حرب خاطفة مع قوات روسيا السوفييتية التى بدأت تتشكل بعد استتباب الأمـن فى الدولة السوفييتية الحديثة التكوين .أما القوات العاملة فى إيران فكانت تتكون من اللواء ٣٦ مشاة، ويتشكل من عناصر بريطانية وهندية، وكتيبة كرافورد المدرعة، والكتيبة ١٣ مدفعية صحراوية ووحدات مدفعية جبلية والكتيبة ١٤ هوسار Hossar

(١) جورج لنشوفسكي : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ ١، مرجع سابق، ص ٩٣- ٩٤.

مهندسين عسكريين، وخمسة عشر طائرة قتالية كانت قابعة فى شمال إيران وجاهزة لتلقى الأوامروالتدخل العسكرى فى مغارك ميادين قتال ما وراء القوقاز المرتقبة . وقد أنجزت هذه القوات مهامها فى إيران وسيطرت عليها تماماً. واستقرت وحدات " قوة شمال إيـران " (نوربرفورس) الأساسية فى أنزلى وقزوين، ومعها رئاسة أركان حرب قيادة وحدات الجنرال طومسون .

واستقرت القوة الدفاعية " لخط الاتصال "، والتى كان واجبها القتالى حماية المواصلات بين القيادتين البريطانيتين فى العراق وإيران، على طول طريق " قزوين - خانقين " . وكانت هذه القوة الدفاعية تتشكل من كتيبتين مشاة هنديتين : هما الكتيبة ٢٦ مشاة، والكتيبة الثانية البنجابية، ومعهما سرية فرسان هندية وبعض جماعات مهندسين عسكريين هنود أيضاً .

أما القوات البريطانية المتمركزة فى شمال شرق إيران (خراسان) فى تلك الفترة فكانت قليلة نسبيا . وفى شهر أغسطس ١٩١٨ م اشتبكت قوات مالسون والتى كان يُطلق عليها " ماليس " والمكونة من كتيبة مشاة هندية، ولواء فرسان بنجاب الحربى المكوّن من الكتيبتين ١٩ و ٢٨ فرسان فى القتال ضد القوات العسكرية التابعة لحكومة تركستان السوفييتية قرب مرو . وتبع ذلك انتقال رئاسة الأركان البريطانية ومعه مالسون نفسه من مشهد إلى مدينة عشق آباد التى اتخذها السوفييت مركزا ضد ثورة ماوراء القوقاز . وسيطرت القوات البريطانية على طريق سكة حديد ما وراء الخزر وميناء كراسنوفودسك . وأرسل الجنرال دنسترويل وحدة عسكرية بريطانية بقيادة اللفتنانت كولونيل " باتين " من أنزلى إلى كراسنوفودسك وتبدلت مدينة مشهد إلى قاعدة لقوات مالسون للتدخل العسكرى عند اللزوم . كما أنها كانت قاعدة لحماية ظهر جبهة الجيش فى الهند الغربية (كويته)، ومرتبطة بخط متصل تحت سيطرة ومراقبة وحدات من الجيش

الهندى والجنود المحليين . واستقرت وحدات أكثر فى تلك المنطقة من إيران للإستفادة منها فى شق الطرق [1] .

وطبقا للتصريحات الرسمية للمسئولين البريطانيين كان يتولى جنود بريطانيون وهنود فقط العمل بهدف ملأ الفراغ الناتج عن خروج القوات الروسية من إيران، ومنع تعدّى الألمان والأتراك الذين يتسللون إلى الهند عن طريق إيران وبلاد آسيا الوسطى الأخرى .

ولم تكن للأتراك فى واقع الأمر العجلة للاستفادة من هذه الفرصة، بل على العكس كان الأتراك منهمكين ولفترة طويلة سابقة فى تعديل أوضاعهم العسكرية فى الناحية الحدودية لما وراء القوقاز بعد أن شنّوا هجمات موفقة فى ما وراء القوقاز فى أعقاب انهيار الجيوش الروسية القيصرية سنة ١٩١٨ م، والتى عرفت باسم " الخطة التورانية الحربية " ، بينما كان اهتمامهم أقل بأذربيجان الإيرانية . وقد أجبرت حالة الطقس القاسية والصعبة العمليات الحربية فى الأراضى الجبلية فى فصل الشتاء إلى توقف العمليات التركية فى تلك المنطقة.

الأحداث العسكرية التى تمت عام ١٩١٨:

لم يستطع الأتراك تحقيق انتصارات عسكرية فى عام ١٩١٨م، إلاّ فى جبهة القوقاز لكنهم اضطروا إلى الإنسحاب من هناك فى شهر يوليو ١٩١٦م، أمام ضربات الروس المكثفة وصعوبة الطقس، ثم مالبثوا أن تقدموا عقب سقوط النظام القيصرى عبر أرضروم فى شهر مايو ١٩١٨م ليحتلوا باكو وباطوم، وهما النقطتان الرئيسيتان لصناعة البترول .[1]

---

(١) ميرشنيكوف: إيران فى الحرب العالمية الأولى ، مرجع سابق، ص ٩٢.

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير بعلبكى، الطبعة السابعة، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٧م ، ص ٦٥٥ .

وكانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت فى الغرب، بينما الأوضاع فى الشرق كانت لا تزال ساخنة، وأعتبرت العمليات العسكرية التى قامت بها القوات البريطانية فى إيران فى سنة ١٩١٨م عمليات عسكرية فرعية، ولم تكن لها أدنى أهمية وتأثير على الناحية العسكرية العامة .

وحتى يكتمل البريطانيون إحكام سيطرتهم على بقية بلدان الشرق العثمانى شرع البريطانيون فى شهر سبتمبر ١٩١٨م فى شن حملة عسكرية حاسمة على قطاع فلسطين وسورية . وكانت القوات التركية الأساسية فى تلك الفترة متمركزة فى هذين الإقليمين العثمانيين . ويذكر المؤرخ " كلامونت اسكرين" أن لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى علق على ذلك بأن تركيا (ويقصد بذلك الإمبراطورية العثمانية) قد وصلت حالة التقليم . (١)

وفى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨م خرجت الإمبراطورية العثمانية من الحرب إثر هدنة مودروس، ولم يكن فى ميسور طلعت وأنور اللذين عقدا هذه المعاهدة أن يقوما بمفاوضات الصلح . ونظراً لأنهما كانا فى أعين قادة دول الوفاق المسئولَيْن الرئيسيين عن دخول الدولة العثمانية الحرب، وأيضًا لم يكن عزت باشا وتوفيق باشا اللذين تقلّد أحدهما بعد الآخر رئاسة الوزارة موضع ثقة الحلفاء واطمئنانهم. (٢) وفى ٢ نوفمبر ١٩١٨م استقل أنور وطلعت وجمال والدكتور كاظم وغيرهم من قادة حزب الاتحاد والترقى وركبوا سفينة ألمانية أقلتهم إلى أوديسا؛ ومنها إلى برلين فوصلوها فى ديسمبر ١٩١٨م .(٣)

---

1) Skrine, C. ; World war in Iran, London, 1961, P. 56 .

(١) كارل بروكلمان ؛ تاريخ الشعوب الإسلامية، الترجمة العربية، مرجع سابق، ص ٦٨٧ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية – الترجمة العربية، مادة " أنور باشا " جـ ٥، ص ١٢٦ .

بريطانيا تنفرد بالسيطرة على إيران :

ونتيجة لإخلاء إيران من القوات الروسية فى سنة ١٩١٨م، أصبحت بريطانيا دون منافس فى إيران إلاّ تركيا العثمانية . أما روسيا فقد آل ما كان لها فى إيران ونفوذها إلى بريطانيا والقوات الروسية المناوئة للثورة البلشفية وإلى بعض اللاجئين السياسيين . ويذكر السير كلامونت اسكرين ما يلى : " فى شتاء سنة ١٨ -١٩١٩م وصلت عظمة بريطانيا وهيمنتها على إيران إلى درجة لم يكن لها سابقة منذ خروج تركيا وألمانيا من ساحة الحرب . وكانت روسية البلشفية مجهولة، بل وغريبة على الساحة الدولية، ولم تكن لها قوة عسكرية ذات فعالية جدّية يحسب حسابها . وكان الخليج الفارسى فى قبضة القوات البريطانية، وكانت " قوة بنادق جنوب فارس" تحت إمرة الضباط البريطانيين ؛ كما كانت الولايات الجنوبية تحت سيطرة قيادة بغداد العسكرية، بينما كان الأدميرال (أمير البحار) نورس Norris على رأس أسطوله يسيطر سيطرة تامة على بحر قزوين وكان الجنرال مالسُون ينشر قواته، وانضمت إليه " قوات خط الشرق " ذلك الطريق الترابى الضيق الممتد أكثر من ألف ميل من الأراضى الجبلية شرقى بلوشستان الإيرانية، وينتهى عند مرو فى آسيا الوسطى الروسية ؛ بينما كانت توجد فى العاصمة طهران حكومة ضعيفة ذات ميول بريطانية، وتتمشى مع رغبات الحكومة البريطانية . وكان يجلس على العرش آخر ملك من ملوك الأسرة القاجارية السلطان أحمد شاه الشاب الصغير السن قليل الخبرة . ولذلك كانت بريطانيا تتحكم فى إيران دون منازع . " (١)

---

1) Skrine, C. World War in Iran, OP. Cit., P. 58 .

السوفييت ينشرون المعاهدات السرية ويسقطون الإمتيازات عن إيران :

وكان أول إجراء أقدمت عليه الدولة السوفييتية فى ميدان السياسة الخارجية تجاه إيران، إعلانها فى نوفمبر ١٩١٧م، أى بعد مرور يوم واحد على انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية فى روسيا تعهد النظام السوفييتى بنشر جميع المعاهدات والاتفاقات السرية التى عقدتها الحكومة القيصرية السابقة مع الدول الكبرى وغيرها، ومنها إيران، مما دشّن بداية للكشف عن جانب مهم من محتويات الأرشيفات الروسية الخاصة . وعلى هذا الأساس تألفت لجنة خاصة لدراسة المعاهدات والمراسلات السرية لروسيا القيصرية تمهيداً لنشرها . وبعد حلّ رموزها الذى استغرق ستة أسابيع من العمل المتواصل تم نشر حوالى مائة معاهدة وعدد كبير من الوثائق والمراسلات الدبلوماسية السرية فى الصحف المحلية، كان يتعلق عدد غير قليل منها بإيران منذ منتصف القرن التاسع عشر ؛ فكشف لأول مرة عن مضمون اتفاقية عام ١٩٠٧م حول تقسيم إيران بين روسيا وبريطانيا، مع كل ما يتعلق بها . كما كشف النقاب لأول مرة عن اتفاقية أخرى وقعتها الدولتان : روسيا القيصرية وبريطانيا فى سنوات الحرب العالمية الأولى .وافقت روسيا بموجب بنودها على أن يمتد النفوذ البريطانى فى إيران ليشمل المنطقة التى اعتبرتها اتفاقية عام ١٩٠٧م محايدة . وفى مقابل ذلك تعهدت بريطانيا ضمان تحقيق أطماع روسيا فى مضيقى البوسفور والدردنيل وأراضى أخرى من الأناضول . (١)

وكان خبر انتشار الاتفاقات السرية الموقعة بين روسيا وبريطانيا بخصوص

---

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور ؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

تقسيم إيران لطمة شديدة للحكومة الإيرانية والشعب الإيراني . كذلك أسقط السوفييت الامتيازات التي كانت روسيا القيصرية قد حصلت عليها من إيران، والتي منها إسقاط الديون التي كانت تُثقِل كاهل ميزانية الحكومة الإيرانية وذلك لصالح الشعب الإيراني، مما هز مكانة بريطانيا سياسيًا في إيران، خاصة وأن الإيرانيين كانوا يتوقعون أن تنهج الحكومة البريطانية نهج حكومة روسيا السوفييتية فيما قدّمته من تنازلات . لكن حدث العكس تمامًا ؛ حيث شرعت بريطانيا القيام باستعدادات حربية ضد السوفييت لمنع تغلغل أى نفوذ سوفييتي في إيران، ووصل تبجّحها تحريض إيران على الامتناع عن قيام علاقات سياسية ودبلوماسية بين البلدين .(1)

وأثناء إخلاء إيران من القوات الروسية، أرسلت الحكومة السوفييتية مذكرة إلى الحكومة الإيرانية في ٢٧ يناير ١٩١٨م تفيد إلغاء اتفاقية ١٩٠٧م السرية بشأن تقسيم إيران إلى منطقتي نفوذ روسية وبريطانية، والمعاهدات الأخرى التي تنقص حقوق إيران وسيادتها على أراضيها، والتي كانت روسيا القيصرية قد وقعتها مع إيران . وأشارت المذكرة إلى أن الحكومة السوفييتية تعمل جاهدة لأجل إخلاء إيران الكامل من القوات التركية والبريطانية.(2)

وردت الحكومة الإيرانية على مذكرة الحكومة السوفييتية بمذكرة رسمية مماثلة في ٣٠ فبراير ١٩١٨م، سلّمها أسد خان القائم بأعمال المفوضية الإيرانية لدى الحكومة السوفييتية، ورد فيها : " إن الحكومة الإيرانية مع قبولها ما جاء في مذكرة حكومة جمهورية روسيا كصلات مستقبلية متبادلة بين إيران وروسيا،

---

(١) ميرشنيكوف ؛ إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

فإن الحكومة الإيرانية ترحب بعقد اتفاقات قنصلية على أساس من الإرادة الحرة والاحترام المتبادل للشعبين " . (١)

نستشف من أول إجراء دبلوماسي أقدمت عليه الحكومة السوفييتية نحو إيران، هو تأييدها المطلق للحكومة والشعب الإيراني، وصدى هذه التنازلات عند جماهير الشعب الإيراني، كما ورد في مذكرة للحكومة الإيرانية في نهايتها : " تعرب حكومة وشعب إيران عن خالص تقديرها تجاه الجمهورية السوفييتية بمناسبة اتخاذ قرار سوفييتي عادل بشأن إيران، وتصميم مجلس شورى المستشارين الشعبيين السوفييت سحب القوات العسكرية الروسية من الأراضي الإيرانية " . (٢) وقد علّق على هذه المذكرة " ك . برافين " Bravin الممثل السياسي المؤقت لروسيا السوفييتية بالآتي : " إن وصف تأثير خبر إلغاء الاتفاقات المجحفة المبرمة مع الإيرانيين كان مفاجأة مذهلة للغاية للإيرانيين، وأصبحت العاصمة طهران كقطعة قماش ذات ألوان متداخلة ؛ فقد كان الأهالي بين مذهول بالمفاجأة وبين سعيد بها . وكانت الوفود الإيرانية تفد على السفارة وتقدّم لي التهاني باستمرار. حتى أنني لم يكن عندي وقت لإنجاز عملي الرسمي. بل والأكثر من ذلك كان الناس يستقبلونني في شوارع طهران بالتصفيق والتهليل . " (٣)

حذر الحكومة الإيرانية في تعاملها مع السوفييت:

وعلى هذا النحو استقرت مناسبات الصداقة والاحترام المتبادل بين روسيا

---

(١) وثائق السياسة الخارجية السوفييتية، الجزء الأول، الملف الأول .

(٢) وثائق السياسة الخارجية السوفييتية، الجزء الأول، الملف الأول .

(٣) ميرشنيكوف : إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق ، ص ٩٨ .

السوفييتية وإيران . لكن بعد فترة قصيـــرة كانت الحكومــة الإيرانية تتعامــل في علاقاتها الرسمية مع روسيا السوفييتية بأسلوب مبهم إلى حد ما، نتيجة تحريض بريطانيا ؛ ذلك أنه بعد إلغاء الاتفاقات المجحفة التى أبرمتها روسيا القيصرية مع إيران أجّلت الحكومة الإيرانية مراسم تقديم أوراق اعتماد " براڤين " الممثل السياسى لروسيا السوفييتية فى إيــران وعلّقــت وضعــه . ومن ناحية أخرى لم تقطع الحكومة الإيرانية علاقاتها الرسمية مع البعثة للحكومة الروسية المؤقتة، والتى كان على رأسها " ڤون أتر " . وكانت الحكومة السوفييتية قد حرمت أعضاء بعثة ڤون أتر من الحقوق القانونية، واعتبرتهم خارجين عليها .

وسلكت الحكومة الإيرانية مسلكًا غير سوى إزاء هذه المشكلة الدبلوماسية، ونعنى بها وجود بعثتين دبلوماسيتين لشعب واحــد مزقتــه الخلافــات وطغــى على السطح وجود نوعين من الروس : روس بيض وروس حُمْر، وكلاهمـا يدّعى أحقيته وتفوقه . وكانت الحكومة الإيرانية تقتفى أثر نموذج الدبلوماسية البريطانية فى تعاملها مع ڤون أتر كممثل للروس البيض، وفى نفس الوقت كانت تتعامل مع براڤين ممثل السوڤييت فى طهران . وفى شهر فبراير ١٩١٩م أرسل براڤين تقريراً إلى حكومته، ذكر فيه : " تدخلت البعثة الدبلوماسية البريطانية رسمياً فى موضوع الاعتراف بى كممثل للحكومة الروسية السوفييتية لدى الحكومة الإيرانية، بل إن البعثة الدبلوماسية البريطانية لا تصرّ فقط على اعتراف رئيس الوزراء الإيرانى بى، بل واقترحت عليه أن أغادر إيران فوراً . "(١)

وبعد ذلك طلبت الحكومة الإيرانية فى إجراء غير ودّى أن تسحب روسيا السوفييتية بقيــة قواتهــا من إيران على عجل ؛ بينما كانت الحكومة الإيرانية

1) Documents of British foreign policy, 1919 - 1939, First series , Vol. 1919, London, 1952 , No. 729 .

تعلم تمامًا أن كافة الوحدات العسكرية الروسية المناهضة للثورة سوف تبقى في إيران بعد إخلاء الجيش الروسي التابع لدولة روسيا السوفيتية إيران، وأن الجيش الروسي الأبيض دخل خدمة بريطانيا، ويصرف أفراده رواتبهم من الخزانة البريطانية . وقد وصلت وزارة وثوق الدولة المنحازة للبريطانيين إلى أفضل وضع لقوتها وسيطرتها وبقائها في الحكم بتعضيد من البريطانيين ؛ فتدهورت العلاقات الإيرانية مرة أخرى . وفي النهاية قطعت إيران كافة علاقاتها بروسيا السوفييتية بطريقة غير مهذبة، بل وغير دبلوماسية . فما كان من الحكومة السوفييتية إلاّ أن استدعت براڤين ممثلها الموقت في بداية صيف عام ١٩١٨ .[1]

وكلفت الحكومة السوفييتية " اشتبان شوميان " Shaumyan ، الذي كان يشغل المفوض فوق العادة لشئون ما وراء القوقاز ومقر إقامته باكو بالتوجه إلى إيران كممثل سوفييتي جديد بدلاً من براڤين . وعاون شوميان شخصيتين بارزتين من المطّلعين بأوضاع إيران ومشاكلها، هما : إيوان وكولوميتسيڤ Kolomitsev الضابط السابق وسكرتير " هيئة الثورة " في ميناء أنزلي الإيراني، وأحد الرجال الذين خطّطوا لإخلاء إيران من القوات السوفييتية . وفي أواخر يونيو ١٩١٨م تحرك كولوميتسيڤ من باكو إلى إيران عن طريق أنزلي، هو وبقية أعضاء الوفد السوفييتي بطريقة محيّرة ومثيرة، بعد أن تمكنوا من خداع نقاط المراقبة ووحدات الجاسوسية لقوات دنستر البريطانية ووصلوا إلى طهران . ورفض رئيس الوزراء الإيراني وثوق الدولة – وهو رجل بريطانيا الأول في إيران آنئذ – الاعتراف بالبعثة السوفييتية رسميا بتحريض من البريطانيين الذين لم يكتفوا بذلك ؛ بل إنهم حرضوا الروس البيض الموجودين في طهران تدبير هجوم على مبنى المفوضية السوفييتية في طهران .

(١) ميرشنيكوف : إيران في الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق ، ص٨ ٩.

وبررت الحكومة الإيرانية عدم الاعتراف بالممثل السياسى السوڤييتى إلى وجود تلاعب فى أوراق اعتماده، وحجج أخرى كان على رأسها أنه شخص غير مرغوب فيه . وهكذا وجد كولوميتسيف نفسه يائسًا ولا يستطيع إنجاز مهام عمله . ومع ذلك فإنه تمكن من لقاء وكيل وزارة الخارجية الإيرانية بطريقة غير رسمية، واقترح عليه الدخول معه بمباحثات دون رعاية الاعتراف الرسمى لروسيا السوڤييتية بسبب الحدود بين البلدين . وقد بقيت هذه المقترحات دون ردّ من جانب الحكومة الإيرانية، شأنها فى ذلك شأن منح الحقوق الدبلوماسية المتعارف عليها مع البعثات الدبلوماسية، وأيضًا دخل كولوميتسيف فى مباحثات مع أعضاء غرفة التجارة الإيرانية لتنشيط العلاقات التجارية بين إيران وروسيا السوڤييتية، وانتشرت أخبارها فى الصحف المحلية .

نهب مقر البعثة الدبلوماسية السوڤييتية فى طهران :

كان البريطانيون وأعضاء بعثة ڤون أتر الروسية التى استمرت تتعامل مع الروس البيض الذين فضلوا مؤازرة الملكية فى روسيا، والضباط الروس القياصرة ينظرون إلى نشاط كولوميتسيف بحذر بالغ وترقب زائد، خاصة وقد أصبحت مقر بعثة ڤون أتر مركزًا نشطًا لكافة القوات الروسية والحركات السياسية ضد السوڤييت فى إيران . وأخيرًا اجتمع البريطانيون والروس البيض لاتخاذ إجراء فورى وحاسم ضد بعثة الحكومة السوڤييتية، وأصدروا إذنًا من السلطات الإيرانية بقيام جماعات مسلحة مشكّلة من البريطانيين والروس البيض بالهجوم على مقر البعثة الدبلوماسية السوڤييتية . وفى منتصف ليلة الثالث من نوفمبر ١٩١٨ م هجمت جماعات مسلحة مكونة من أفراد من لواء القوزاق الروسى والحرس الأبيض بقيادة " جيلد براندت " مبنى البعثة الدبلوماسية السوڤييتية وحاصروا

الموظفين السوفييت وأتباعهم المتواجدين فى المبنى، وكانوا جميعا من أعضاء " هيئة ثورة الجيش " ، وضربوهم ونهبوا أموالهم، واحتجزوا أعضاء البعثة الدبلوماسية السوفييتية وعائلاتهم، وكان من بين المعتقلات زوجة كولوميتسيف، ثم حوّلوهم مقيدين إلى المسئولين البريطانيين فى طهران، فنقلوهم جميعًا إلى إحدى معسكرات قوات دنستر البريطانية، ثم رحّل البريطانيون كافة المعتقلين إلى الهند عن طريق بغداد .

أما كولوميتسيف فإنه مع اشتراكه فى الاشتباك الذى نشب داخل مبنى البعثة الدبلوماسية السوفييتية، إلاّ أنه تمكن من الإفلات فى آخر لحظة بمفرده، ونجح فى الفرار بالقفز من نافذة بالطابق الثانى من المبنى إلى الشارع، وفرّ لا يلوى على شئ. وما أن حل الصباح حتي لجأ إلى أشخاص إيرانيين من المتعاونين معه خفية، ورتّبوا له إقامة آمنة فى طهران . وبعد ذلك توجه متنكرًا إلى باكو بمساعدة العشائر الكردية عن طريق جبال كردستان وأذربيجان، والتى كانت فى ذلك الحين تحت سيطرة القوات البريطانية، وأخيرًا وصل إلى موسكو .[1]

---

(١) ميرشنيكوف ' إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

الباب الثالث

إيران بعد الحرب العالمية الأولى

١٩١٩ - ١٩٢١

الصراع البريطانى السوفييتى :

أرسلت الحكومة السوفييتية كولوميتسيف إلى إيران مرة ثانية فى شهر يونيو ١٩١٩م ، لكنه قَدِم هذه المرة ومعه أوراق اعتماد مختومة بخاتم الحكومة المركزية السوفييتية فى موسكو كممثل دبلوماسي للحكومة السوفييتية . وكُلِّف كولوميتسيف أن يطلب من الحكومة الإيرانية أن تقرّ من جديد المناسبات الدبلوماسية والسياسية مع الحكومة السوفييتية . وفى المذكرة التى أرسلها السوفييت إلى إيران، التى قدّمها كولوميتسيف تنازل الروس عن كافة القروض التى حصلت عليها إيران من حكومة روسيا القيصرية . كما أعلنت فى نفس المذكرة أن حدود السوفييت وإيران مفتوحة للتجارة، وكذلك الملاحة فى بحر قزوين . وقد أصبحت هذه المذكرة وثيقة هامة تشكل القسم الأساسى للعلاقات المستقبلية بين إيران وروسيا السوفييتية، ثم دخلت بعد ذلك ضمن بنود الاتفاقية الشهيرة بين إيران وروسيا السوفييتية التى وقعها ليون قره خان Leon Karakhan وكيل وزارة الخارجية السوفييتية فى ٢٦ فبراير ١٩٢١م .

أما قصة عودة كولوميتسيف للمرة الثانية إلى إيران، فيكتنفها الكثير من الغموض والإبهام : فكان عليه أن يعبر هو وأعضاء بعثته من نقاط الحدود العسكرية البريطانية بين روسيا السوفييتية وإيران، واستقل زورقا صغيرا مزوّداً بمحرك عَبَر به بحر قزوين، والذى كان فى تلك الفترة تحت السيطرة الكاملة للبحرية البريطانية بقيادة الأدميرال (أمير البحر) نوريس، وتمكن بهذه الطريقة الانتحارية من الوصول إلى مدينة حاجى طرخان (أستراخان) Asthrakhan ، ومنها انتقل إلى لنجران Lenkoran ، ثم رحل إلى جزائر آشوراده وبعد ذلك دخل الأراضى الإيرانية .

وكان دخول كولوميتسيف إيران كممثل دبلوماسى وسياسى سوفييتى مقارنًا

لانتشار اتفاقية ٩ أغسطس ١٩١٩م، التي وقعتها الحكومة الإيرانية مع بريطانيا، فكان ذلك صفعة قوية وخيبة أمل للإيرانين الموالين لبريطانيا .

وبعث ب . كوكس Cox ، الوزير المفوض البريطاني في طهران إلى اللورد كيرزون Curzon ، وزير الخارجية البريطانية برقية في هذا الشأن، ورد فيها ما يلي : نزل في أوائل شهر أغسطس (١٩١٩م) حوالي أربعمائة شخص بلشفي في حاجي طرخان ... وقد طلبت الحكومة الإيرانية أن يقوم أمير البريطاني نورس قائد البحرية البريطانية في بحر قزوين والقوات البريطانية تخريب قاعدة البلاشفة في جزيرة أشوراده وتستولي على مدافعهم وسفنهم وأسُر كل من يكون بها من البلاشفة ... ". (١)

ولم تكن بريطانيا في حاجة لمثل هذا الطلب الذي تقدمت به الحكومة الإيرانية ؛ فقامت السفن البريطانية في بحر قزوين ومعها قوات عسكرية بالهجوم على قاعدة البلاشفة في" أشوراده "، ودمرت كل ما صادفها، وقتلت كل من واجهها، وأسرت الباقي، وكان بينهم كولوميتسيف ممثل الحكومة السوفييتية في طهران . ويعد بضعة أيام من تلك المجزرة البشرية أغتيل كولوميتسيف على يد أحد الروس البيض، هو فيليبوس رئيس أركان حرب لواء القوزاق الإيراني بتحريض مباشر من البريطانيين وموافقة السلطات الإيرانية على ذلك.

رد الفعل السوفييتي على تدمير قاعدتهم وقتل أفرادها :

وعلى هذا النحو فشلت ثاني محاولة روسية سوفييتية لإرساء صلات دبلوماسية وعلاقات سياسية ودية مع إيران، والتي كانت لاتزال حتى ذلك الحين تحت الاحتلال الكامل للقوات البريطانية . أما الروس السوفييت والقوة العسكرية التي

(١) ميرشنيكوف: إيران في الحرب العالمية الأولى ، مرجع سابق، ص ١٠١ .

يقـودهـا الجنـرال " راسكولنيكوف" Raskolnikov بتعقب فلول قوات روسيا البيضاء، التي كانت تشكل بقايا قوات الجنرال دينكين Denikin ، عندما كانت تقوم بعملية الانسحاب. وسرعان ما احتل جنود الجيش السوفييتي معظم الأراضى الواقعة بين ساحل بحر قزوين وجبال ألبرز، واتصلوا بالثائر كوچك خان جنگلى وساعدوه على أن يعلن فى رشت تشكيل جمهورية جيلان الاشتراكية ؛ فاحتجت الحكومة الإيرانية بشدة على هذا الإجراء، غير أن موسكو ردّت على ذلك بأن حملة راسكولنيكوف كانت من أعمال الجمهورية الاشتراكية المشكلة حديثًا فى آذربيجان، وأنها لاتملك السيطرة على أعمالها . ثم أصرت على إبقاء الجيش الأحمر فى الأراضى الإيرانية طالما تتواجد قوات بريطانية فى إيران . لكن الإيرانيين لم يقتنعوا بهذا التفسير .

ومع انتهاء الحرب انفردت بريطانيا بإيران، وظهر آثار التغلغل البريطانى المتزايد والنفوذ المتعاظم كعبء جديد أثقل كاهل الاقتصاد الإيرانى الذى ظل يعانى بشدة من بقايا الخراب الاقتصادى الذى تركته سنوات الحرب . كما أن انقطاع العلاقات التجارية مع روسيا والتى كانت تشكل ٧٠٪ من الميزان التجارى الخارجى الإيرانى، مقابل ٢٠٪ فقط لبريطانيا عشية الحرب، أثر على الوضع العام فى السوق (البازار) . ونتج عن ذلك أن ساءت أوضاع الفئات الفقيرة فى الريف والمدن التى امتلأت شوارعها بجيش كبير من المتسولين والعاطلين عن العمل، وغدت الهجرة من الريف إلى المدينة أو إلى خارج إيران أحيانًا من الظواهر الاجتماعية المألوفة .(١)

وكان من الطبيعى أن لا يتجاهل الاتحاد السوفييتى الواقع السياسى والاجتماعى لإيران ومحاولته إقامة علاقات طبيعية معها عبر قنوات دبلوماسية

(١) كمال مظهر أحمد، دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢١٥ .

بحتة رافقتها تنازلات صريحة غير قليلة . ففى ٢٦ يونيو ١٩١٩م وجّهت الحكومة السوفييتية مذكرة إلى الشعب الإيرانى والحكومة الإيرانيـة أعلنت فيهـا تنازلهـا عن الحقوق والامتيازات التى ورثتها عن روسيا القيصرية فى إيران ؛ بما فى ذلك القروض والسكك الحديدية والموانئ ومكاتب البرق والبريـد وغيرهـا من المؤسسات الاقتصادية والاستراتيجية . وتَبِعَت المذكرة محـاولات أخرى مشابهـة للتقـرب من الحكومة الإيرانية التى تمخضت عن توقيع أول معاهدة بين البلدين فى موسكو فى فبراير ١٩٢١ .(١)

الحالة السياسية والإجتماعية فى إيران بعد الحرب :

ومع سقوط جبهات قتال دولتي الوسط : ألمانيا وتركيا فى أوربا والشرق الأوسط وهزيمتـهـمـا فى أواخر سنة ١٩١٨م، لم يكن هناك أدنى خطر تخشـاه بريطانيا على مستعمرتها الهند أو حتى إيران . وأصبح المجال مفتوحا للبريطانيين للتصرف فى إيران لصالحهم ؛ فقرروا الانفراد بإيران لعدم وجود منافس، بعد إخلاء روسيا السوفييتية قواتها من إيران مع بداية عام ١٩١٨م . ووصل الأمر ببريطانيا أنها لم يبق لها أسطول حربى فى مياه بحر قزوين . وكانت الحكومة البريطانية أكثر دولة من دول الوفاق الثلاثة : بريطانيا وروسيا وفرنسا قد ضربت بحياد إيران بعرض الحائط؛ فأقدمت على الاستيلاء على كافة الأراضى الإيرانية، وبدأت تتصرف وكـأن إيران دولـة تابعـة أو مستَعْمرة خاضعة لها . ولم تكتفى بريطانيا باحتلال إيران عسكريًا، وانتشـار قواتها فى كافة ولاياتها الجنوبية والشمالية والشرقية والغربية، بل تدخلت القوات البريطانية عسكريا فى ما وراء القوقاز وبحر قزوين والتركستان متخذة من إيران قاعدة انطلاق لها .

وتحمّل الشعب الإيرانى طوال فترة الحرب العالمية الأولى من الحرمان والضنك

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

ورافقه سوء الحظ، ودمّرت الحرب مناطق شاسعة، ووفاة عشرات الآلاف من الإيرانيين بسبب الجوع والمرض أو نتيجة العمليات العسكرية، رغم إعلان الحكومة الإيرانية الحياد التام، والتزمت به طوال فترة الحرب . لكن كان وضع إيران شبه المستعمْر لم يمنعها من أن تكون منطقة صدام عسكرى بين الدول المتصارعة، بل ولقمة سائغة لهم جميعًا . حقًا كانت إيران فى الحرب العالمية الأولى محايدة رسميًا، لكن واقع الأمر يشير إلى أن الروس والبريطانيين من ناحية والأتراك والألمان من ناحية أخرى كانوا يتحاربون على الأرض الإيرانية ويغيرون عليها .

وانتهت الحرب بهزيمة إئتلاف ألمانيا وتركيا وخروج روسيا القيصرية من الميدان، وصارت روسيا السوفيتية عدوّة لدودة لبريطانيا . أما الأخيرة فإنها اغتصبت إيران تمامًا، وأصبحت دون رقيب فى كافة تصرفاتها من إغارة ونهب وقرصنة . وأخيرا أُحْتلّت إيران بواسطة القوات العسكرية البريطانية والهندية، ثم اتخذ البريطانيون من إيران قاعدة للإنطلاق منها لتتسع إمبراطوريتها فى الشرق عن طريق غزو ما وراء القوقاز والتركستان .

وفى أواخر صيف عام ١٩١٩م ، حدثت تطورات سياسية وعسكرية أدت إلى سحب بريطانيا قواتها من روسيا السوفيتية، وتمركزت فى ولايات إيران الشمالية، وذلك لانتهاز الفرصة وتتدخل عسكريًا عند اللزوم وتراقب ما يحدث فى روسيا السوفيتة من صراعات داخلية عن طريق عشرات الآلاف من الجنود البريطانيين والهنود . وكانت بريطانيا تعتمد عليهم للوصول إلى هدفها، وهو تبديل إيران إلى مستعمرة بريطانية .

إيران تعرض مشكلتها على عصبة الأمم :

ومع هزيمة قوات الوسط فى جبهات القتال الأوربية ونهاية الحرب فى عا

١٩١٨م، اجتمع مندوبو دول الوفاق المنتصرة، وكذلك الدول التى أسهمت بدور ما فى الحرب ووقفت جانب الحلفاء فى قصر ڤرساى فى ضواحى باريس، العاصمة الفرنسية، ليتباحثوا فى نهاية الحرب فى الشئون المتعلقة بالصلح . ويُعَد مؤتمر ڤرساى أحد المؤتمرات الكبرى فى التاريخ الحديث . وقد بدأ عمله رسمياً فى يناير ١٩١٨م، واشترك فيه ممثلون لأكثر من ثلاثين دولة .

وكان الغرض من تشكيل عصبة الأمم حفظ النظام والسلام الدولى العام والتسوية السلمية للمنازعات الدولية، وإنماء التعاون الدولى، وتضمنت روح النقاط الأربعة عشر التى أعلنها " وودرو ويلسون " رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية فى أثناء الحرب العالمية الأولى . وقامت عصبة الأمم على أسس أربع :

١- قبول أعضائها لالتزامات معينة بعدم اللجوء إلى الحرب .

٢- أن تتم العلاقات بين الدول علانية وعلى أساس الشرف والعدل.

٣- إحترام الدول لقواعد القانون الدولى العام فى علاقاتها بعضها ببعض .

٤- احترام العهود الدولية .

وكانت عصبة الأمم هيئة عالمية ، لكن العضوية فيها ليست إلزامية، بل هى قاصرة على من يقبل الانضمام إليها من الدول . وكانت تتكون من نوعين من الأعضاء:

أ- أعضاء مؤسسون ؛ وهم الدول التى وقّعت على عهد عصبة الأمم ودول أخرى ذكرت فى ملحق العهد سمح لها بالانضمام للعصبة فى ظرف شهرين ووصل عددهم ثمانية وعشرين .

ب- أعضاء منضمون ؛ وهم الدول والممتلكات والمستعمرات التى تحكم نفسها

بنفسها والتى يوافق على قبولها بالعصبة ثلثا أعضاء الجمعية العامة بشرط أن تُقدّم الضمان الكافى عن خالص نيتها فى احترام إلتزاماتها الدولية، وأن تقبل النظام الذى تضعه العصبة خاصًا بالتسليح وبالقوات البرية والبحرية والجوية .

وانضم إلى عصبة الأمم عدد كبير من الدول حتى أصبح عددها قرابة الستين، وانضم إليها من الدول العربية مصر والعراق، وانسحبت من عضويتها اليابان وألمانيا وإيطاليا وعدد من دول أمريكا اللاتينية .

وكانت للعصبة مهام سياسية وأخرى عمرانية، وتتخلص المهام السياسية فى النقاط التالية :

١- فض المنازعات بالطرق السلمية : حيث يجب عرض كل نزاع على المحكمين أو القضاء أو مجلس العصبة، وحَظّر العهد الالتجاء إلى الحرب قبل استنفاذ هذه الوسائل .

٢- خفض التسلّح : بحيث يجب على الدول أن تخفض تسليحها إلى القدر الضرورى للمحافظة على أمنها الوطنى .

٣- ردّ الاعتداء : وفرضت المادة العاشرة من عهد عصبة الأمم على الدول الأعضاء احترام وضمان سلامة أقاليم الدول الأخرى . فإذا وقع اعتداء أو تهديد باعتداء يقرر المجلس الوسائل اللازمة لردّه .

٤- الجزاءات : إذا لجأت دولة إلى الحرب، أو خالفت الإلتزامات المنصوص عليها فى العهد يجوز للمجلس توقيع جزاءات عليها . وهذه الجزاءات قد تكون اقتصادية تتمثل فى قطع كل علاقة تجارية ومالية مع الدول المعتدية، وقد تكون عسكرية، أى تدابير عسكرية يقررها المجلس، ويحدد مدى اشتراك كل دولة

فيها، وقد تكون مجرد الطرد من العصبة .

أما المهمة العمرانية، فتشمل توثيق التعاون الدولى فى الشئون الاقتصادية والمالية والصحية والاجتماعية والفكرية، وأيضًا تنظيم الانتدابات الدولية والإشراف على الدول صاحبات الانتداب، وأيضًا الإشراف على بعض المسائل الخاصة كإدارة إقليم السار، والإشراف على دانتزج وحماية الأقليات . (١)

وقد رافق انهيار الجبهة الروسية تمكين الإيرانيين فى الشمال من التمتع بالحرية مرة أخرى، بعد أن تخلى البلاشفة عن كافة الحقوق الموروثة عن العهد القيصرى . وفى نفس الفترة ظهرت الولايات المتحدة الأمريكية كقوّة ذات فعالية كبيرة وتأثير على مجرى أحداث الشرق الأوسط مع انتهاء الحرب العالمية الأولى . وهذا يعنى ظهور قوى دولية جديدة يمكن أن تركن إليها بعض أجنحة المعارضة الإيرانية . وبدأيراود المسئولون عن الحكم فى إيران حلم استعادة المناطق التى فقدتها بلادهم نتيجة توسعات روسيا القيصرية فى التاسع عشر ؛ فإذا بوفد إيرانى يقدّم إلى مؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ م مذكرة طالب فيها ضم كل أذربيجان الشمالية مع مدينة باكو وأرمينيا الغربية مع مدينتى يريفان وقره باغ وقسم من داغستان إلى إيران . كما طالبت إيران فى مذكرتها ضم مناطق واسعة أخرى تمتد غربًا حتى حدّ نهر الفرات، وضم مدينتى دياربكر والموصل وغيرهما من الأماكن التي كانت تدخل ضمن الإمبراطورية العثمانية إلى وقت قريب (١) .

---

(١) محمد حافظ غانم، الأصول الجديدة لقانون الدولى العام ، الطبعة الثالثة، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٥م ، ص ٣٩٧ – ٤٠٠ .

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

واقعًا توجهت بعثة من طهران إلى باريس لتوصل مطالبها إلى مؤتمر ڤرساى، لكن أعضاء الوفد الإيرانى لم يصلوا إلى المؤتمر قط، ولم يتمكنوا من ذلك مما أدّى إلى فشل مأموريتهم وعدم نجاحها .

ما عرضته الحكومة الإيرانية على مؤتمر ڤرساى :

استند دفاع الحكومة الإيرانية على أنه خلال فترة الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) كانت فيها الأراضى الإيرانية مسرحا لعمليات القوات المتصارعة ؛ فكان البلاء والدمار يصب على رأس الشعب الإيرانى ، وأوذىَ كثيرًا . كما صارت إيران أكثر خرابًا ودمارًا بسبب القتل والتدمير دون ذنب اقترفته . وكان تدخّل قوات الدول المتحاربة فى شئون إيران واتخاذهم أراضيها مسرحًا لقتالهم، ليس له أدنى صلة بالمتقاتلين، أو أدنى تدخل مباشر فى الحرب ؛ فتحمّلت من جرّاء ذلك خسائر فادحة .[1] فما كان من الحكومة الإيرانية إلاّ أن طالبت بالتعويض عن خسائرها التى أصابتها فترة الحرب، واعتبرت ذلك حقًا يجب المطالبة به، وقدّمت طلباتها فى رسالة موجهة إلى الحكومة البريطانية، حصرت مطالبها فى الآتى :

١ـ الموافقة على اشتراك مندوبى الحكومة الإيرانية فى حضور جلسات مؤتمر الصلح رغم أن أعضاء الدول المحايدة الأخرى لم يسمح لها بالحضور وعرض مطالبهم فى المؤتمر .

---

(٢) ورد فى كتاب " رهبران مشروطة" (زعماء الدستور) لإبراهيم صفائى ، ص ٤٤١ مايلى : " إن خسائر ايران فى الحرب العالمية الأولى نقلاً عن " كتاب سبز" (الكتاب الأخضر) كان ٤٣٦,٠٤٥,٠٠٠ تومان خسائر مالية ، ٢٠,٠٠٠ تلفيات بشرية " ، راجع أيضاً United States Department of State, Papers Relating to the Foreign Relations of United States 1919: The Paris Peace Conference, Vol. 1 , P 260.

٢- إلغاء معاهدة ١٩٠٧ م السرية المبرمة بين روسيا وبريطانيا، والتي قُسِّمت إيران بموجبها إلى منطقتي نفوذ ؛ أحداهما بريطانية والأخرى روسية ومنطقة ثالثة محايدة والتي لم تحط إيران علما بها ، وأيضًا كافة المعاهدات التي تنقص استقلال إيران وتحدّ حركتها في كافة الأراضي الإيرانية .

٣- تعويض إيران عن الخسائر المالية التي خسرتها فترة الحرب .

٤- التمتع باقتصاد حرّ، وتحديد السياسة الإقتصادية الإيرانية بيَدِ أبنائها دون تدخل أجنبي.

٥- إعادة النظر في كافة المعاهدات السابقة وإلغاء المعاهدات المبنية على أساس حصول الأجانب على الامتيازات .

٦- المساعدة في إخلاء إيران من القوات الأجنبية بما فيها القوات البريطانية .

٧- إسناد إدارة " قوة بنادق جنوب فارس " إلى الحكومة الإيرانية .

٨- إعادة النظر في التعريفة الجمركية .

ورفضت الحكومة البريطانية قبول الطلبات الإيرانية، وذلك في مذكرة سلّمها الوزير المفوض البريطاني في طهران إلى وزارة الخارجية الإيرانية، وامتنعت الحكومة البريطانية عن إخلاء قواتها من إيران . كما شككت في إمكانية إيران تحمّل مسئولية استقلالها والسيطرة علي كافة أراضيها . وتبعا لذلك فإنها امتنعت عن إسناد الإدارة والسيطرة على قوة بنادق جنوب فارس إلى إيران . كما ذكرت الحكومة البريطانية في ردّها أن تبعية ضباط وأفراد قوة بنادق جنوب فارس معيّنين من قِبَل الحكومة البريطانية وبموافقتها . أما إلغاء إتفاقية ١٩٠٧م وإعادة النظر في التعريفة الجمركية فيمكن مناقشتهما بعد قبول مشاركة أعضاء جدد في

مؤتمر الصلح . وهذا مشروط بتحديد أعضاء الدول غير المشاركة فى الحرب والدول الأخرى التى على الحياد فى هذا المؤتمر . (١)

وما فعلت بريطانيا ذلك إلاّ أنها قد خرجت من الحرب منتصرة ؛ وكانت قد أصبحت الدولة الأوربية الوحيدة التى تتحكم فى المنطقة الممتدة من الحدود الصينية شرقًا حتى العراق غربيًا . ورأت فى وجودها كدولة منتدبة على العراق، وسيطرة الأسطول البريطانى على مياه الخليج الفارسى، وتعاون الشيخ خزعل أمير عربستان معها تعاونًا تامًا، جعلها تسعى إلى تحويل إيران إلى ما يشبه الدولة التابعة لها، وهداها تفكيرها إلى تكبيل إيران بمعاهدة تفرض بموجبها إلتزامات إيرانية عليها .

لجوء إيران إلى الولايات المتحدة الأمريكية:

وما أن جاء ردّ الحكومة البريطانية المخيب لآمال الحكومة الإيرانية، حتى طلبت إيران من الولايات المتحدة الأمريكية مساعدتها فى تحقق رغبتها من حماية وتأييد . واستجاب الوزير المفوض الأمريكى فى طهران إلى ذلك ، وذكر فى تقرير له بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٩١٨ الذى أرسله إلى وزارة الخارجية الأمريكية ما يلى : " إن الخسائر والتلفيات التى أصابت إيران من جرّاء الحرب أكثر من الدولة المحايدة الأخرى التى لم تشترك فى الحرب . وقد اعتدت قوات من روسيا وبريطانيا وتركيا على استقلال إيران واحتلوا أراضيها طوال فترة الحرب ..." . (١)

---

(١) أحمد على سپهر (مورخ الدولة) : ايران درجنگ بزرگ ١٩١٤ - ١٩١٨ (إيران فى الحرب العالمية ١٩١٤ - ١٩١٨) ، طهران ، ١٣٣٦ هـ.ش ، ص ٤٩٣ - ٤٩٤ .

1) United States Department of State, Papers Relating to the Foreign Relations of United States 1919: The Paris Peace Conference, Vol. 1 , P 265.

أما عن مساعدة وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية للوفد الريراني في مؤتمر الصلح في باريس وتعويض الخسائر التي أصابت إيران فترة الحرب ؛ فقد أبلغ لانسينج وزير الخارجية الأمريكية في رسالة له وجّهها إلى حكومة طهران أن الحكومة الأمريكية تبدي تفهمًا تامًا ورعاية خاصة أساسها اشتراك مندوبي إيران في مؤتمر الصلح (1).

وكان الوفد الإيراني المتجه إلى باريس يتكون من : ذكاء الملك فروغي - حسين علاء - نبيل الدولة كاشي - انتظام الملك وأمير أمان الله ميرزا جهانباني. (2) وأسندت رئاسة الوفد إلى مشاور الدولة وزيرالخارجية، وإن كان بعض المؤرخين يذكرون أن رئاسة الوفد أسندت إلى نصرت الدولة فيروز .(3) وغادر الوفد الإيراني طهران دون الحصول على دعوة من سكرتارية المؤتمر، اللهم كان أمله في مساعدة وتأييد الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا لعرض مطالب الحكومة الإيرانية، ووصل إلى باريس في شهر يناير ١٩١٩م . وعلق على ذلك محمد تقي بهار - ملك الشعراء وكان سياسيًا أيضًا بقوله : " لم يكن وثوق الدولة رئيس الوزراء يميل إلى اشتراك وزير الخارجية حضور مؤتمر الصلح، لكن الشاه (أحمد القاجاري) أصر على اشتراكه ؛ فاضطر مشاور الدولة تولّي هذا المنصب " .(4) ويذكر إبراهيم صفائي ما يلي : " عرض نصرت الدولة فيروز في مؤتمر الصلح إدعاءات احتلال الأراضي والخسائر البشرية والتلفيات المادية وسائر المطالب

1) Ibid, P. 262 .

(٢) إبراهيم صفائي ؛ رهبران مشروطه، مرجع سابق، ص ٤٤٧ .

(٣) علي أصغر شميم ؛ إيران در دوره سلطنت قاجار - قرن سيزدهم ونيمة أول قرن چهاردهم هجري قمري (إيران في عهد الحكم القاجاري : القرن الثالث عشر والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري القمري) نشر مكتبة ابن سينا، طهران ، ١٣٤٢ هـ . ش، ص ٤٨٤ .

(٤) محمد تقي بهار (ملك الشعراء) ؛ تاريخ مختصر احزاب سياسي، المجلد الأول، طهران، ١٣٢٣ هـ . ش ، ص ٣٧ .

الإيرانية ؛ لكنه عند عرض شكوى إيران لم يسمع أحد صوته . كما كان لقاؤه مع ويلسون رئيس الجمهورية الأمريكية ولانسينج وزير خارجيته دون فائدة " .[1] ويكمّل قوله : " بأنه كما سنرى فيما بعد أن أعضاء الوفد الإيراني لم يجدوا لهم مكانًا فى مؤتمر الصلح حتى يعرضوا شكوى إيران، بل ثبت أن فروغى لم يلق خطابه فى مؤتمر الصلح " .[2] وأيضًا لم يتم اللقاء بين نصرت الدولة فيروز وويلسون رئيس الجمهورية الأمريكية ووزير خارجيته لانسينج اللّذين تصادف وجودهما فى باريس آنئذ . وما ذلك إلاّ أن نصرت الدولة فيروز كان فى إيران فى تلك الفترة، ولم تستند إليه رئاسة الوفد الإيرانى أيضًا . ويذكر صفائى فى مكان آخر ما يلى : " إن نصرت الدولة كان متوليًا وزارة الخارجية قبل بضعة أيام من توقيع اتفاقية ١٩١٩م ، التى قدّمتها بريطانيا ووافقت عليها الحكومة الإيرانية، حيث تم توقيع الاتفاقية فى أغسطس ١٩١٩م، وأنه توجه إلى أوربا بعد ثلاثة أيام من توقيع الاتفاقية .[3]

ويذكر صفائى أيضًا : " كان الوفد الإيرانى برئاسة مشاور الممالك فى باريس قبل سنة . أما عن اختيار رئيس الوفد الإيرانى فإن وثوق الدولة كان يرى فى بداية انعقاد مؤتمر الصلح أن نصرت الدولة غير جدير بعرض مشكلة إيران، بل وليست لديه المقدرة على القيام بهذه المهمة ؛ فقرر رئيس الوزراء أن يرأس الوفد . وكان وثوق الدولة يميل إلى ذلك كثيرًا ؛ لكن أحمد شاه القاجارى كان يرى أن وجود وثوق الدولة فى طهران فى تلك الفترة المضطربة لازم لحفظ الأمن الداخلى، ولم يوافق على ذهابه إلى باريس، فاختار أحمد شاه مشاور الممالك

(١) إبراهيم صفائى ؛ رهبران مشروطه، مرجع سابق، ص ٤٤٩ .
(٢) نشر نص خطبة فروغى فى مؤتمر الصلح فى باريس سنة ١٩١٩م فى مجلة " يغما "، العدد الأول السنة السادسة عشر، ١٣٤٢ هـ . ش (مارس ١٩٦٣م) .
(٣) إبراهيم صفائى ؛ رهبران مشروطه، مرجع سابق، ص ٤٣٩ .

لرئاسة الوفد الإيرانى فى مؤتمر الصلح فى باريس . (١)

بريطانيا تعرض على إيران توقيع اتفاقية ١٩١٩ :

ومع انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م، دبّ الانحلال تمامًا فى جسم الدولة الإيرانية ؛ فقد غـدت منهوكـة القوى سياسيًا واجتماعـيًا واقتصاديًا . وفى نفس الوقت ازداد اهتمام البريطانيين بإيران ؛ فحاولوا ربطها نهائيًا بعجلة إمبراطوريتهم بأن فرضوا عليها معاهـدة جديـدة اختـاروا لها إسم " إتفاقية المساعدة البريطانية من أجل تقدم إيران ورفاهيتها " .

وقـد وضع الوزير المفوض البريطانى فى طهران " نورمن" الخيوط الأساسية الجديدة الواجب اتباعها ضمن " برقية عاجلة جدًا " بعثها إلى كيرزون وزيـر الخارجيـة البريطانيـة . وتطـرق نورمـن فى برقـيتـه إلى الوضع المتدهور واليائس الذى وصل إليه وثوق الدولة رجلهم الأول فى إيران، وإلى فشل سياسته الداخليـة " التى " خلّفـت استياءً عامًا بين طبقـات الشعب الإيرانـى "، وأدت إلى انتفاض ثورات فى ثلاث مقاطعات فى شمال إيران . وتقول البرقية : " أعتقد أن الذى سيخلف وثوق الدولة فى رئاسة الوزارة الإيرانية يجب أن يكـون شخصًا يستـمر على اتباع سياسة سلفه الخارجية، ويتبنى سياسة داخلية مغايرة تمامًا، ويجب أن يكون راغبًا فى العمل مع القوميين وينال مساندة شعبية " . وقد وقع اختيـار نورمن على مشير الدولة، وهو سياسى ليبرالى يتوفر فيه الشروط المطلوبة يمكن اقناعه بالتعـاون معنا . وعندما عرض نورمن الموضـوع على الشـاه علّق الأخيـر مؤكدًا أنه " مقتنع تمامًا بكل كلمة ذكرها فى هذا الشأن " . (٢)

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

(٢) كمال مظهر أحمد، دكتور؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ١٢٢ .

وتشمـــل معاهـــدة التاسع من أغسطس ١٩١٩م على خمس مواد، هى :

المادة الأولى : تحترم بريطانيا تماماً استقلال إيران وسلامة أراضيه .

المادة الثانية : تزوّد الحكومة البريطانية مختلف الإدارات وأجهزة الحكم فى إيران بالخبراء والمستشارين والفنيين .

المادة الثالثة : تزوّد بريطانيا الجيش الإيرانى بالضباط والمدربين والأسلحة والذخائر .

المادة الرابعـــة : تقـدم بريطانيـا قـرضـًا لإيران لتـمكينهـا من القـيـام بالإصلاحات اللازمة فى المادتين الثانية والثالثة بضمان دخل الجمارك

المادة الخامسة : ترغب بريطانيا فى المساهمة فى مشروعــات مد خطــوط المواصلات الحديديـــة فى إيران لرفع مستوى إيران الإقتصادى .

وإذا اسـتـعـرضـنا مـواد الاتفـاقـيـة، نجـد أن المادة الأولى جـاءت على عـادة البـريطانيين فى توقـيـع مـعـاهـداتهم مع إيران تأكـيـد الاحـتـرام الكامل والمطلق لاستقلال إيران. أما المادة الثانية فإن الخبراء والمستشارين البريطانيين سيتمتعون بصلات معينة، ويمكنهم الاطلاع على خبايا الحياة الإيرانية من خلال عملهم، ويحصلون على رواتب خيالية تجعل كلمتهـم نافـذة فى إدارات الحكومة الإيرانية . أما المادة الثالثـة فـلا تعنى سـوى أن يصبح الجيش الإيرانى إلاّ تحت السيطرة البريطانيـة وأداة طيّعـة لتنفيـذ رغبات البريطانيين فى إيـران . والمادة الرابعة، وتنص على تقديم مليونى جنيه استرلينى بفائدة سنوية قدرها ٧٪ بضمان دخل الجمارك . وهذا يعنى السيطرة البريطانية على كافة المسائل الاقتصادية والماليـة فى إيران . أما المادة الخامسة والأخيرة والتى تشير إلى إسهام بريطانى فى تنفيذ

مشروعات اقتصادية ؛ فهذا يعنى أن بريطانيا تدفع بيد وتأخذ باليد الأخرى .[1]

ويقول أحمد كسروى أن الحكومة البريطانية وافقت فى مذكرة لاحقة بعد مفاوضات طويلة على " إعادة النظر" فى المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين الطرفين البريطانى والإيرانى من قبل، والعمل على منح تعويضات عن الأضرار التى سببتها " الدول الأخرى " لإيران فى سنوات الحرب العالمية الأولى، وبذل الجهود " لتصحيح حدود إيران " فى النقاط التى يعتبرها الطرفان ضرورية وعادلة ولكن سرعان ما تراجع الجانب البريطانى عن إلتزاماته بصدد التعويضات وإلغاء المعاهدات السابقة .[2]

ويعلق على المعاهدة الدكتور عبد العزيز سليمان نوار بالآتـى : " وبصفة عامة تعد هـذه المعاهـدة من المعاهدات غير المتكافئة التي تنتج عن فرض دولة كبرى لما تريده على إحدى الدول المهيضة الجناح . أما الهدف الأساسى هو سعى بريطانيا تحويل إيـران إلى ما يشبه الدولة التابعة لها عن طريق تكبيلها بمعاهدة تفرض فيها إلتزامات قاسية على إيران .[3]

وفى تعليـق آخر للمـؤرخ ياپ YAPP ، ورد الآتى : " اعتقد أن اللورد كيرزون كان جازماً من أنه استطاع بفضل هـذه المعاهـدة أن يحقق الهـدف الأساسـى من السياسـة التى رسمـها لبلاده تجاه إيران بعد الحرب، والتى كانت تتوخى

---

1) Fatimi, N. S.; Diplomatic History of Persia . 1917 - 1923

وأيضا عبد العزيز سليمان نوار، دكتور ؛ تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث، الجزء الأول، نشر دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م، ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) أحمد كسروى ؛ تاريخ هجده ساله ايران (تاريخ آذربيجان فى ثمانية عشر عاماً)، الطبعة الثالثة، طهران ١٣٤٠ هـ . ش، ص ٨٢٥ .

(٣) عبد العزيز سليمان نوار، دكتور ؛ تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث، مرجع سابق، ص ٣٢٨ .

إيرانَ مستقرة موحدة خاضعة للنفوذ البريطانى وتلعب دور الدولة الحاجزة بين الهند وروسيا السوفييتية وتؤثر على مجرى الأمور فى الشرق الأوسط بما يتفق تمامًا مع المخططات البريطانية . [١] ومن ناحية أخرى ضمنت بريطانيا لنفسها بموجب مواد اتفاقية ١٩١٩م الإشراف على جهاز الحكم الإيرانى واقتصادها وجيشها "دون أن تتخذ على عاتقها مهمة السيطرة المباشرة على الإدارة الإيرانية " ، وعدم توريطها " فى الإلتزامات المالية على نطاق واسع " . كما ورد في مذكرة وزير الخارجية البريطانى اللورد كيرزون إلى أعضاء مجلس الوزراء البريطانى بمناسبة عقد المعاهدة . [٢]-

وفى ١٥ أغسطس ١٩١٩م أعلنت الحكومة البريطانية نص اتفاقية ١٩١٩م، وذكرت فى مقدمة البيان الذى أعلنته : " أنه بعد تسعة أشهر من المباحثات التى تمت بين الدولتين ... " [٣]، وطبقًا لذلك فيلاحظ أن الفترة التى بدأت فيها المباحثات بين الطرفين البريطانى والإيرانى كان حوالى أواخر شهر نوفمبر ١٩١٨م . وبعد هذا التاريخ بشهرين تقريبًا سافر الوفد الإيرانى إلى باريس لعرض مطالبه على هيئة عصبة الأمم ومن المسلَم به أن وثوق الدولة قد اشترك بصفته رئيسًا لمجلس الوزراء شخصيًا فى المباحثات المتعلقة بالمعاهدة . ومن ناحية أخرى أصبح واضحًا تمامًا أنه بعد إعلان المعاهدة أن نصرت الدولة فيروز كان له سهم بارز فى عقد اتفاقية ١٩١٩ م . وأن إرسال مشاور الممالك إلى باريس ليس لمخالفته

1) Yapp, M. E.; The last years of Qajar Dynasty, (Twentieth Century Iran), Op. Cit., P. 21 .
2) Documents of Britisch Foreign Policy, First Series , Vol, IV, London, 1952, PP. 1120 - 1121 .
3) Parlimentary Pqper, Agreement Between His Britannic majesty's Government and the Perisan Government (Signed at Tehran, August 9,1919) Persia No.1 (1919) Cmd - 300 .

وثوق الدولة فقط، بل كان الهدف من وراء ذلك إبعاده عن طهران حتى ينفرد بالاتفاقية ؛ لأن مشاور الممالك كان رجلاً وطنياً شريفًا ومخلصًا لبلده، وأنه كوزير للخارجية قد يخالف اتفاقية ١٩١٩م . ويرى بعض المؤرخين الإيرانيين الذين عاصروا هذه الأحداث أن مشاور الممالك كان مخالفًا تمامًا لنصرت الدولة ؛ فأرسلوه إلى أوربا كعضو فى الوفد الإيرانى فى مؤتمر الصلح ليبعده عن طهران ويأمن شرّه . [(١)]

ويؤيد وجهة النظر هذه يحيى دولت آبادى، ويقول : " حتى يتخلص وثوق الدولة من الوزراء المنافسين له، والذى يخشى معارضتهم عندما يوقع الإتفاقية ؛ فإنه وافق على ترشيح ميرزا على قلى خان مشاور الممالك لرئاسة الوفد الإيرانى المتجه إلى باريس لحضور اجتماعات عصبة الأمم، وهو حليف له . ولم يبق فى مجلس الوزراء سوى وزير الخارجية المنافس الوحيد لوثوق الدولة فى مجلس الوزراء . [(٢)] أما مهدى فرّخ فقد ذكر صراحة ما يلى : " عندما كان مشاور الممالك ينجز مهمته، كان وثوق الدولة منهمكًا فى عمل المؤامرة مع الوزير المفوض البريطانى لإعداد اتفاقية ١٩١٩م . [(٣)]

عرض الوفد الإيرانى المطالب الإيرانية على مؤتمر الصلح :

وما أن وصل أعضاء الوفد الإيرانى إلى باريس حتى سلّم رئيس الوفد الإيرانى سكرتارية مؤتمر الصلح فى قرساى بيانًا يشتمل على المطالب الإيرانية، التى

---

(١) عباس إسكندرى ؛ تاريخ مفصل مشروطيت إيران ياكتاب آرزو (التاريخ المفصل للحياة النيابية فى إيران أو كتاب آرزو)، المجلد الأول، طهران، ١٣١٣ هـ . ش، ١١٨ .

(٢) يحيى دولت آبادى : تاريخ عصر حاضر ياحيات يحيى (التاريخ المعاصر أو السيرة الذاتية ليحيى)، المجلد الرابع، نشر مكتبة ابن سينا ، طهران ١٣٣١ هـ . ش ، ص ١٠١ .

(٣) سيد مهدى فرخ ؛ خاطرات سياسى فرخ (مذكرات فرخ السياسية)، طهران ، ١٣١٨ هـ . ش ، ص ٤٢ .

حصرها فى ثلاث نقاط ومعها شرح مفصل لوجهة النظر الإيرانية فى كل مطلب من هذه المطالب، وهى :

١- إلغاء معاهدة ١٩٠٧ م المبرمة بين روسيا وبريطانيا وإلغاء الإمتيازات الأجنبية .

٢- تعويض إيران عن الخسائر التى تحملتها فترة الحرب وبسببها، وحرية العمل فى الشئون الاقتصادية، والتحرر من قيود المعاهدات الاقتصادية التى تثقل كاهل إيران .

٣- استرداد كافة الأراضى التى انتزعتها كل من روسية وبريطانيا من إيران وإعادتها إليها (١) .

وكانت حدود الأراضى المقتطعة من إيران والتى طالبت بها تبدأمن ناحية الشمال الشرقى لنهر جيحون، وأيضًا مناطق فى ما وراء النهر، التى تقع فيها مدينتا مرو وخيوه . أما من ناحية الغرب والشمال الغربى فتشمل جزءًا من آسيا الصغرى حتى حدود الفرات، وهى مناطق كردستان وديار بكر والموصل . هذا وقد أظهر فروغى عدم رضاه واستياءه بشأن ادعاءات إيران فى تلك الأراضى. وعلّق فى رسالة له بالآتى : " أنا لن أكون مخلب قط ؛ لأن هذا الإدعاء غير منطقى، وأن الشكل الذى طالبنا به كان مبالغًا فيه ... " . (٢)

وعبّر أربعة من مستشارى الوفد الإيرانى فى بيان صدر لهم عن أحقيتهم فى الاتصال بمجلس العصبة لعرض مطالبهم والسماح لأعضاء الوفد الإيرانى

1)Temperley, H.W.V.; A History of the Peace Conference of Paris, Vol, VI, London, 1923. P. 211 .

(٢) مقال " ايران درسال ١٩١٩ - مكتوبى ازفروغى - أسناد ومدراك تاريخى (إيران فى سنة ١٩١٩ - رسالة من فروغى - وثائق تاريخية) منشور بمجلة " راهمناى كتاب " الأعداد ١٠،١١،١٢ سنة ١٣٥١ هـ . ش ؛ ص ٨٣٢ - ٨٤٥ .

بذلك.[1] وقد سمح لهم فعلا . ومع هذا فإن أعضاء الوفد الإيرانى لم يجد قبولاً واهتمامًا جديًا، بل ولم يكن لهم مكان كأعضاء وفد فى المؤتمر . وطوال فترة المؤتمر عرض موضوع اشتراك إيرانى فى المؤتمر ثلاث مرات كانت تواجه جميعًا بمخالفة أعضاء الوفد البريطانى، مما اضطر عصبة الأمم إلى عدم اشتراك إيران وعرض قضيتها على العصبة .(*)

موقف بريطانيا الرافض إشتراك إيران فى عصبة الأمم :

كانت هناك حجج أثارها الوفد البريطانى لمعارضة اشتراك إيران وعرض مسألتها أثارتها فى العصبة وتناقلها الجميع حتى تضعف صوت إيران ليس فى مؤتمر الصلح فحسب، بل وفى غير المؤتمر من المحافل الدولية الأخرى، وركّزت بريطانيا على نقاط عدّة، نوردها فيما يلى :

١- أن البريطانيين كانوا لا يميلون إلى ذكر إسم إيران فى أى مناسبة، بل كان ينصب حديثهم عن خسائرهم فقط .

٢- كان ممثل الحكومة البريطانية فى طهران مشغولاً فى تلك الفترة بإجراء مباحثاته مع الحكومة الإيرانية لعقد إتفاقية ١٩١٩م، مما كان يوجب عرض إمكانية اشتراك وفد إيرانى فى مؤتمر الصلح وعرض المطالب الإيرانية حتى تحصل على شروط حسنة فى صالحها، واعتبار بنود الاتفاقية المقترحة نوع من التغيير لتحصل على السيطرة الكاملة على إيران ؛ خاصة وأن المسئولين

---

(١) عبد الحسين مسعود أنصارى : زندگانى من ونگاهى بتاريخ معاصر ايران وجهان (حياتى ورؤية فى تاريخ إيران المعاصر والعالم)، المجلد الأول، نشر مكتبة ابن سينا ، د. ن، ص ٣٣١ .

(*) كانت الهيئة الاستشارية العليا (المجلس) تتكون من أربعة رؤساء دول، هم : وودرو ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، ولويد جورج رئيس الوزراء البريطانى، وجورج كلمنصو رئيس الوزراء الفرنسى وعمانويل أورلاند رئيس الوزراء الإيطالى .

الإيرانيين قد قدّموا بعض مطالبهم، وأن الحكومة البريطانية وافقت عليها على شكل امتيازات كانت إيران قد وعدت بها لأجل عقد اتفاقية ١٩١٩م، وبذلك يكون عرض الأمر على عصبة الأمم ينفى كليةً الاتفاقية المزمع عقدها .

٣- كانت المباحثات بين المسئولين الإيرانيين والبريطانيين تجرى فى سرّية تامة؛ لإتمام بنود اتفاقية ١٩١٩ م، خاصة وأنه كان يحتمل إذاعة الاتفاقية فى إحدى المناسبات الدولية، خاصة وأن المُطَالِبَ الإيرانى فى مؤتمر الصلح قد قَبِل صراحة مقترحات ويلسون الأربعة، وهى غير مقبولة دوليا أو دبلوماسيًا، وتختلف عن أسس الاتفاقيات وعقيدة المؤتمر . (١)

وقد أدى الموقف البريطانى الرافض إلى زعزعة موقف إيران، بل ولطمة شديدة لكبريائها، واتهامها بأن بريطانيا تجرى إتفاقيات سرية خارج إطار المؤتمر، علاوة على احتمال وجوب تعليق مباحثات الاتفاقية، وإحالة قضيتها إلى محكمة العدل الدولية ؛ عندئذ تطالب دول أخرى أسهمت فى الحرب مثل فرنسا بنصيب هى الأخرى، وأنه مع عقد اتفاقية ١٩١٩م تقع فى حرج وخطر شديدين، وهى نفس المشكلة التى كانت تخشى بريطانيا منها .

واقترح مندوب إيطاليا فى ١٨ فبراير ١٩١٩م، عرض شكوى إيران والاستماع إلى تقرير الوفد الإيرانى . ولأول مرة فى جلسة المجلس الاستشارى للعشرة، وعلى أساس محتويات المذكرات السرية لأعضاء المجلس الإستشارى للعشرة وللمجلس الإستشارى العالى للأربعة فى مؤتمر الصلح فى باريس . وخالف بلفور وزير الخارجية البريطانى إقتراح عضو إيطاليا، وعلل بأن إيران لم تكن ضمن الدول المتحاربة، بل وكانت تعلن الحياد رسميًا فى كل مناسبة طوال فترة

---

(١) يحيى دولت آبادى : تاريخ عصر حاضر/ياحيات يحيى، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص ١٠٧ .

الحرب ، وطالب بأن تكون شكوى إيران خارج موضوعات المؤتمر .[١]

وفى جلسة المجلس الإستشارى العالى للأربعة المنعقد فى أبريل ١٩١٩ م، عرض ويلسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الموضوع مرة أخرى، وطالب بدراسة طلب الوفد الإيرانى . أما لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى فإنه أفاد بأن بلفور وزير الخارجية البريطانية قد حسم الأمر باعتراضه على اشتراك الوفد الإيرانى فى المؤتمر، وأبدى رغبته أن يُصرف النظر عن شكوى إيران، وإغلاق هذا الملف وعدم إثارته مرة أخرى .[٢]

وفى ٧ مايو ١٩١٩م عرض الرئيس ويلسون موضوع اشتراك الوفد الإيرانى فى مؤتمر الصلح مرة أخرى على المجلس الإستشارى العالي للأربعة ، وطلب من المجلس أن يبحث فى المطالب الإيرانية ، وأبدى تعاطفه مع الإيرانيين فى شكواهم، لكن اعترض لويد جورج رئيس الوزراء البريطانى على ذلك، وعلل بأن مشكلة تركيا لم يتم دراستها حتى الآن ، وأنه لم يتم التوصل إلى حل الموضوعات المتعلقة بالهند والقسطنطينية، وأبدى مخالفته على اقتراح ويلسون .[٣]

وعلى هذا النحو فإن الوفد البريطانى قد خالف اشتراك إيران فى مؤتمر الصلح الذى عرض مطالبه ثلاث مرات، وفى كل مرة كان الوفد البريطانى يصرّ على منع الوفد الإيرانى من الاشتراك فى مؤتمر الصلح فى باريس كعضو، ومنع دراسة المطالب الإيرانية أساساً .

1) United States. Department of States, Papers Relating to the Foreign Relations of the United States 1919: The Paris Conference, Vol. IV, P. 153 .
2) I bid ; 155 .
3) I bid ; 155 .

ويعلّل هارولد نيكلسون الدبلوماسي البريطاني الشهير وعضو الوفد البريطاني في مؤتمـر الصلح في باريس عدم قبول الوفد الإيراني أساسًا أنه يمكن للدول المحايدة الأخرى ، مثل السويد وسويسرا وهولندا المطالبة باشتراكهم في مؤتمر الصلح . وكان نيكلسون يعتقد أنه كان على الحكومة البريطانية حماية أعضاء الوفد الإيراني، وعدم طردهم بهذه الطريقة المؤلمة والمهينة للشعب الإيراني، بل وأن الوفد البريطاني في مؤتمر الصلح في باريس ارتكب خطأً جسيمًا لمخالفته اشتراك الإيرانيين في المؤتمر وعـدم عرض مطالبه . وهذا في حد ذاته يجعل كافة دول العالم تتصور أن عدم قبول الوفد الإيراني في المؤتمر يرجع إلى أنانية البريطانيين وغرورهم .[1]

موقف فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من المسألة الإيرانية :

كان تأثير الدولتين الكبيرتين اللتين اشتركتا في الحرب، ونعني بهما فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية في إيران فترة الحرب العالمية الأولى بسيطا، ولم يكونا مهتمتين بإيران إلاّ بنشاط سياسي واقتصادي وعسكري وثقافي محدود .

وكانت فرنسا حليفة بريطانيا وروسيا في الحرب العالمية الأولى، وثلاثتهم يشكلون" دول الوفاق " . أما قواتها المسلحة فكانت بعيدة عن إيـران ومستقرة في الجبهة الأوروبية واشترك الدبلوماسيون الفرنسيون في كافة المباحثات بعد الحرب لأجل تقسيم آسيا والمناطق الأخرى المفتوحة ؛ لكن لم يكن لدى الفرنسيين أدنى رغبة في اقتطاع جزءٍ من إيران ؛ لقد اشتركت قوات عسكرية فرنسية تحت قيادة الكولونيل شارديني Chardigny في كافة أحداث قوات دنيستر التي كان

1) Lesueur, E.; Les Anglais en Perse, Paris, 1921, P. 71 .

ميدان قتالها ما وراء القوقاز وآسيا الوسطى، ولم يكن هدف نشاطهم إيران .

وبعد الحرب، لم تكن فرنسا راضية عن مسلك حليفتها بريطانيا بشأن إيران، وما ذلك إلاّ أن بريطانيا لم تكن راغبة فى تقسيم نصيبها الذى خرجت به بعد الحرب مع دولة أخرى . أما الولايات المتحدة الأمريكية فإن ممثليها السياسيين كانوا يتعاملون فى بداية سنوات الحرب مع ألمانيا وحليفتيها النمسا وتركيا كتعاملهم مع دول الوفاق .(١)

وفى برقية لڤون هنتر الوزير المفوض الألمانى فى طهران، ذكر فيها أن الممثلين السياسيين لكل من ألمانيا والنمسا وتركيا قد غادروا العاصمة طهران بعد الانقلاب الفاشل السئ العاقبة الذى تم فى عام ١٩١٥م، وارتفع علم كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأسبانيا على سفارتهم .(٢)

وقد اطلع اسپرنج رايس Spring Rice السفير البريطانى فى واشنطن زميله الرورسى باخمتيف Bakhmetyev بالمعلومة التالية " كان لكالدويل Caldwell الوزير المفوض الأمريكى فى طهران صلات وطيدة مع الوزير المفوض الألمانى فى طهران . وكان هناك بين مبنى السفارتين سور واحد لحديقتى البعثتين الدبلوماسيتين، ليتمكن الوزير المفوض الألمانى ڤون أتر العيش وممارسة مهام وظيفة تحت راية الولايات المتحدة الأمريكية، وقد صارت أعماله الأخرى مبهمة " .(٣)

---

1) Yeleson, A,; United States - Persian Diplomatic Relations, 1882-1921, New Brunswich, 1956, P. 107 .

(١) سيڤيروس كوروستوڤتس ؛ العلاقات الدولية فى عصر الإمپريالية، مرجع سابق، ص ٧٤ .

(٣) المرجع السابق، ص ٧٥ .

وأيضا ذكر الوزير المفوض الأمريكي مالينج ما يلي: انه قد اسندت رعايه مصالح دولتي تركيا وألمانيا فى شمال إيران إليه، وهى المنطقة الواقعة تحت سيطرة القوات العسكرية الروسية . وكان يفكر أن زميله البريطانى سوف يوافق على هذا الإجراء الدبلوماسى الذى يعتبر موجها ضد روسيا . [١] وقد أرادت الحكومة الروسية التأكد من صحة إسناد رعاية مصالح كل من ألمانيا وتركيا فى إيران إلى الحكومة الأمريكية بأن أوضح " بريان " Bryan وزير الخارجية الأمريكية أنه لم يتحدث مع " كالدول " الوزير المفوض الأمريكى فى طهران، بل أفاد بريان أنه كلف كافة البعثات الدبلوماسية الأمريكية فى الخارج مراعاة حياد إيران . وعلى ذلك فإن تصرفات كالدول الوزير المفوض الأمريكى مع الألمان كانت تصرفات شخصية بحتة، وأن الصداقة التى كانت تربطه بفون أتر الوزير المفوض الألمانى كانت قوية بالقدر الزائد بحيث طغت على الأعمال الرسمية . وإن كان الثابت أن الدبلوماسيين الألمان استفادوا من موقع السفارة الأمريكية فى طهران الملاصق لمبنى سفارتهم ؛ ليس فقط كملجأ مطمئن للأفراد الألمان عند اللزوم، بل كمخزن للسلاح الألمانى الذى كان ينقل سرا من العراق العثمانى إلى إيران . [٢]

وذكر مارشال أنه بعد صدور القيادة الروسية باعتقال أعضاء البعثات القنصلية لدول الأعداء فى آذربيجان، اختبأ القنصل الألمانى فى تبريز فى مكان مجهول أعده له زميله الأمريكى " بادوك " Paddock . وأيضا طلبت وزارة الخارجية الأمريكية فى شهر يونيو ١٩١٥م من الحكومة الروسية عن طريق

---

(١) ميرشنيكوف؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ١٠٥ .

(٢) ميرشنيكوف؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ١٠٦ .

السفير الأمريكي في بطرسبرج إرسال قوة عسكرية إلى " أورميه " في إيران لحفظ أرواح المبشرين الدينيين الأمريكيين، وأن وزارة الخارجية الروسية ردت على السفير الأمريكي بأنها وصلتها معلومات تفيد تواجد قوات كافية في أورمية لحفظ أرواح الأهالي والأجانب المقيمين في المدينة من غارات الأتراك والأكراد . (١)

وفي سنة ١٩١٦م رأس كالدول الوزير المفوض الأمريكي في طهران " الهيئة الخيرية الإيرانية " التي شكلت لمساعدة الشعب الإيراني من كوارث الحرب والقحط والأمراض المعدية . وقام بهذا العمل الخيري المبشرون الدينيون الأمريكيون الكثيرو العدد في إيران. وكان عمل هؤلاء المبشرين الأمريكيين تطوعي في أوائل سنة ١٩١٨م لمساعدة قوات دنسترويل في إصلاح الطرق . وكان الأمريكيون والبريطانيون يقدمون وجبات الطعام للأهالي الإيرانيين الذين أسهموا في هذا العمل الخيري . وقد أشار إلى المساعدة الأمريكية الجنرال دنسترويل في كتابه عن الحرب العالمية الأولى، وأشاد بها، وذكر أيضا أن الأمريكيين في قوات دنسترويل اشتركوا في التدخل العسكري في ما وراء القوقاز .

وورد في تقرير " يزلسون " Yeselson الصادر في سنة ١٩١٨م أن تأسست في نيويورك جمعية باسم " الهيئة الخيرية الأمريكية لمساعدة إيران " . وبدأت عملها بجمع الإعانات للمتضررين الإيرانيين من كوارث الحرب في إيران . وكان نشاط هذه الهيئة الخيرية أكثر سعيا للشهرة من نشاط " الهيئة الخيرية الإيرانية " . وأرسلت الهيئة الأمريكية الخيرية الجديدة بعثة في عام ١٩١٨م إلى طهران . وقد ثبت بعد ذلك أن وظائف المسئولين فيها لم تكن

1) Marshal, W.; Memories of four fronts, Op.Cit., P. 317 .

منحصرة فى مساعدة الإيرانيين المتضررين . وقد أشار إلى ذلك الجنرال مارشال قائد الجيش البريطاني فى العراق فى كتابه " مذكرات عن جبهات القتال الأربعة " ما يلى : " وفى شهر سبتمبر وردت بغداد جماعة أمريكية أطلقت على نفسها " جمعية مكافحة المجاعة فى إيران "، وأصدرتُ تعليماتى بمساعدتها . لقد ساعدتُ هذه الجماعة، وأنا مطمئن إلى حد ما أن الهدف الأصلى لهذه الجمعية هو مساعدة فقراء الإيرانيين . ثم اتضح لى بعد ذلك أنه كان الحصول على النفط، وليس مكافحة القحط، وإن كان بعض أعضاء هذه البعثة عمل فعلا فى مكافحة القحط . أما كبار المسئولين عن الجمعية فإنهم تباحثوا مع الحكومة الإيرانية فور وصولهم إلى طهران . وفى النهاية حصلوا على امتياز بترولى فى شمال غرب إيران لشركة " استاندارد أويل " . [(١)]

أما الكاتب العراقى كمال مظهر أحمد، فإنه ذكر هذه الواقعة كالآتى : " لم يمر سوى أشهر قليلة على إبرام معاهدة ١٩٢١م بين الحكومتين الإيرانية والسوڤييتية، إلا وقد منحت الحكومة الإيرانية شركة استاندارد أويل الأمريكية حق استغلال حقول النفط الموجودة فى المناطق الشمالية بما فيها أذربيجان وجيلان ومازندران وغيرها متجاهلة بذك روح البند الثالث عشر من المعاهدة الإيرانية السوڤييتية، التى أعطت السوڤييت الحجة الرسمية للاحتجاج بشدة على القرار الإيرانى : مما أجبر الحكومة الأمريكية على التراجع عن موقفها وسحب الامتياز من الشركة الأمريكية واعتباره كأن لم يكن " . [(٢)]

ثم إن هناك واقعة تشير إلى موافقة الولايات المتحدة الأمريكية على سياسة

1) Marshal, W.; Memories of four fronts, Op.Cit., P. 317.

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور : دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢٧٤ .

بريطانيا فى إيران ؛ ذلك أنه بعد نهاية الحرب العالمية الأولى فى نوفمبر ١٩١٨م، استغلت القوات البريطانية السفن الحربية الراسية في ميناء أنزلى لاحتلال باكو وما وراء القوقاز. ورافق هذه القوات مستشاران عسكريان ؛ أحدهما أمريكى والآخر فرنسى للانضمام لقوات الجنرال طومسون . وأثناء رسو الأسطول البريطانى فى بادكوبه وعلى متنه القوات البريطانية، شوهدت أعلام بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وروسيا القيصرية ترفرف عاليا على سارية سفينة القيادة " الرئيس كروجر " . وهذا دليل على أن دول الوفاق جميعها كانت موافقة منذ البداية على احتلال بريطانيا العسكرى لأذربيجان، بل التدخل الكامل البريطانى فى إيران . (١)

موقف وثوق الدولة الإنهزامى :

وفى تلك الفترة الحالكة السواد فى تاريخ إيران وجد وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى صعوبات كثيرة تحد من مجهوده فى إتمام توقيع الاتفاقية مع بريطانيا، وقل نفوذه، وتأثرت بالتبعية مهمة الوفد الإيرانى فى باريس ؛ وما ذلك إلا أن مشاور الممالك بحكم منصبه كوزير للخارجية ورئيس للوفد المفاوض فى باريس اجتهد كثيرا فى دفاعه عن حقوق إيران كدولة والإيرانيين كشعب، وتمكن من استمالة الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا اللذين أبديا تعاطفا مع إيران، ووقوفهما على وضع إيران، وطلبها الانضمام إلى مجموعة الشعوب الحرة والمحايدة حيث ثبت للعالم أجمع ما أصاب إيران من اعتداء جيوش الدول المتحاربة ؛ مما يحق لإيران الحصول على التعويضات اللازمة واسترداد حقوقها كاملة .

---

(١) ميرشنيكوف ؛ إيران فى الحرب العالمية الأولى، مرجع سابق، ص ١٠٧ .

وفى المقابل كانت بريطانيا منهمكة فى إجراء مباحثات مع الحكومة الإيرانية لعقد اتفاقية معها لتتمكن من السيطرة على الاقتصاد الإيرانى، منتهزين فرصة أوضاع إيران غير المستقرة، وأعدوا مسودة اتفاقية قدموها للحكومة الإيرانية تجعل الشئون السياسية والاقتصادية تحت تصرفهم . ورأت الحكومة البريطانية في تواجد مشاور المالك فى منصبه كوزير للخارجية الإيرانية سوف تعرض عليه الاتفاقية، بل سيكون أحد الموقعين عليها . فأوحت بريطانيا إلى الحكومة الإيرانية تنحية مشاور المالك من عمله كوزير للخارجية، وتعيينه سفيرا فى استانبول حتى لا يكون له يد فى مؤتمر الصلح، ولا فى إعداد الاتفاقية.

ولأجل حصول وثوق الدولة رئيس الوزراء الإيرانى على مباحثات أكثر هدوءاً دون إزعاج من أى شخص فيما يتعلق باتفاقية ١٩١٩م، أعفي مشاور المالك من منصبه كوزير للخارجية، وأسند هذا المنصب إلى نصرت الدولة فيروز . وفى ذلك يقول مهدى فرخ : " ولهذا جعلوا نصرت الدولة فيروز وزيرا للخارجية حتى يوافق تماما على ما يميله عليه ولى نعمته (أى حسن وثوق الدولة) بخصوص اتفاقية ١٩١٩م .

ثم كانت هناك عراقيل من داخل إيران ضد عرض المطالب الإيرانية على مجلس عصبة الأمم ممثلة فى وثوق الدولة رئيس الوزراء وزملائه الوزراء المتعاطفين معه ورجال البلاط . أما من الخارج، فكما ذكرنا من قبل، كانت بريطانيا صاحبة النفوذ الكبير فى إيران، واجتهد أولئك وهؤلاء فى تعطيل أعمال الوفد الإيرانى المتجه إلى باريس، حتى وصل الأمر إلى إلغاء سفره مؤقتا دون إبداء الأسباب، حتى يدخل رئيس الوفد وأعضائه فى دوامة المشاكل والمصاعب تحد من فعاليته وتتعقد الأمور أكثر . والأدهى من ذلك أنه بعد وصول الوفد الإيرانى إلى باريس، أصبح حائرا

مشلول الحركة بعد عزل رئيسهم من منصبه كوزير للخارجية .[1]

وبعد بضعة أشهر من تشرد الوفد الإيرانــي فى باريس، والقيام بجهد لا طائل من ورائه للوصول إلى عصبة الأمم، عاد أدراجه دون نتيجة مرجوة، وانتهى الأمر برحيل مشاور الممالك إلى استانبول، وتوجه حسين علاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية . أما بقية أعضاء الوفد فإنه عاد إلى طهران خالى الوفاض مكسور الجناح يجر أذيال الفشل .

إتفاقية ١٩١٩م ورد الفعل الإيرانى :

أصدر اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية تعليماته إلى السير پرسى كوكس الوزير المفوض البريطانى إجراء مفاوضات مع الحكومة الإيرانية لعقد اتفاقية تضمن لبريطانيا أن تكون اليد العليا فى إيران بدلاً من مطالب الوفد الإيرانى فى مؤتمــر الصلــح فى باريس، فتم التوقيع عليها فى ٩ أغسطس ١٩١٩م فى لندن .

وكانت الاتفاقية فى الواقع عبارة عن حماية مفروضة على إيران ؛ فنشأ عن عقدها استنكار واسع النطاق بين الديمقراطيين و الوطنيين الإيرانيين، وموجة استياء شديدة بين كافة الإيرانيين . إلا أن حكومة وثوق الدولة لجأت إلى سلسلة من الإجراءات للحد من تأثير المعارضة الوطنية ؛ فأعلن الأحكام العرفية فى طهران ومنع التجول بعد الساعة التاسعة ليلا لفترة طويلة من الزمن، وأوقف النشاط الحزبى وفرض رقابة مشددة على المطبوعات وعلى تحركات العناصر الليبرالية .[2]

---

(١) يحيى دولت آبادى؛ تاريخ عصر حاضر ياحيات يحيى، المجلد الرابع، مرجع سابق، ص ١٠٢

(٢) كمال مظهر أحمد، دكتور؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢١٥

ورغم تلك القيود المفروضة من قبل حكومة وثوق الدولة على الشعب الإيرانى، إلا أن موافقة الحكومة الإيرانية ومباركة أحمد شاه ورئيس وزرائه وثوق الدولة ومعه الوزراء الموالين لبريطانيا أثار موجة احتجاج واسعة داخل إيران ؛ فقد قيّمها الإيرانيون كنوع من الحماية المقنعة لبريطانيا على بلادهم ؛ الأمر الذى لم يتنصل عنه البريطانيون، بل حاولوا إضفاء طابع دولى عليه ومعها الموالين لها، حتى أن جريدة " رعد " الصادرة فى ٢١ أغسطس ١٩١٩م، أى بعد نشر الاتفاقية بأقل من أسبوعين، ذكرت فى صدور صفحتها الأولى مقالاً صحفيا، ورد فيه ما يلى : " قررت الأربع دول الكبرى فى باريس وضع إيران تحت الحماية وجعلها جزءاً من حصة بريطانيا العظمى، بينما كان مؤتمر الصلح فى فرساى لا يزال مستمراً فى أعماله".[1]

ورغم القيود الصارمة التى فرضتها الحكومة الإيرانية على الشعب الإيرانى، إلا أن الإيرانيين عبروا عن سخطهم على الاتفاقية، واحتجوا عليها بشتى الصور ؛ فقد تفجرت مظاهرات حاشدة معادية للبريطانيين وللسلطة الرجعية الحاكمة فى كل مكان، ونشطت أقلام أبرز الشعراء فى قدْح الاتفاقية وذمها، وانتحر عدد من الضباط احتجاجاً على عقدها، ونشرت صحف المعارضة مقالات نارية ضدها وضد كل مَنْ وقف وراءها : فطالبت جريدة " ستاره " (النجمة) فى عددها الصادر فى ١٦ أكتوبر ١٩١٩م المسئولين الإيرانيين إلغاء الاتفاقية "لينقذوا بذلك شرف بلدهم" . وأيضا ألهبت جريدة " أفتاب " (الشمس) فى عددها الصادر فى ٦ نوفمبر ١٩١٩م شعور الإيرانيين، ونادت فى مقالها الأساسى " الرجال الذين بوسعهم أن ينتفضوا من أجل شرف إيران وعزتها " . وفى مثل هذه الأجواء

---

(١) مقال بقلم رئيس التحرير سيد ضياء الدين طباطبائى ، جريدة رعد فى ١٩١٩/٨/١٢م .

المعادية لم، يجرؤ أحد من الإيرانيين حتى عملاء بريطانيا الدفاع عن الاتفاقية، ولم يطالب بإمرارها سوى أعضـــاء حكومة وثوق الدولة " . [١]

ولم يكن من السهل على الحكومة البريطانية أن تتراجع بسرعـــة عن موقفها تجاه الاتفاقية ؛ ففى المذكرة السرية التى أعدتها وزارة الخارجية البريطانية فى ٢٥ يونيو ١٩٢٠م عن ما أسمته " بالمسألة الإيرانية "، وَرَد تأكيد خاص على أن " الاتفاقية الأنجلو - إيرانية لا تزال تشكل حجر الزاوية فى سياسة حكومة جلالة الملك " . كما ذكرت المذكرة السرية صراحة أن خمسة وخمســين من أعضاء البرلمان الإيرانى الموالين لبريطانيا اضطروا إلى نشر بيان أعلنوا فيه " وقفهم ضد الاتفـاقـيـة " بعد أن بدأ الناس يتحـدثون على نطـــاق واســـع عــن " تلقـيـهم الرشـــوة من البريطانيــين " من أجــل تأييدها " . [٢]

صدى اتفاقية ١٩١٩ خارج إيران :

وأثار عقد اتفاقية ١٩١٩م موجه احتجاج واسعة خارج إيران ؛ فقد شنت الصحافة الأجنبية، ولا سيما الأمريكية حملة واسعة ضد الاتفاقية البريطانية . [٣] فقد ذكرت مجلــة " THE CENTURY "الأمريكية فى عددها الصادر فى يناير ١٩٢٠م عن الاتفاقية، تقول ما يلى : " أن إيران قد انتهت "، وأن " بريطانيا هى التى جنت فوائد خروج روسيـــا من اللعبـة " : إذ نجحت السياســة البريطانية فى تصنيف إيران إلى جانب " مصر وشبه الجزيرة العربية والعراق كمحمية تابعة للإمبـراطورية البـريطانيـة " . وانتـقـد مـجلس الشـيـوخ الأمـريكى بـأسلوب لاذع

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور: دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ١٢٠ .
2)Documents on British Foreign Policy, 1919-1939, First Series Vol. VII, PP. 720 - 721 .
3)Fatemi, N.S.; Diplomatic History of Persia, OP.Cit; PP.29,54, 64.

المؤيدين للاتفاقية ؛ ففى ٤ ديسمبر ١٩١٩م طلبت الحكومة الأمريكية من وزيرها المفوض فى طهران أن يخبر الحكومة الإيرانية عن قرار الولايات المتحدة الأمريكية الرسمى برفض تقديم أى مساعدة لها احتجاجا على عقد الاتفاقية . وفعلا نشر الوزير المفوض الأمريكى فى طهران بيانًا بهذا الصدد، ورد فيه التأكيد على " أن الولايات المتحدة الأمريكية تلقت بدهشة واستغراب نبأ عقد الاتفاقية الجديدة بين بريطانيا وإيران " . وترى أن الأوساط الحاكمة فى إيران أصبحت فى غنى عن " تأييد الولاdات المتحدة الأمريكية ومساعدتها " . هذا وقد شجع بيان المفوضية الأمريكية بعض الفئات الإيرانية على التشدد فى موقفها تجاه حكومة وثوق الدولة . (١)

كذلك عارضت فرنسا بشدة الاتفاقية، وهاجمتها صحافة باريس بقسوة وانتقدتها الحكومة الفرنسية، ووقفت ضدها إلى درجة جعلت الأوساط الدبوماسية البريطانية تعتقد بأن المفوضية الفرنسية فى طهران تقف وراء بعض المظاهرات الطلابية التى قامت ضد الاتفاقية فى طهران . (٢)

أما اللورد كيرزون وزير الخارجية البريطانية، الذى كان يأمل أن يكون فى الإمكان توسيع النفوذ البريطانى دون إلزام بلاده بمسئولية الإدارة الاستعمارية المباشرة، لكنه أخطأ فى فكرته تلك ؛ إذ رفض البرلمان الإيرانى الموافقة على الاتفاقية، وأفسد على الحكومة البريطانية مخططاتها تجاه إيران، واضطرت فى النهاية إلى سحب البعثتين البريطانيتين؛ العسكرية برئاسة الجنرال ديكسون والمالية برئاسة أرميتاج سميث، ومغادرتهما إيران بعد فترة لم يعملا فيها

---

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور؛ دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ٢٠

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة .

شيئا، لكن بريطانيا لم تكن مستعدة إلى هذا الحد . والحق أن بريطانيا جريا على المبدأ البريطاني التقليدى، لم تعامل إيران باعتبارها منطقة من مناطق التوسع الاستعمارى، بل كانت تعاملها كدولة فاصلة بين الهند وروسيا . يضاف إلى ذلك أن الحكومة البريطانية قد بدأت فى تسريح جيوشها، وأن دافعى الضرائب البريطانيين كانوا يمتعضون من اضطلاع بريطانيا بإلتزامات أخرى في الشرق الأوسط . وفى نهاية عام ١٩١٩م بدأت الجيوش البريطانية الجلاء عن حدود روسيا الآسيوية تاركة القوات المناوئة للثورة البلشفية تدبر نفسها بنفسها . وفى سنة ١٩٢٠م أنقصت بريطانيا منشآتها العسكرية فى إيران، وأخيرا سحبت جيوشها تماما بين شهرى يناير وأبريل ١٩٢١م . فكان من الصعب على بريطانيا في تلك الظروف القاسية أن تنتظر من إيران المصادقة على الاتفاقية .[1]

وأخيرا لم يجد وثوق الدولة بداً إلا تقديم استقالة وزارته إلى أحمد شاه القاجارى فى ٢٣ يونيو ١٩١٩م، الذى قبلها بدوره فى اليوم التالى، وكلف مشير الدولة بتأليف الوزارة الجديدة ؛ فوافق الأخير بعد أن اجتمع بالوزير المفوض البريطانى نورمن فى ٢٥ يونيو ١٩١٩م، وبإذنٍ من الشاه . وفى هذا الاجتماع الثنائى الذى تم بين رئيس الوزراء الإيرانى الجديد والوزير المفوض البريطانى واستغرق ساعتين ونصف الساعة استعرضا خلالها تفاصيل برنامج الوزارة المقبلة، وقيّما أعضاءها فرداً فرداً . وكان مِن بين مَنْ اقترحهم مشير الدولة إثنان من القوميين البارزين، هما : مستوفى الممالك على أساس ثقة الشعب الإيرانى فيه، وتأثيره الكبير على مجريات الأمور، ومخبر السلطنة على أساس نفوذه فى آذربيجان، فوافق عليهما الوزير المفوض البريطانى بالرغم من

(١) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ١، مرجع سابق، ص ٢٢٢ .

" سجلهما الأسود فى سنوات الحرب " على حد قوله . كما ضمت وزارة مشير الدولة فى عضويتها عنصرين آخرين عرف بميولهما القومية، هما : مؤمن الملك ومصدق السلطنة والذى أصبح يعرف فيما بعد باسم الدكتور محمد مصدق .[1]

ولم تستطع وزارة مشير الدولة البقاء فترة طويلة فى الحكم بسبب مجموعة من الظروف حالت دون ذلك؛ فقبل كل شئ لم يرض عنه البريطانيون ؛ لأنها لم تتحول إلى أداة طيعة بأيديهم مثل وزارة حسن وثوق الدولة . كما منحتها الظروف الداخلية والدولية تبنى سياسة أكثر استقلالية انعكست - على سبيل المثال - فى محاولاتها للتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية رغم معارضة بريطانيا، وقيامها ببعض التغييرات فى قيادة الجيش لم ترض البريطانيين .[2] ومن الطبيعى جدا وفى مثل هذه الظروف لم تتخذ حكومة مشير الدولة أى خطوة جديدة للتصديق على الاتفاقية ؛ بينما أكد البريطانيون على أهميتها بالنسبة لسياستهم تجاه إيران فى تقرير أعدته المفوضية البريطانية وبعثت به إلى وزارة الخارجية البريطانية فى اليوم الذى قام فيه مشير الدولة بتشكيل وزارته . وشرع البريطانيون يبحثون عن رئيس وزراء لإيران صديق وبوسعه مقاومة الدعاية البلشفية .[3]

وشكل مشير الدولة وزارة ليبرالية جديدة استمرت قرابة ستة أشهر، وقدمت استقالتها إلى الشاه القاجارى فى ١٥ يناير ١٩٢١م . وأخيرا رشح الشاه رئيسا جديدا للوزارة، هو " سپهدار أعظم " الذى تردد فى قبول العرض بسبب الموقف

---

(١) كمال مظهر أحمد، دكتور ؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ١٢٢ و ١٢٤ .

(٢) حسن إعظام أقدس (إعظام الوزارة)؛ خاطرات من (مذكراتى) جـ٢، طهران ١٣٢٢ هـ . ش، ص ١٢ - ١٣ .

(٣) كمال مظهر أحمد، دكتور ؛ دراسات فى تاريخ إيران الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص ١٢٥ .

السلبى الذى اتخذه الوزير المفوض البريطانى تجاهه ؛ فظلت البلاد بلا وزارة مدة تقرب من شهر واحد . وأخيرا وافق سپهدار أعظم على تشكيل الوزارة فى ١٦ فبراير ١٩٢١م، وقدم للشاه أسماء أعضائها الذين كانوا نفس أعضاء الوزارة السابقة، وضم إليها اثنين هما ؛ وحيد الملك ومحتشم السلطنة . والأخير أسندت إليه وزارة الخارجية لرفضه أصلاً الاتفاقية وقناعته التامة عدم إمكانية إمرارها فى البرلمان الإيرانى . وعلى هذا النحو اصبحت اتفاقية ١٩١٩م بين إيران وبريطانيا والموقع عليها فى لندن " **ورقة ميتة** " .

المعاهدة السوفيتية الإيرانية :

ما لبث البلاشفة أن استأنفوا نشاطهم السياسى فى إيران ؛ فبعد احتلال باكو فى مايو ١٩٢٠م قاد الجنرال راسكولنيكوف Raskolanikov الأسطول البحوى السوفييتى وشن حملة عسكرية تعقب فيها فلول قوات روسيا البيضاء، التى كان يقودها الجنرال الروسى الأبيض دنيكوف Denikov، واشتبك معها فى ميناء أنزلى الإيرانى يوم ١٨ مايو ١٩٢٠م، وأجبر راسكولنيكوف حامية بريطانية صغيرة كانت مقيمة فى الميناء على الإنسحاب . وسرعان ما احتلت قوات الجيش الروسى الأحمر معظم الأراضى الإيرانية الواقعة بين ساحل بحر قزوين وجبال ألبرز شمالى طهران، واتصلوا بالثائر المحلى كوچك خان جنگلى، فساعدوه على أن يعلن فى رشت تشكيل جمهورية جيلان الاشتراكية . [1] فاحتجت إيران بشدة على احتلال السوفييت أراض إيرانية، وأصرت موسكو على إبقاء الجيش الأحمر فى المناطق الإيرانية المحتلة طالما كانت الجيوش البريطانية باقية فى إيران تتخذها قاعدة للاعتداء على الأراضى السوفييتية .

---

(١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٩٠ .

وفى مؤتمر الشعوب الشرقية المنعقدة في باكو فى الأول من يوليو ١٩٢٠م بمبادرة من الكومينتيرم وبحضور لينين، ارتفع صوت اليسار الشرقى ممثلا فى الوجود الإيرانى فى المؤتمر ؛ فقد بلغ عدد الإيرانيين الذين حضروا مؤتمر شعوب الشرق مائتين وأربعة، ليحتلوا بذلك المرتبة الرابعة عدديا ما بين القوميات والطوائف الخمس والأربعين الممثلة فى المؤتمر . ولم تكن مجرد صدفة أن قامت الطائرات الحربية البريطانية بقصف السفينة التى كانت تقل الوفد الإيرانى فى عرض بحر قزوين، وهى متجهة إلى باكو على الساحل الشمالى مما أدى إلى قتل اثنين من أعضاء الوفد الإيرانى وجرح عدد آخر .

وبينما كان البريطانيون مصممين على عدم التخلى نهائيا عن مركزهم فى إيران كان السفير الإيرانى مشاور الممالك يفاوض شيشرين Chicherin فى موسكو لعقد معاهدة بين البلدين، استمرت المفاوضات بين الطرفين على الرغم من كثرة الصعوبات .

ولم يجد الاتحاد السوفييتى سوى القيام من جانبه بمبادرة سريعة لتصحيح الأوضاع التى نجحت عن تأييده العلنى لميرزا كوچك خان جنگلى، فأرسل وكيل وزارة الخارجية السوفييتية ليون قرة خان Leon Karakgan إلى طهران لإجراء مباحثات مع المسئولين الإيرانيين وتأكيد صداقة السوفييت للإيرانيين والحكومة الإيرانية . وقد تمكن ليون قره خان بعد ستة أشهر من المفاوضات من إبرام معاهدة صداقة ومودة بين إيران والاتحاد السوفييتى فى السادس والعشرين من فبراير ١٩٢١م . وكان الاتحاد السوفييتى حريصا على عقد تلك المعاهدة لضمان التعاون مع جاراته الجنوبية : إيران وتركيا وأفغانستان . وكان يرى أن عقد مثل هذه المعاهدات مع هذه البلاد من شأنه وضع حد للإنعزال

الدبلوماسى السوفييتى، ويعد نصراً على الاستعماريين الغربيين فى آسيا والشرق الأوسط . [1]

وأثبتت المعاهد السوفييتية الإيرانية ما أعلنه السوفييت فى السابق من إلغاء الامتيازات الروسية القديمة والممتلكات، وعبرت بطرق عديدة عن صداقة السوفييت للشعب الإيرانى بعكس الاتفاقية البريطانية التى كبلت الشعب الإيرانى، ونصت أهم بنود المعاهدة على الآتى :

- عدم تدخل أى من الجانبين فى الشئون الداخلية للجانب الآخر.
- تؤكد روسيا السوفييتية إلغاء كافة المعاهدات والاتفاقيات المفروضة من جانب الحكومة القيصرية على إيران، مع ما يرتبط بها من امتيازات مختلفة وقروض وفوائد وممتلكات الدولة القيصرية فى إيران بما فى ذلك بنك الائتمان الروسى .
- إعادة حق إيران فى الملاحة فى بحر قزوين .
- تتعهد إيران بالمقابل عدم منح مثل هذه الامتيازات والمؤسسات لدولة ثالثة ممثلة بمصالحها الرسمية أو شخصيتها المعنوية أو مواطنيها .
- تلتزم إيران عدم السماح لطرف ثالث إقامة قواعد ومؤسسات فوق أراضيها، يكون من شأنه تهديد أمن الاتحاد السوفييتى . أما إذا عجزت إيران عن إبعاد خطر كهذا " يحق للحكومة السوفييتية نقل قواتها إلى الأراضى الإيرانية واتخاذ " الإجراءات العسكرية الضرورية "للحافظ على أمنها وسلامتها.

---

(١) جورج لنشوفسكى : الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، جـ١ ، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

ونظرة إلى مواد هذه المعاهــدة التى استعرضنا أهم بنودها نجد أن أغلبهـا فى صالح إيران ؛ فقد كانت قيمة الممتلكات والمؤسسات التى تنازل عنها الجانب السوفييتى بدون مقابل يزيد على مائة مليون روبل ذهبا . كما أن عودة حرية الملاحة فى بحر قزوين إلى إيران، والتى حرمت منها سنوات طويلة بموجب بند ورد فى إحدى المعاهدات الروسية الإيرانية المبرمة قبل الحرب العالمية الأولى . أما ما كسبه الاتحاد السوفييتى من هذه المعاهدة هو أن المادة السادسة منها احتفظت بالحق للاتحاد السوفييتى فى تعبئة الجـيوش ونقلهـا إلى الأراضى الإيرانيـة فى حالة ما إذا أصبحت إيران قاعدة للاعتداء على السوفييت .

ميرزا كوچك خان وجمهورية جيلان الإشتراكية:

أصبحت ثورة أكتوبر الاشتراكية نقطة تحول مهمة بالنسبة للنضال التحررى فى المناطق التى كانت تشغلها القوات الروسية من تبريز وأردبيل وغيرها من مدن آذربيجان، تهيأت ظروف أنسب للتحرك السياسى الآذربيجانى فى ظل ظروف الضعف الشديد والانحلال الكبير الذى كانت تعانى منه السلطة المركزية فى طهران، وقد رافقه تحول فكرى ملموس طرأ على التوجهات السياسية للأوساط المتطرفة الآذرية ؛ فقد رفع الحزب الديمقراطى الآذربيجانى شعار تأسيس نظام اشتراكى ودعا إلى اشتراك الجماهير فى تسيير دفة الحكم . (١)

ورغم التدابير الودية التى قدمتها روسية السوفييتية وقعت أحداث جعلت الكثير من الإيرانيين يشكون فى نوايا وإخلاص ما كان يبدو من السوفييت من أعمال وما ذلك إلا أن السوفييت وجدوا فى التواجد البريطانى فى إيران مصدر تهديد كبير لدولتهم ؛ لذلك حاولوا أن يكونوا رقباء على البريطانيين فى إيران، وخلق

1) Fatimi, N. S,' Diplomatic History of Persia 1917 - 1923, Op. Cit., P. 250 .

زعامات إيرانية جديدة تسير على مبادئهم ونظامهم السياسى . وانتهزوا فرصة قيام أحد زعماء الثورة الدستورية، ميرزا كوچك خان جنكلى على الحكومة المركزية والشاه القاجارى الموالى للبريطانيين، وأرسلوا له مندوبين عرضوا عليه المساعدة، واستطاع ميرزا كوچك خان بمعاونة سوفييتية القيام بحركة ثورية انفصالية ضد الحكومة المركزية في إقليم جيلان وتمكن من تشكيل حكومة اشتراكية، ودعا كافة الأقاليم الإيرانية الاقتداء به واعتناق المذهب الاشتراكى والتخلص من النظم البالية العتيقة والأوضاع الاجتماعية المنهارة، وخلق إيران الحديثة التى لا تعتمد على العبودية والسيطرة الاقطاعية البشعة والنفوذ الدينى البغيض الذى لا يساير روح العصر مما لا يقره الدين والحرية، واقتباس النظم العصرية فى الغرب التى تلائم الحياة الإيرانية وتنظيم أداة الحكم والنهوض بالشعب حتى يأخذ نصيبه من الحياة الكريمة، وإباحة التعليم وجعله إلزاميا . وبذلك تعد ثورة ميرزا كوچك خان فى جيلان ثانى ثورة إشتراكية فى العصر الحديث . وكان ميرزا كوچك زعيما وطنيا، ظهر فى بداية حياته كشخصية سياسية تناوئ التدخل الأجنبى فى بلده، وطالب بالدستور والقضاء على النظام الاستبدادى الرجعى القائم فى طهران والاطاحة بالقائمين عليه . كما كان مشهورا بصدق ثوريته ووطنيته وحسن نيته واعتداده بنفسه وحسن سلوكه وقوة شخصيته وتدينه . وعند حاول ميرزا كوچك خان تطبيق المبادئ التى نادى بها عمليا، وجد نفسه مضطراً إلى طلب العون من جيرانه السوفييت الذين ساعدوه وأيدوه تأييدا كاملاً ومطلقا، وانتهت محاولته بالنجاح، واستطاع تشكيل جمهورية اشتراكية فى جيلان فى شهر يوليو ١٩٢٠م . ولم يستطع البريطانيون عمل أى شئ تجاه ثورة جيلان الاشتراكية ؛ لكنهم خشوا امتدادها إلى بقية الولايات الإيرانية الأخرى من ناحية، ووصولها آخر الأمر إلى شبه القارة الهندية التى كانت قد ظهرت فيها قيادات

زعامات مناوئة للحكم البريطاني من ناحية أخرى . ولم تجد بريطانيا إزاء ذلك سوى حث الحكومة الإيرانية على عمل أي شئ قد يطيح بجمهورية جيلان الاشتراكية بعد اقتناعها بخطورة الموقف . وهنا تحركت الحكومة الإيرانية بعد أن أخذت الضوء الأخضر من بريطانيا، واعترضت على التدخل السوفييتى فى شئونها الداخلية بتأييدها المنشقين ومدهم بالمال والسلاح . وتم ذلك على شكل احتجاجات متكررة، ولم يلق صوتها الضعيف آذانا صاغية ؛ وإن كانت الحكومة المركزية قد تمكنت من إعداد حملة عسكرية استطاعت أن تفاجئ قادة النظام الاشتراكى الجديد فى جيلان، وتحرز فى النهاية على انتصارات حاسمة على قوات ميرزا كوچك خان وتهزمه، مما أدى إلى فراره من عاصمته رشت ولجوئه إلى قمم الجبال واستقراره فى المغارات والغابات على أمل معاودة الكرة مرة أخرى .

ولم يتصرف الاتحاد السوفييتى إزاء موقف حليفه المنهزم بأكثر من تأييد معنوى ؛ فقد غطت عليه وسبقته الدعايات البريطانية معلنة أن المسئولين البريطانيين يرون فى الخلاف الناشب بين مرزا كوچك خان والحكومة المركزية الإيرانية إنما هو خلاف داخلى لا يجوز لأى دولة التدخل فيه، وأنه خلاف محلى لا يؤثر على السلام والأمن الدولى وناشدت بريطانيا دول العالم أن تقف بجانب الحكومة المركزية الإيرانية حتى يتجنب الشعب الإيرانى ويلات الحروب الداخلية، ويشيع الخراب والدمار . وفى نفس الوقت قدمت بريطانيا للجيش الإيرانى عتاداً حربيا وأسلحة متطورة كانت فى مخازنها فى إيران والعراق لم تستعملها أثناء الحرب العالمية الأولى .

ورغم العداء الشديد بين البريطانيين والسوفييت، الذى أصبح تقليديا فيما بعد، فإن الاتحاد السوفييتى أيد بريطانيا فى موضوع عدم التدخل فيما يجرى

من أحداث في الدولة الإيرانية، وتصورت أن إيران عاجزة عن حماية الأمن ونشر الأمان في طهران، وبالتالي لن تستطيع عمل أي شئ تجاه جمهورية جيلان الاشتراكية . ثم مفاجأتها بالقضاء على الجمهورية الوليدة وتشتيت أنصارها والقضاء عليهم أمام سمعها وبصرها .[1]

نهاية المرحلة :

وفي عام ١٩٢١م فتحت صفحة جديدة في التاريخ الإيراني ؛ ذلك أنه بينما كان البريطانيون يخططون لصالحهم، تهيأت ظروف لظهور شخصيتين كان على عاتقهما تغيير الأوضاع كلية في إيران ؛ أحدهما رضا خان ؛ ذلك الضابط العصامي الذي أحرز انتصارات ساحقة على المتمردين وقطاع الطرق، وتمكن بشدته وصرامته وحسن إدارته قيادة لواء القوزاق الإيراني الشمالي الذي أشيع عنه أنه لن يستمر طويلا بعد انسحاب قادته الروس، والآخر صحفي شاب وطني ثائر، وإن كان يميل إلى البريطانيين هو السيد ضياء الطباطبائي، الكاتب الناقد ورئيس تحرير جريدة " رعد " .

وانتهز رضا خان فرصة الفوضى التي نشبت في قيادة القوزاق في طهران، وعجز القادة الإيرانيين الذين حلوا محل الضباط الروس من السيطرة على القيادة وزعامة القوزاق واختلافهم فيما بينهم ؛ فحقق رضا خان رغبة الشعب الإيراني، حيث قاد لواء القوزاق الشمالي من قاعدته قزوين الواقعة شمالي طهران في ٢١ فبراير ١٩٢١م، وتقدم على رأس قواته البالغة ثلاثة آلاف ودخل بهم طهران فجر ذلك اليوم . وقام بأول انقلاب عسكري في إيران والشرق الأوسط؛ قاده ضياء

---

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمي، دكتور ؛ تاريخ إيران السياسي في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٣٧ .

الدين الطباطبائى سياسيا ورضا خان عسكريا، ونجح الانقلاب دون إراقة الدماء .
وتبع ذلك سقوط الوزارة الضعيفة التى كان يرأسها سپهدار أعظم رشتى التى لم تستمر فى الحكم سوى أيام معدودات، ودشن بداية تحول سياسى فى تاريخ إيران إكتمل بالإطاحة بالأسرة القاجارية وتأسيس الأسرة البهلوية . وشغل سيد ضياء الدين الطباطبائى منصب رئيس الوزراء وأصبح رضا خان وزيرا للحربية، ولقب باسم " سردارسپه " (أى قائد الجيش) وكان أول شئ أقدم عليه رئيس الوزارة الإيرانية الجديدة، أن أصدر بيانا أعلن فيه إلغاء الاتفاقية الإيرانية البريطانية، التى تم توقيعها فى سنة ١٩١٩م .

وبعد خمسة أيام من حدوث الانقلاب، تم توقيع معاهدة الصداقة والمودة بين إيران والاتحاد السوڤييتى، والتى كانت مباحثاتها قد بدأت قبل ذلك ببضعة أشهر، وانهيار حكومة ميرزا كوچك خانه كلية بعد أن قاد رضا پهلوى سردار سپه بنفسه حملة عسكرية قضى على الجنكليين فى معركة فاصلة، قتل فيها ميرزا كوچك خان . وتمكن رضا خان من عزل السلطان أحمد شاه القاجارى، الملك الضعيف المتردد، واعتلى العرش الإيرانى ووضع التاج على رأسه بنفسه تقليداً لنابليون إمبراطور فرنسا . فعرف باسم " رضا شاه پهلوى - شاهنشاه إيران " في سنة ١٩٢٥م .

أما أحمد شاه الملك القاجارى فإنه رحل إلى فرنسا على أمل استرداد عرشه بتصاريح جوفاء، لكنه لم يمكث طويلا فى غربته، حيث توفى في إحدى المستشفيات القريبة من باريس فى ٢٦ فبراير ١٩٣٠، وهو فى الثانية والثلاثين من عمره بعد أنه ترك ولداً وبنتين . أما زوجته فقد طلقت منه وعادت إلى بلدها . وطبقا لما ذكرته الصحف أنه كان يملك ثروة تقدر بخمسة وسبعين مليون فرنك .(١)

(١) محمد عبد الوهاب قزوينى: ياد داشتهاى قزوينى(مذكرات القزوينى)، تحقيق ايرج أفشار، الجزء الثامن، نشر جامعة طهران، ١٣٤٥ هـ . ش ، ص ٥٢٥ .

فهرس المراجع

أولا : المراجع الفارسية والعربية :

أ- الكتب :

١- إبراهيم تيمورى ؛

عصر بى خبرى يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٢٢هـ . ش .

٢- إبراهيم صفائى ؛

رهبران مشروطــه، مطبهة شرق، طهران، ١٣٣٤ هـ . ش .

٣- أحمد تاج بخش، دكتور ؛

تاريخ روابط ايران وروسيه درنيمه أول قرن نوزدهم، مكتبة چهر، تبريز، ١٣٣٧ هـ . ش .

٤- أحمد عبد القادر الجمال، دكتور ؛ من مشكلات الشرق الأوسط، الطبعة الأولى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م .

٥- أحمد على سپهر (مؤرخ الدولة) ؛

ايران درجنك بزرك ١٩١٤ - ١٩١٨م ، طهران، ١٣٣٦ هـ . ش .

٦- أحمد كسروى ؛

تاريخ هيجده سالة آذربيجان، الطبعة الثالثة، طهران، ١٣٤٠ هـ . ش .

٧- أمير جيلان شاه، اعتماد همايون ؛

يك وپنجاه سال سلطنت در ايران، مطبعة مسعود سعد، طهران، ١٣٤٠ هـ.ش.

٨- بهمان نيرومند ؛

إيران : الإمبريالية الجديدة فى العمل، ترجمة عدنان الغول، مراجعة الدكتور عبد القادر ياسين، نشر دار الكتب، بيروت، ١٩٨١م .

٩- بيڤانون وفيدوسوف ؛

تاريخ الاتحاد السوڤييتى، ترجمة خيرى الضامن، نقولا الطويل، نشر دار التقدم، موسكو، الاتحاد السوڤييتى، بدون تاريخ .

١٠- توماس أ. بريستون ؛

العلاقات الدبلوماسية الأمريكية مع الشرق الأوسط من ١٧٨٤ إلى ١٩٥٧م، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، دمشق، ١٩٨٥م.

١١- جاد طه ؛

إيران وحتمية التاريخ، ضمن مجموعة كتب سياسية، نشر الدار القومية للطباعة والنشر، العدد ٢٤٣، القاهرة .

١٢- جرانت ، أ . ج . و هارولدتمبرلى ؛

أوروبا فى القرنين التاسع عشر والعشرين (١٧٨٩ - ١٩٥٠م) - الجزء الثانى، ترجمة محمد على أبو درة ولويس إسكندر، مراجعة الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، نشر مؤسسة سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٧م.

١٣- جورج لنشوڤسكى ؛

الشرق الأوسط فى الشئون العالمية، الجزء الأول، ترجمة جعفر خياط، ومراجعة الدكتور محمود حسين أمين والدكتور إبراهيم أحمد السامرائى، نشر مكتبة دار المتنبى بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد

- نيويورك، ١٩٦٤م .

١٤- حبيب الله مختارى (مختار السلطنة) ؛

تاريخ بيدارى ايران ، مطبعة الجامعة، طهران ١٣٢٦ هـ ش ١٩٤٧م .

١٥- حسن إعظام أقدس (إعظام الوزارة) ؛

خاطرات من (مذكراتى)، الجزء الثانى، طهران، ١٣٢٢ هـ . ش .

١٦- حلاج ، م ؛

تاريخ نهضت ايران (تاريخ النهضة الإيرانية)، طهران، ١٣١٢ هـ . ش / ١٩٣٢م .

١٧- خان ملك ساسانى ؛

دست پنهان سياست انگليس درايران (اليد الخفية للسياسة الإنجليزية فى إيران)، نشر مؤسسة اسپندار، طهران، بدون تاريخ

١٨- خليل اسماعيل بيگ ؛

تاريخ مختصر ايران ازآغاز تاپهلوى، مطبعة كوروش، شيراز، إيران، ١٣٤٨ هـ.ش .

١٩- رضا قلى قائم مقامى ؛

وقايع غرب ايران درجنگ أول جهانى (أحداث غرب إيران فى الحرب العالمية الأولى)، الطبعة الأولى، مطبعة فروردين ، أراك، إيران ، بدون تاريخ .

٢٠- سايكس، پرسى ؛

تاريخ إيران، ترجمهُ إلى الفارسية محمد فخر داعى الجيلانى، الجزء الثانى، طهران، ١٣٣٣ هـ . ش .

٢١- سيڤيروس كوروستوڤتس ؛

العلاقات الدولية في عصر الإمپريالية، كتاب روسي مترجم إلى الفارسية ، طهران، ١٣٣٣ هـ . ش .

٢٢- صلاح العقاد، الدكتور ؛

التيارات السياسية فى الخليج العربى، نشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م .

٢٣- عباس اسكندرى ؛

تاريخ مفصل مشروطيت ايران يا كتاب آرزو، المجلد الآول، طهران، ١٣١٢ هـ . ش .

٢٤- عباس اقبال آشتيانى ؛

تاريخ إيران بعد الإسلام : من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية، نقله عن الفارسية دكتور محمد علاء الدين منصور، مراجعة دكتور السباعى محمد السباعى، نشر دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٢٥- عبد الحسين مسعود أنصارى ؛

زندگانى ونگاهى بتاريخ معاصر ايـــران وجهـان (حياتى ونظرة إلى تاريخ إيران المعاصر والعالم)، المجد الأول، نشر مكتبة ابن سينا، بدون تاريخ .

٢٦- عبد السلام عبد العزيز فهمى، دكتور ؛

تاريخ إيران السياسى فى القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣م.

٢٧- عبد العزيز سليمان نوار ، دكتور ؛

تاريخ الشعوب الإسلامية فى العصر الحديث، الجزء الأول، نشر دار النهضة العربية، بيروت. ١٩٧١م .

٢٨- عبد الله بهرامى ؛

تاريخ اجتماعى وسياسى ايران از زمان ناصر الدين شاه تا آخر سلسلة قاجاريه، نشر مكتبة سنائى، طهران، ١٣٤٤ هـ . ش.

٢٩- عبد الله شاملوئى ؛

تاريخ ايران : از ماد تاپهلوى، نشر مكتبة صفى على شاه ، مطبعة كاويان، طهران، ١٣٤٧ هـ .ش .

٣٠- عبد الله مستوفى ؛

شرح زندگانى من، يا تاريخ اجتماعى واداري دوره قاجاريه، ثلاث مجلدات، طهران، ١٣٤٣ هـ . ش .

٣١- على أصغر شميم ؛

ايران در دوره سلطنت قاجار - قرن سيزدهم ونيمة أول قرن چهاردهم هجرى قمرى، نشر مكتبة ابن سينا، طهران، ١٣٤٢ هـ . ش .

٣٢- فريدريك تالبرج ؛

من كوروش حتى پهلوى، نشر جامعة پهلوى، شيراز، طهران، بدون تاريخ .

٣٣- فيشر ، هـ . أ . ل ؛

تاريخ أوروبا فى العصر الحديث، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، الطبعة الخامسة، نشر دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٤م .

٣٤- كارل بروكلمان ؛

تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة السابعة، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٧م .

٣٥- كاروتكوفا ؛

حياد إيران، رسالة جامعية بالروسية، مترجمة إلى اللغة الفارسية، من جامعة موسكو، ١٩٧٦م

٣٦- كمال مظهر أحمد، دكتور ؛

دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، بغداد، ١٩٨٥م .

٣٧- كورسون ؛

جنگ جهـانی در جبهـه قوقاز (الحرب العالمية في جبهة القفقاز)، كتاب روسى مترجم إلى اللغة الفارسية، طهران، ١٣٣٩ هـ . ش .

٣٨- كيرزون، لورد ؛

ايران ومسئله ايران، ترجمةُ إلى الفارسية على جواهر كلام، الطبعة الثالثة ، نشر مكتبة ابن سينا، طهران، ١٣٤٧ هـ . ش .

٣٩- لسان الملك، ميرزا محمد تقي ؛

تاريخ التواريخ، تحقيق جها نگير قائم مقامى، طهران، ١٣٢٧ هـ . ش .

٤٠- محمد تقي بهار (ملك الشعراء) ؛

تاريخ مختصر احزاب سياسى، المجلد الأول، طهران، ١٣٢٣هـ . ش .

٤١- محمد حافظ غانم، دكتور ؛

الأصول الجديدة للقانون الدولى العام، الطبعة الثالثة، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٥م .

٤٢- محمد على الداود، دكتور ؛

الخليج العربى والعلاقات الدولية، الجزء الأول (١٨٩٠ - ١٩١٤)، نشر دار المعرفة، القاهرة، بدون تاريخ .

٤٣- محمود شاكر ؛

ايران، الكتاب رقم ١٣ من مجموعة مواطن الشعوب الإسلامية فى آسيا، نشر المكتب الإسلامى، الكويت ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

٤٤- مهدى فرخ، سيد ؛

خاطرات سياسى فرخ ، طهران، ١٣١٨ هـ . ش .

٤٥- ميرشنيكوف، ل . ى . ؛

ايران درجنگ جهانى أول ؛ كتاب روسى ترجمهٔ إلى الفارسية ع . دخانياتى، الطبعة الأولى، طهران، ١٣٤٤ هـ . ش .

٤٦- يحيى دولت آبادي ؛

تاريخ عصر حاضر، يا حيات يحيى، المجلد الرابع، نشر مكتبة ابن سينا، طهران، ١٣٣١ هـ . ش .

ب- دوائر المعارف :

٤٧- دائرة المعارف الإسلامية ؛ الترجمة العربية، مادة " أنور باشا "، جـ ٥ طبعة دار الشعب، القاهرة .

٤٨- لغت نامه دهخدا (دائرة معارف إيرانية)، نشر جامعة طهران، إيران، مواد متفرقة .

جـ وثائق :

٤٩- الوثائق السياسية الخارجية للاتحاد السوفييتي، ملف رقم ١

٥٠- الأرشيف المركزي لدولة جورجيا .

د- صحف و مجلات :

٥١- مجلة دنيا؛ مقال " قزاقخانه ايران "، بقلم سپهبد أمان الله جهانباني، السنة الثامنة عشر، طهران، ١٣٤١ هـ . ش ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

٥٢- مجلة راهنماى كتاب ؛ مقال "ايران درسال ١٩١٩ - مكتوبى ازفروغى - أسناد ومدارك تاريخى"، الأعداد ١٠& ١١& ١٢، سنة ١٣٥١ هـ . ش.

٥٣- جريدة " رعد "، مقال افتتاحى بقلم رئيس التحرير سيد ضياء الدين طباطبائى فى ١٩١٩/٨/٢١ .

٥٤- جريدة " يغما " نص خطاب فروغى فى مؤتمر الصلح فى باريس سنة ١٩١٩، العدد الأول، السنة السادسة عشر، طهران، ١٣٤٢ هـ . ش (مارس ١٩٦٣) .

ثانيا المراجع الأوروبية :

A) **Bookes** :

55) Allen, W.D & muratuff ;

Caucasian Battlefields . A history of The Wars on The Turco - Caucasian border 1828 - 1921 ,

56) Brown, E.G. ;

The Persian Revolution, 1905 - 1908, London, 1910 .

57) Churchill, W.S. ;

The world Crisis, The Aftermarth, London, 1932

48) Cyrson, Hon. George N. ;

Persia and the Persian Quetion, 2 Vols, London, 1892 .

59) Dickson, W.E.R. ;

East Persia, A Backwater of the Great War, 2 nd edit., London, 1956 .

60) Fatimi, N.S. ;

Diplomatic History of the Persia, 1917 - 1923, New York, 1952 .

61) Frye, R.N. ;

Iran, london, 1954 .

62) Lencvowski, George ;

Russia and the west in Iran, 1918-1948, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1949 .

63) Lesueur, E. ;

Les Anglais en Perse, Paris, 1921 .

64) Marchal, W. ;

Memories of four fronts, London,1934.

65) Nicolson, Harold ;

Curzon : The last face 1919 - 1925 .

A study in Past War Diplomacy, 2nd edit., London, 1954 .

66) Oskar von Neidermeyer ;

Unter der Glustonne Iran, Dachav bei münchen, 1952 .

67) Ramazani, Rouhollah K. ;

The Foreign Poliey of Iran . A Developing in world Affairs, Virginia, 1966.

68) Shuster, W.morgan ;

The Strangling of Persia, New York,1912.

69) Skrine,G. ;

World War in Iran, London, 1961.

70) Syked, Christopher ;

The German Lawrence : Wassmuss,

Leipzig, 1937.

71) Sykes, Percy ;

A History oh Persia, Vol. II, 3d ed, Londen, Cambridge, 1953 .

72) Temperley, H.W.V. ;

A History of Peace Conference of Paris, vol, VI,

Londen, 1932 .

73) Upton, J.M. ;

The History of modern Iran, An Interpretation, Cambrige, mass. 1956.

74)Yapp , M. E.;

The Last years of Qajar Dynasty (Twentieth Century Iran), New York, 1977.

75) Yeleson , A.;

United States -Persian Diplomati e Relations,1882-1921,NewBrunswich,1956.

76) Zonis, M . ;

The Political Life of Iran, Princeton, 1971.

B) **Documents** :

77) Documents of British foreign Policy, 1919-1939, First series, Vol, IV 1919, London, 1925 .

78) History of the Great war based on official documentes . The Campaign in mesopotamia, vol1, 1923 .

79) United States Department of State, Papers Relating to the foreign Relations of United States 1919 : The Paris Peace Conference, vol.1 .

فهرس الموضوعات :

ومناطق من الأناضول - موقف الحكومة الإيرانية - اشتداد المعارك الحربية في الجبهة الآسيوية - الموقف الإيراني إزاء تطور الأحداث - اتفاقية ١٩١٥م السرية وتقسيم إيران للمرة الثانية - تشكيل قوات خط شرق إيران - محاولة إيران اثبات وجودها - تكثيف النشاط الألماني في إيران - نشاط الأمير ڤون روس في طهران - الجاسوس الألماني نيدرماير - الجاسوس الألماني واسموس - التحرك البريطاني لمواجهة هجمات الآلمان في جنوب إيران - الكولونيل پوپ ورئاسته البعثة العسكرية الألمانية الإيرانية الإرهابية - إنحياز قوات الدرك الإيرانية إلى الألمان - ألمانيا تكثف نشاطها وتلقى بآخر ورقة في جعبتها - رد الفعل الروسي تجاه النشاط الألماني - تشكيل حكومة وطنية في قم - تطور عمليات القتال بين القوى الوطنية وقوات دول الوفاق .

المرحلة الثانية : تمهيد - تغيير موقف الحكومة الإيرانية وميلها إلى دول الوفاق - وقوف الألمان والأتراك في وجه الروس وإثارتهم الأهالي - ثورة ميرزا كوچك خان جنگلي في جيلان. القضاء على الوطنيين المناوئين لألمانيا في قم - نظرة الإيرانيين إلى وثوق الدولة - قوة بنادق جنوب فارس - القوات الروسية تنقل عملياتها العسكرية إلى العراق العثماني - موقف الحكومة الإيرانية من أحداث عام ١٩١٦ - العمليات التركية في إيران خلال عام ١٩١٦ - العمليات العسكرية البريطانية في عام ١٩١٧ - تجدد القتال وتفوق الأتراك - قيام الثورة في روسيا والإطاحة بالحكومة القيصرية - إحتلال الأتراك تبريز - الثورة البلشفية وأثرها على سير المعارك في إيران - إعلان الحكومة السوڤييتية - إنهاء العمليات العسكرية في إيران .

المرحلة الثالثة : تمهيد – موقف بريطانيا من تطور الأحداث فى إيران – بريطانيا تضم إيران إلى منطقة نفوذها – رد الفعل الإيرانى إزاء المذكرة البريطانية – اشتباك قوة شمال إيران البريطانية مع السوفييت – الأحداث العسكرية التى تمت فى عام ١٩١٨ – بريطانيا تنفرد بالسيطرة على إيران – السوفييت ينشرون المعاهدات السرية ويسقطون الامتيازات عن إيران – حذر الحكومة الإيرانية فى تعاملها مع السوفييت – نهب مقر البعثة الدبلوماسية السوفييتية فى طهران .

الباب الثالث : إيران بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٩ – ١٩٢٥:

الصراع البريطانى السوفييتى – رد الفعل السوفييتى على تدمير قاعدتهم وقتل أفرادها – الحالة السياسية والاجتماعية فى إيران بعد الحرب – إيران تعرض مشكلتها على عصبة الأمم – ما عرضته الحكومة الإيرانية على مؤتمر ڤرساى – لجوء إيران إلى الولايات المتحدة الأمريكية – بريطانيا تعرض على إيران توقيع اتفاقية ١٩١٩ – عرض الوفد الإيرانى المطالب الإيرانية على مؤتمر الصلح – موقف بريطانيا الرافض إشتراك إيـران فى عصبـة الأمم – موقف فرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من المسألة الإيرانية – موقف وثوق الدولة الانهزامى – اتفاقية ١٩١٩ ورد الفعل الإيرانى – صدى اتفاقية ١٩١٩ خارج إيران – المعاهدة السوفييتية الإيرانية – ميرزا كوچك خان وجمهورية جيلان الاشتراكية .

رقم الايداع

٩٨ / ١٦٠٩٠

الترقيم الدولى . I . S . B . N

977 - 4 - 1551 - X



السلطان مظفر الدين شاه



محمد علي شاه و على رأسه التاج القاجاري



السلطان أحمد مرزا ولي العهد قبيل اعتلائه العرش



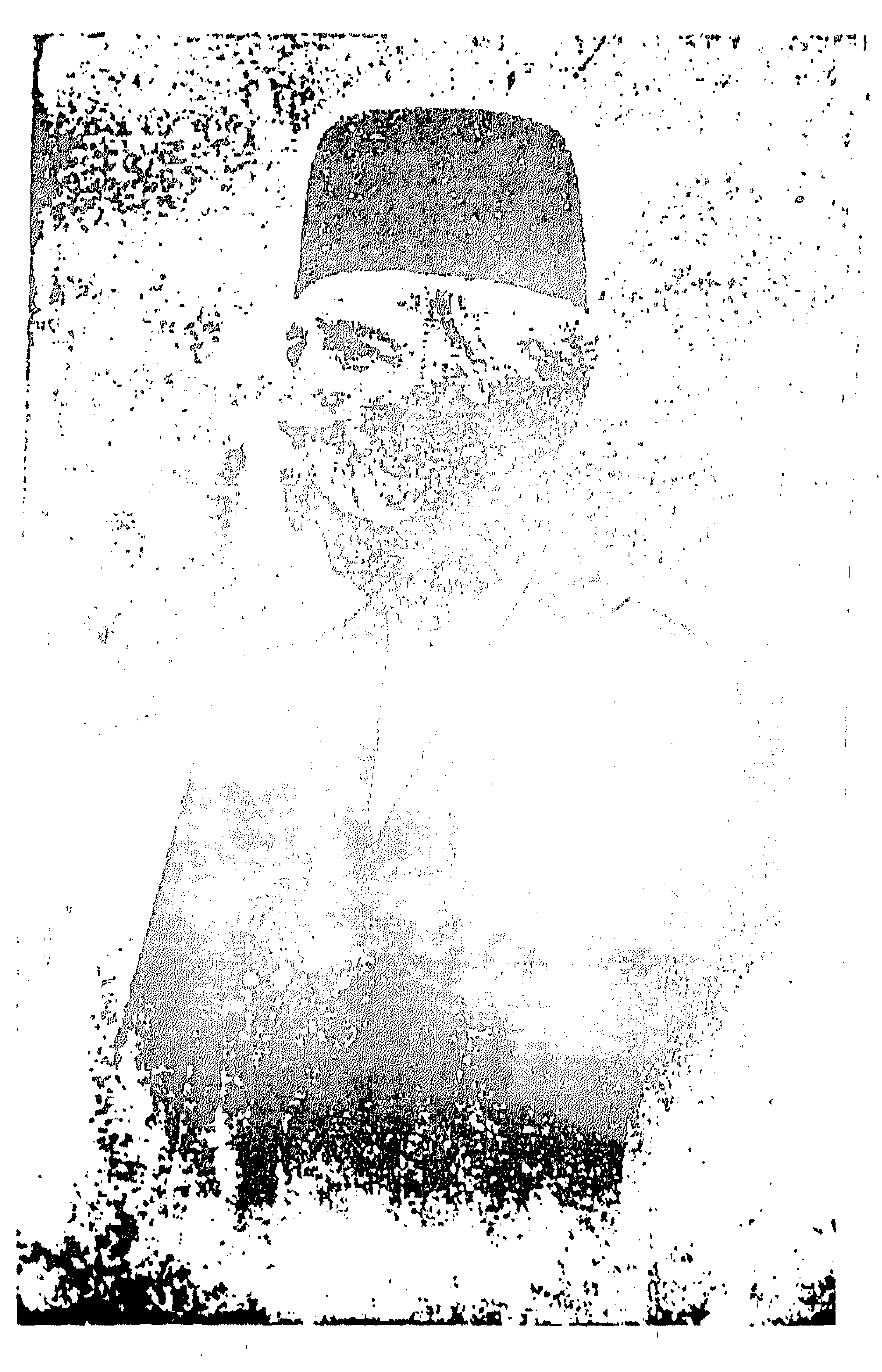
احمد شاه قاجار



ميرزا أبو القاسم ناصر الملك رئيس الوزراء



میرزا نصر الله خان مشیر الدولة ــ رئیس الوزراء



مستوفي الممالك رئيس الوزراء



وثوق الدولة رئيس الوزراء



الشيخ خزعل خان حاكم عربستان



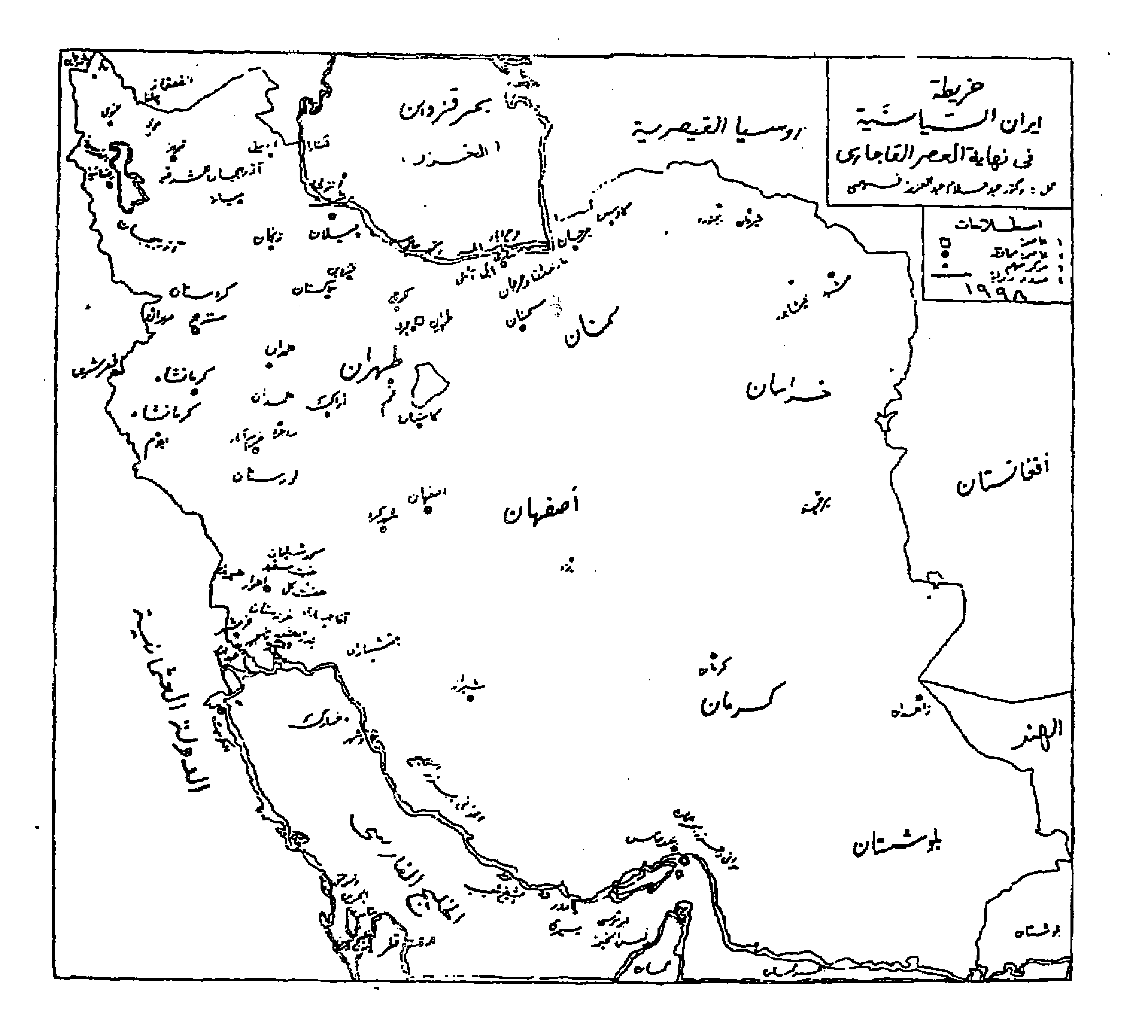
البالكونيك لياخوف قائد قوات القوزاق
في عهد محمد علي شاه



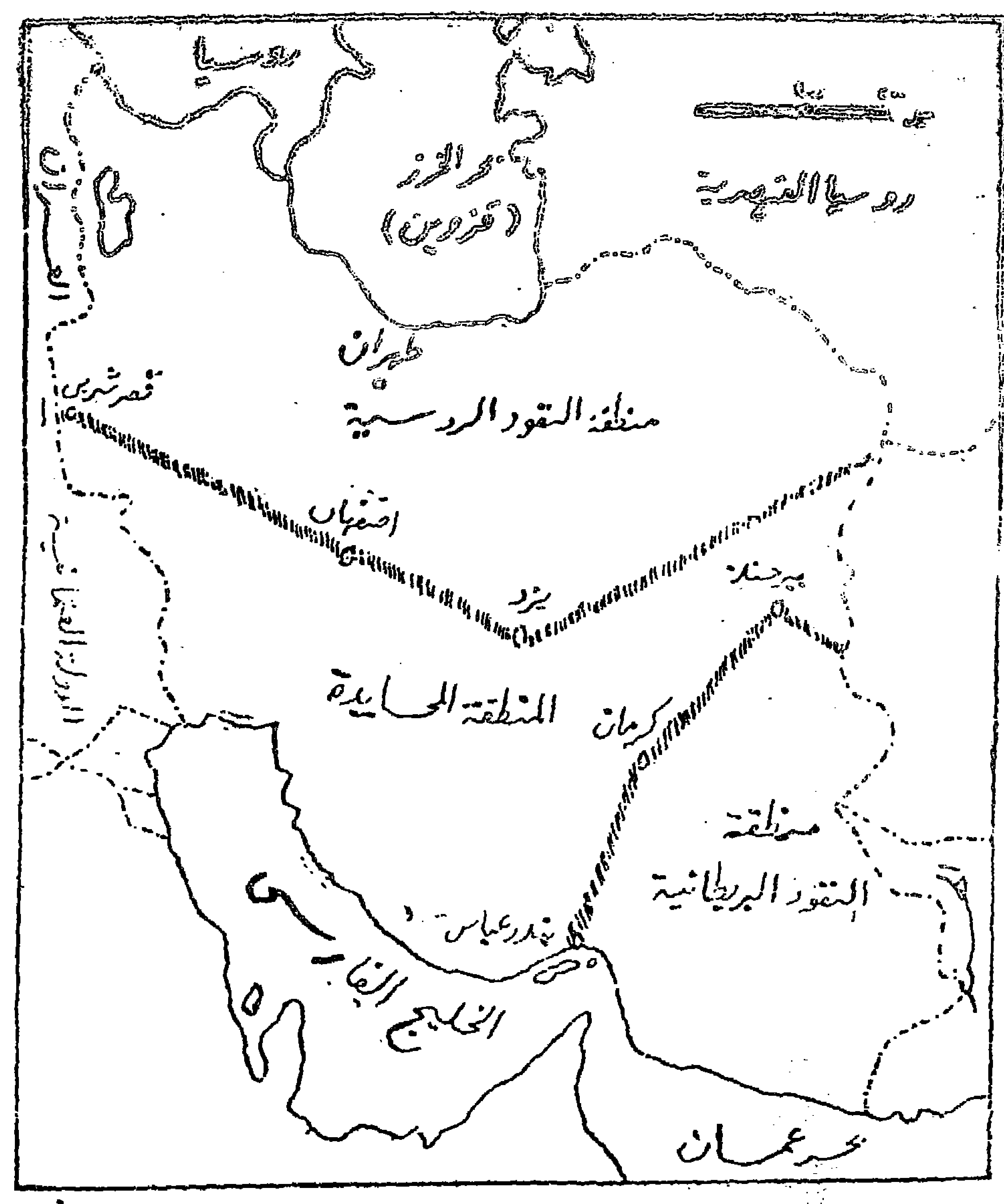
شابشال الروسي ـ معلم محمد علي شاه



میرزا کوچک‌خان رئیس متنفذین رشت


خريطة
ايران السياسية
فى نهاية العصر القاجارى
روسيا القيصرية
بحر قزوين
الخزر
افغانستان
الهند
بلوشستان
خراسان
سمنان
طهران
اصفهان
كرمان
الخليج الفارسى
الدولة العثمانية
كردستان
لرستان
همدان
قم
كرمانشاه
شيراز
كاشان
زنجان
تبريز
مشهد

مناطق النفوذ طبقاً لمعاهدة ١٩٠٧



إعداد د. عبد السلام فهمي

القاهرة في ١٩٩٨/٧/٢٢